

كتاب

الشیطان

بين يدي يونس وكنيسة

ألف

أبراهم فوزي باشا

الشيخ الشيخ

طبع على نفقة مؤلفه وإدارة جريدة المؤيد

حقوق الطبع والنزعة محفوظة لها

طبع في المطبعة الآسية، والمدينة سنة ١٣١٩ هجرية



marefa.org

موسوعة المعرفة

المعرفة مشروع علمي ثقافي يهدف لجمع **المحتوى** العربي والإضافة إليه، لإنشاء **موسوعة دقيقة، متكاملة، متنوعة، مفتوحة، محايدة ومجانية**، يستطيع الجميع المساهمة في تحريرها، بالكتابة أو بالاقتباس من **مصادر مرخصة بالنقل**. بدأت المعرفة في 16 فبراير 2007 ويوجد بها الآن 35,587 مقال و 2,409,583 صفحة **مخطوط** فيها.

خلافًا للغات العالم الكبرى الأخرى، تفتقر الثقافة العربية إلى المحتوى الإلكتروني، ويفاقم من ذلك الوضع قصر عمر المواقع الإلكترونية العربية، مما يجعل محتواها الإلكتروني مملوكاً لكيان اعتباري قد زال من الوجود، ولا يستطيع حتى كاتب المحتوى نشره في مكان آخر.

لذا فندعو المهتمين إلى المساهمة في جمع تراثنا في موسوعة المعرفة الحرة والحصول على تصاريح النقل من مختلف المصادر وتوعية أصحاب تلك المصادر ببدائل علامة حفظ الملكية التي تتيح نشر المعرفة. ادع **أصدقائك للكتابة في أي موضوع معرفي يهمهم.**

مشروع معرفة المخطوطات

تشهد الثقافة العربية تراجعاً على كافة الأصعدة. ونتيجة لذلك تخلى العديد من الشعوب عن استخدام **الأبجدية العربية**، مما أدى إلى سقوط مراكز إشعاع الثقافة العربية في تلك الشعوب في غياهب النسيان. فنرى حواضر **حيدر أباد وتنبكتو وزنجبار وسمرقند** ملأى بمئات الآلاف من المخطوطات العربية في حالة يرثى لها من الإهمال. ولقد شكلت التقنية الحديثة من **الماسحات الضوئية والإنترنت** بارقة أمل. إذ أصبح بإمكان المتطوعين، حيثما كانوا، المشاركة في تحويل تلك المخطوطات المسوحة إلى نصوص رقمية يعم نفعها الجميع.

وتفخر موسوعة "المعرفة" بحصولها على 25,000 مخطوط تحتوي على 2,409,583 صفحة من المخطوطات من حكومة الهند، وهي تمثل 5% من المخطوطات **باللغة العربية** التي يعملون على مسحها ضوئياً. قائمة **بروكلمان** لأهم مصادر الكتب والمخطوطات العربية تضم 16 مكتبة بالهند بين أهم 168 موقع بالعالم. أمدتنا الهند كذلك بملايين الصفحات **بالفارسية والتركية** (بحروف عربية). وبعد أن كانت الهند أكبر مشتر وقارئ للأدب العربي أصبحت اليوم لا تجد بين أبنائها من هو قادر حتى على قراءة عناوين تلك المخطوطات. الفرصة سانحة لإثراء تراثنا ودعم أواصر التعاون الإنساني مع حضارة الهند الصديقة. المشروع ذاته يجري تكراره مع تجمعات Corpora المخطوطات العربية الكبرى في **الصين وتنبكتو (مالي)**.

هذه قائمة **جزئية للمخطوطات التي لدينا**. إذا كنت تريد أن نعجل بنشر أي منها فأخبرنا **بالضغط هنا**.

خطوات المشروع:

1. الحصول على صور المسح الضوئي للمخطوطات.
2. نشر المخطوط إلكترونياً مقروناً بمقالات من موسوعة المعرفة متعلقة بالمخطوط والكاتب. ويمكن للجميع تحميل المخطوط. قائمة المخطوطات الجاهزة للتحميل.
3. تدوين المخطوطات، أي تحويل الصورة إلى نص حرفي يمكن التعامل التحريري معه، وذلك للمخطوطات التي لا يوجد لها نصوص. وهذا عن طريق مشروع **معرفة المخطوطات** الذي يضم برنامج تدوين المخطوطات عن بعد Distributed Proofreading. وتلك الخطوة تتطلب جهداً فائقاً **ندعو القراء للمشاركة فيه (بالترتيب هنا)**.
4. تقديم نص المخطوط إلى مشروع **غوتهبرج Gutenberg Project** لنشر كتب التراث العالمي. وقد انضمت موسوعة المعرفة لمشروع **غوتهبرج** وهي بذلك المشارك العربي الوحيد في هذا المشروع العالمي.

مع تحيات مدير المشروع

د. نايل الشافعي

کتبخانہ تصنیف کار علی حیدر آباد دکن

نمبر داخلہ ۲۳۱۴۷
تاریخ ارسال
نام کتاب تاریخ السوران
فصل کتاب
نمبر کتاب در فن ذکر تاریخ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على آلائه. والصلاة والسلام على سيد رسله وأنبيائه. محمد وآله
وصحبه وأوليائه

وبعد فقد انتهينا في الجزء الاول من كتاب (السودان بين كتشنر
وغردون) الى آخر حادثة سقوط الخرطوم بقتل الطيب الدكر (غردون باشا)
ووقوع البلد في قبضة المهدي ووفوعنا والحامية في أسره. وبقي أن نذكر
من موضوع هذا الكتاب ما أتلا ذلك فتقول وبالله المستعان

قيام دولة المهدي في السودان

لما كانت مدينة الخرطوم عاصمة إقليم السودان المصري فسقوطها
في قبضة المهدي صير السودان كله خاضعاً له ولا عبه بإقليم دنقلا لدى
كان وقتئذ مقر الحملة الانكليزية كما انه كانت توجد مدينتان لم تخضعا له بعد
وهما مدينة سنار عاصمة إقليم سنار ومدينة كسلة عاصمة مديرية (التاكا) ومهما
يكن من الامر فان حالة تينك المدينتين كانت منذرة بقرب سقوطهما
وسياتي تفصيل ذلك كله في مكانه

بلغ عدد القتلى من سكان الخرطوم يوم سقوطها أربعة وعشرين الف رجل وقتل
الاطفال وكل ذكر ولو كان رضيعاً غير ان النساء لم يقتلن. ابتدأت هذه
المنذجة عند طلوع الفجر. وبين نسوق "شمس" أصدر الحيفة رسراً. (لارم

بالكف عن القتل وأخرج السكان من منازلهم بملابس النوم وأصدر أمين بيت المال أمراً إلى الحاج خالد العمري بالوقوف على باب الخندق لتفتيش كل خارج من سكان المدينة الذين أمروا بالبقاء في بقعة بين الخندق ومعسكر ابن النجومي معرضين للبرد القارس وأمر بالحرارة واستولى الدراويش على المنازل وفي اليوم التالي بدأ بتعذيب الناس حيث يستدعون صاحب المنزل وكبار أفراد عائلته إلى منزل الأمين ويبتدون بكلماته بقولهم له حيث أنك كفرت بالله ورسوله وحاربت المهدي فقد أهدر الله ورسوله دمك وحرم مالك عليك وصيره حقاً لله، والمهدي غفاه، دمك ولا سلامة لك في الدنيا والآخرة إلا بتسليم جميع أموالك متى الحيط والخياط وسواء أذعن لهذه الأذى وسلم، أم لم يسلم فلا بأس من ضربه ألف سوط والمرأة نصفها وتوثق يداه ورجلاه، واللقى الأرض وأمر بعبه الماء بارد في الليل
 ربي السكان في ١٠ من شهر شوال من جملة أموال والامتنعة
 في بيت المال

ومن الحوادث التي وقعت يوم سقوط الخ طوم ان رجلا اسمه (كريب) من أقارب المهدي ومن حراس المدينة شراف الذين ينلق عليهم اسم (الملازمة) ومعه نحو عشرة من أقاربه دخلوا منزل رجل مصري اسمه ابراهيم له سبعة إخوة فقتلوا الثمانية وقتلوا الأخرى فلم يجأوا به مالا وكان لابراهيم غلام في التاسعة من العمر خفتت ما ونساء أعمامه فوط الامتنعة خوفا عليه من القتل فاستروا به في غضون التفتيش وأخرجوا فقرأت أمه ونساء أعمامه على اقدم كريب ورفقائه وتبين له انه والده أعمامه السبعة قتلوا فقتلوا بالأمير الأمارة كريب لانهذا الصبي ماتت له وقال كريب

تركه ونحن لم نجد في بيتكن ذهباً ولا فضة وكلكن نساء مسنات ليس
بيتنكن من تميل النفس اليهائم صاح برفقانه وقال قطعوا الصبي ثماني قطع
واتركوا الكل واحدة منهن قطعة ولم يتم هذه البلوة حتى تناول رفقاه الصبي
وقطعوه ثماني قطع وألقوا الكل امرأة قطعة ومثل هذه الحادثة يعذبها لوف
ذكرنا منها هذه للدلالة على اخواتها

وأخذت النساء سبايا وأرسل أمين بيت المال بنحو الف عذراء من بنات
أعيان المصريين فاختر المهدى منهن ثلاثين فتاة من ذوات الحسن والجمال
آباؤهن من وجهاء المصريين سكان المدينة ووزع الباقي على حرسه وذوي
قربته وكلهن كموطوات بملك اليمين

وأرسل أمين بيت المال عدداً عظيماً من النساء الى عبد الله التعايشي
فأبقي لديه العذاري منهن ووزع الباقي على حراسه وذوي قربته ايضاً وصار كلما
قضى وطره من واحدة يهديها الى أحد رجال حاشيته

وأرسل أمين بيت المال أيضاً بمئات من النساء الى الخليفتين علي بن
حارو ومحمد شريف وكان عملهما بهن مثل عمل عبد الله التعايشي. وكثير من
أوائك النسوة امتنعن من الفسق والفجور بهن فمذبن عذاباً الياً وضربن
ضرباً مبرحاً وحلقت شعور رؤسهن وكثير منهن فضلن الموت على
الحياة ورأيت امرأة أحد الصناجق وهي تركية من جهة أيها وسودانية من
جهة أمها اتحرت تخلصاً من المذاب الذي نالها على أثر امتناعها من تسليم
نفسها لعبد الله التعايشي وضربت امرأة الشيخ محمد السقا شيخ القراء في
الخرطوم وعذبت ستة شهور لامتناعها من تسليم نفسها الى عبد الله التعايشي
والخلاصة ان عدد النساء اللواتي سبين لا يقل عن خمسة وثلاثين الف فتاة

وشاهد ذلك انك تجد عند اصغر أمير من أمراء المهدي عشرين فتاة أما
 الامراء الكبار وأقارب المهدي فإن اللواتي يأخذهن كل واحد منهم يزيد عددهن
 على العشرين عدداً ولا يظن القارئ انهم يحتلسون أولئك الفتيات بل يأخذونهن
 باسم من المهدي أو أحد الخلفاء أو أمين بيت المال موضعاً في كل أمر اسم الفتاة
 واسم أبيها وجدها وأوصافها وأنها أعطيت لفلان غنيمة له يحل له وطؤها بملك
 اليمين ويجوز له بيعها ما لم تصرام ولد ومن وجدت عنده من اتباع المهدي
 امرأة وليس لديه أمر بالبيانات التي شرحناها تصادر أمواله ويقبض عليه
 ويعامل معاملة سارق

وكان المهدي أصدر أمراً حظر فيه سبي كل امرأة لها بعل ولكن هذا
 الأمر كان لا يعمل به الا اذا كانت المرأة طاهرة في السن أو قبيحة المنظر لا تميل
 اليها الناس وكان أمين بيت المال يمسك النساء ويفتشهن بعد خلع ملابسهن فمن
 وجدت سليمة من العيوب أخذت ومن وجد بها عيب انهرت وطرقت
 هذا يجعل مافعله المهدي بسكان الخرطوم من جهة الاموال والاعراض ذكرته
 بنهاية الاجاز لاني اذا تتبعته التفصيل أفنيت الاعوام دون أن أوفي حق المقام
 وأصدر المهدي منشوراً قال فيه ان جميع الذين خرجوا من قيقرة
 الخرطوم اي (خندق) الخرطوم لا يعتبر زواجهم شرعياً لانه حصل في زمن
 الفترة التي كانت قبل بعثته وأمر بعقد زواج كل زوجين من أولئك الاسرى
 واذا كان في المرأة شيء من الحسن أو بقية من الشباب لا يستأنف عقد زواجها
 بل تؤخذ غنيمة

وكتب أمين بيت المال الى المهدي يستفتيه في أنه وجد بالخرطوم عتق
 اعتقهم . واليهم قبل فتح المدينة بزمن بعيد قبل ياملون كالأحرار أو الأرقاء

فأجابه بان الذين اعتنقوا كفار لا يعتبر عندهم وأمره بمعاملة أولئك المتق
معاملة الارقاء

ذكر مقابلة المؤلف مع امين بيت المال

ذكرت اني أسلمت نفسي ومن معي من الجنود في منتصف النهار
فتبضوا على وأوثقوني كتاباً وساقوني الي أمين بيت المال يحيط بي نحو مائتي
نفر من الدراويش شاهرين سيوفهم وكلهم يصيحون بي ويقولون يا كافر
ياعدو الله فالفيتة بمنزل أبي بكر الجار كوك أحد أعيان المدينة ووجدت المنزل
مملواً بالنساء وهو مشتغل بفرزهن

ولما أوقفت بين يديه كان مشتغلاً بالنظر الي فتاة فتاة وهي مجردة من
ملابسها ويدها خرقة تستر بها عورتها وهو يقابها يمنة ويسرة والدموع
تساقط من جفونها وهي تقول « رضينا بقضائك يا الله » وبعد ان فرغ من
أمر الفتاة التفت نحوي وقال أعوذ بالله من هذا الوجه الايض ثم التفت
للحراس الذين حولي وقال لهم من هو هذا الكافر فقالوا هو ابراهيم باشا
فوزي فقال لماذا لم تقتلوه فقالوا تركناه ريثما يظهر أمواله وأموال غردون
والحكومة ثم صاح بي وقال دلنا يا كافر على هذه الاموال فقلت ان أموال
أخذت من منزلي وأما أموال غردون والحكومة فليست موكلاً بحفظها ثم
استل سيفه من غمده وتقدم الي وقال هذا الكافر لا يظهر هذه الاموال
وقتله خير من استحيائه فامسكه من حوله وقالوا له أرجئه ريثاً نعدبه او يدلنا
على الاموال ثم صاح بالمبيد فطرحوني على الارض وجلس واحد منهم
على رأسي وأمسك اثنان السياط وضرباني حتى كلت سوادها فابدلا

بأثنين آخرين حتى سال الدم من جسعي فقلت لهم ليس لگردون مال وليس
للحكومة مال غير أوراق البون

وبعد ان تمزق جسعي زجوني في السجن وبقيت ثلاثة أيام فيه يسوقونني
للاستنطاق والضرب في كل غدوة وروحة

وفي اليوم الثالث أخرجوني من السجن موثوق الكتاف يحيط بي
الحراس وأرسلوني الى منزلي فوجدت به أحد الاصراء المشهورين بالورع
والتباعد عن غل المنائم فجمع أمتعتي وكتبها في ورقة عرضها علي فلم أجد
شيئاً مفقوداً منها ثم قال لي ان لاموال الظاهرة كلها استوليت عليها ولم يبق
غير ما يخفي في بطن الارض فقلت اني لم أخف شيئاً في بطن الارض فأخذ
يوعظني تارة ويهددني أخرى وأنا يثب علي بالسيف فقلت له انني لم أخف
شيئاً ولم يكن لدي مال غير ما استوليت عليه فساقني ومعي ماخف حمله من
الامتعة الذهبية والفضية والنقود وبعض حلي مجوهرة الى أمين بيت المال
فلما نظرتني قال كيف أبقيتم هذا الكافر حياً حتى الآن فقال له الامير نحن
نؤجل قتله حتى يظهر لنا أمواله وأمول گردون والحكومة ثم قال أمين بيت
المال لذلك الامير ألم يك عنده نساء فقال له عنده محظيتان حبشيتان أخذتهما
لنفسى فقال أمين بيت المال كيف تأخذها قبل عرضها علي وأخذ الاذن
بهما مني فأجابه الامير اني أخذتهما بسيفي ولا أطلب من بيت المال غيرها
فبارك لي فيهما فقال له قد باركت لك فيهما وملكتك اياها فشكره وأنا واقف
وساعداي موثوقان كتافاً

ثم تقدم أمين بيت المال الى الصناديق التي فيها امتعتي وفتحها فوجد
ضمنها صواني وطواقم للقهوة والشاي مصنوعة من التبر على طريقة صناع الخرطوم

المأهرين وهي عبارة عن اسلاك مسبوكة يتألف منها كل واحدة من
 تلك الاواني فالتفت الى أمين بيت المال وقال لي يا كافر يا عدو المهدي ومحارب
 انصاره لما اذا اتلفت ذهب المهدي وفضته وصنعتها أو اني مثل ما يصنعه الكفار
 فقلت له اني صنعت ذلك لما كان هذا التبر ملكا لي ولما صار الآن ملكا
 للمهدي فانه يصنع به ما يشاء فقال لي من أين لك انه كان ملكا لك مع انك
 محارب للمهدي وكل ما في الخرطوم ملك حلال له حتي الارواح وضربني
 بسوط كان في يده ضربتين على رأسي حتى خضب بالدماء وجمي ثم قال خذوه
 الى الامير ابي قرجة ليريح من الدنيا . فاخذت بحاله لا أستطيع وصفها حيث
 كان يحيط بي نحو ثلاثمائة درويش شاهرين السيوف والحراب حولي وهم
 يصيحون يا كافر يا عدو الله حتى بلغت منزل ابي قرجة وكان نازلا بديوان
 المديرية فالتفت بالباب جما غفيرا من الناس وسمعت قهقهتهم من البعد وهم
 مزدهجون فادخلوني على الجمع المتكوف فنظرت رجلين مجردين من ملابسهما
 فامعنت النظر فيهما فاذا احدهما حامداً غافيا صالح أحد الصناجق وهو ابن صالح
 بك الملك صاحب فداسي الذي تقدم لنا ذكره والثاني من ذوي قرابته والدرابوش
 يطمنونهما بالحراب طمنا لا يمجل موتهما فالتفت اذ ذلك انهم سيفعلون بي
 مثل ما يفعلونه بهذين الرجلين وأخيرا سقط الرجلان مضرجين بالدماء على الارض
 وتطاير دمهما على وجهي وأصاب ملابسني فاجهزوا عليهما وكان ايقافي لمشاهدة
 ذلك المنظر الفظيع بقصد ارهابي لادلهم على ما يطلبونه ثم ادخلوني على
 ابي قرجة فابتدأته بالتحية فرد باحسن منها فاطمان خاطرني بما توسمت
 فيه من البشاشة فالتفت الى الحراس وقال لهم من هذا فتقدم رئيسهم اليه
 وأسر اليه قولا لم أسمعه فالتفت الي بسكينة وحنان وقال فكوا وثابه فقموا

وأمرني بالجلوس على الأرض فجلست وكنت وقتئذ في أشد حالات الظم والام
الضرب فقلت له ياسيدي الأمير أيجاسر بطلب شربة ماء قبل المات فقال لي
«أبشرك بكل خير» وأمر أحد غلمانه بإحضار شراب من العسل ممزوج بالماء
فقدمه لي فتناوت جرعة منه لم تقم بسد الظم واشتدت بي الحاجة إلى طلب الماء
فاعدت عليه الرجاء بطلب الماء فأمرني بماء ممزوج بشيء من خبز الذرة اسمه
(الابريه) يندي ويزيل الظم فتناولت منه بقدر الحاجة وبعد برهة خاطبني وقال
ان الدنيا فانية وآت من المهدي ليس كما تقدمه من الازمان وان المال أصبح
ملكاً له ومن اخفاه عنه وقع في غضب الله فقلت له ياسيدي ليس لي مال
غير ما أخذ مني وغردون لآمال عنده والخزانه الامبريه ليس فيها غير
أوران البون فقال اتخلف لي بالله العظيم فقلت احلف بالله اني ما فلت الا الصدق
فرفع صوته وقال للحراس الذين جاؤا بي ارجعوا من حيث جئتم فان الرجل
صادق فيما يقول واحذروا من ان يمسه أحد بسوء واعلموا ان من مسه بالماء
أمسه بالسلاح والتفت الي وقال لا بأس عليك لهدأ روعك فانت آمن من كل
سوء ثم أمرني بالبقاء في منزله فبقيت به ليلتين كان يقدم لي الغذاء الكافي في
خلالهما وكان كريماً يأكل معه نحو ثلاثين رجلاً من خواصه وكانوا يقدمون لي
الطعام منفرداً فاستعظفتني في ذلك وقال انه لا يمنعه من تناول الطعام معي غير
شيء واحد وهو اني لم أقابل المهدي ولم آخذ عليه البيعة فظهرت له رغبتني في
ذلك واتى أصبحت لا أطلب غير شمولى بعفو المهدي وتمتعي برضاه عني

ذكر ما غنمه المهدي من الأموال الذخيرة من الخرطوم
كان سكان الخرطوم أغني أهالي السودان واكثرهم مالا ولما أحسوا

بقيوم المهدي عليهم هجرا اكثر من الحرطوم وملكوا بمصر وكانوا من الطبقة الرفيعة
جداً وأرسل اكثر التجار أموالهم الى مصر وغيب الباقون أموالهم في بطن
الارض ولما قتلوا يوم سقوط المدينة ذهبت ولم يهتد أحد لمحلها ولذلك
يقول العارفون إن اكثر الاموال مودعة في بطن الارض ولم يحصل بيت
المال على شيء يذكر من المال. ومن المؤكد ان الامراء كانوا لا يقدمون الى بيت
المال اكثر من ربع ما يعثرون عليه ومع ذلك كله بلغ ما اجتمع في بيت المال
نحو ثلاثمائة الف جنيه ونحو ثلاثمائة الف ريال من الجيبيدي والنمساوي
ونحو ثلاثين قنطارا من الذهب المصنوع حلياً ونحو اربعمائة قنطار من الفضة
أما اثاث المنازل والرياش والملابس فانها لا تدخل تحت حصر
وقد جمعت تلالا يخالفها الرائي جبالا

وأما الاسلحة فانها مدفان من كروب و ٣ مدافع متراليوز و ٢٠ مدفعا
جباليا و ٦ آلاف بندقية رامنجتون جيدة و ٤ آلاف بندقية رامنجتون بها
خلل وكانت مودعة بالمخازن وعدد لا يدخل تحت حصر من البنادق ذوات
الطقتين ومن طراز آخر قديم
وأما الذخيرة فكما يأتي ٢٠ قنبلة لمدافع الكروب أما المدافع الجبلية فقنابلها
موجودة بكثرة و ١٠ آلاف صندوق مملوءة بالخرطوش و ٨ آلاف اناء
(برميل) مملوءة بارودا

ذكر قتل فرج باشا الزين

لما دخلت ميسرة الدراويش من ميمنة خندق المدينة كان فرج باشا
الزين قومندان الحامية وقنشد واقفا عند باب المسلمية فتنكر ولبس ملابس

جندى بسيط وحذا حدوه القاتمقام سرور بهجت بك واختلطا مع الجنود السود وخرجا من باب المسلمية فامسكهما حراس ذلك الباب من الدراويش وفتشوها ولدي تفتيشهما ارتاب الحراس في أمرهما حيث وجدوا عندهما ساعتين من الذهب وسلسلتين ذهبيتين ثم وجدوا مع فرج باشا خاتمه المنقوش عليه اسمه وكذلك سرور بهجت بك فقبضوا عليهما وأوثقوها كتافا وأرسلوها الى أمين بيت المال الذى أرسلهما الى عبدالله التمايشي وهو أمر بضرب عنقهما فضربا وكان ذلك في اليوم التالى لسقوط المدينة وذهب كثيرون من الناس أن لفرج باشا الزين يدأ في سقوط المدينة وانه كان خائنا والحقيقة انه لم يخن ولا يده له ألبته في أمر سقوط المدينة غير انه كان كسولا يميل الى الراحة ويفر من التعب سيء الادارة على ان الذى دعا غردون لتوليته هذا المنصب كونه سودانى الاصل وربما كانت توليته تجذب فلوب بني جلده الجنود السود لماضدته نخاب ظن غردون فيه ولم يتحقق شيء مما كان يؤمله فيه ومراعاة للظروف إبقاه في وظيفته التي كان بحيت بك بطراق يباشرها بدلا عنه

ذكر مقابلة المؤلف للمهدي

قلت ان الامير أبا قرجة اطلقني من الوثاق وسكن روعى وآوانى في داره ليلتين ثم أرسل معي مندوبين حافظوا على واجتازوا النهر معي حتى أوصولني الى منزل يوسف منصور قومندان طوبجية المهدي وأبلغه المندوبون ان أبا قرجة أرسلني له ليقدمنى للمهدي فقضيت تلك الليلة في منزله وفي ظهر الند رافقتى الى دار المهدي ومعنا السيد بك جمعه مدير الناشر فالفينا

قد فرغ من صلاة الظهر والناس متكوفون حوله وهو يعظهم فتقدم يوسف منصور اليه وقال له يا سيدي الامام المهدي هاهو ابراهيم فوزي فالتفت الى بوجهه باش وقال يا ابراهيم فوزي اتني تعرفك منذ كنت حاكما في مقاطعات البحر الابيض فلماذا ركنت الى الكفار ولم تسلم لي اولم يكن الواجب على مثلك اجابة دعوتي فقلت يا سيدي اتني من كبار قواد الحكومة ولا يليق بي ان اتركها في أوقات الشدة وسويات الازمة وكما اتني وفيت لها فسأوني لك أيضاً فتيسم وقال لي قد عفوت عنك وأمرني بالدنو منه فدنوت فبايعني بيعته المملومة ثم نزع مرقته وقدمها لي فلبستها وكان ذلك دليلا على منتهي رضاه عني ثم انصرفت فاحاط بي الناس ليتبركوا بلثم جبة المهدي وبعضهم ناظم على نوالي هذه المنة فكان فريق من الناس يقصدون ثم تلك الجبة وآخرون يقصدون ايذائي بالاكم وأخيراً خلعت لهم الجبة ليتبركوا بها ووقفت بعيداً وكانت الشمس محرقة حتى اجتاز بي كبير من الامراء فتقدمت نحوه وسألته ان يساعدني على ارجاع الجبة ففعل ولما دفعها لي أخذتها ووضعها على رأسي ثم لبستها وتوجهت قاصداً منزل يوسف منصور الذي نبجا بنفسه وتركني وسط جموع المتبركين واللاكين وتبعني في الطريق عدد ليس بقليل وكلهم ناقون على نوالي هذه المارقة . ثم أبلغت ان المهدي أمرني بملاءة للغطاء وانا لطبخ الطعام وقصعة للأكل وجارية رأيت منها التذمر وعدم الرضى بالبقاء عندي فبعثها بعشرين ريالاً

ذكر مفاصلة المؤلف لعبد الله التعايشي

لما انهفت من دار المهدي وعدت الى منزل يوسف منصور قال لي

لا بد لك من مقابلة عبد الله التمايشي فقلت له بلغني ان هذا الرجل مشهور
 بالقسوة وانني أخاف على نفسي منه فقال لي يوسف انه كذلك ولكن اذا
 بانك قابلت المهدي ومسع له ما بانك كانت المناقبة اسوأ فقبلت مشورته
 وفي الغد صاحبي يوسف منصور والسيد بك جمعه الى دار التمايشي الذي
 مكثنا ننظر نروجه علينا ست ساعات وفي منتصف النهار خرج علينا واذا هو
 رجل نحيف الجسم بوجهه أثر الجدري وملا بسه مرقعة رثة بالية فابتدره يوسف
 منصور بالتحية فرد عليه ثم قال له يوسف منصور يا خليفة الصديق هذا
 ابراهيم فوزي من الخرطوم ففأعنه المهدي وبأيمه فجاء يطلب عفوك أيضاً
 فالتفت الي بوجه عبوس وقال ما هذا ثم التفت لمن حوله من الدراويش
 وقال لهم ألسنت أمرتكم ان لا تتركوا اذا شارب أو ماتحيا من الذين دخلتم
 عليهم في الخرطوم ثم قال ايوسف منصور ما هي وظيفة هذا الكافر في
 الخرطوم فبلغهم يوسف منصور وترقع شرا يصيبي وقال له انه كان ملازماً
 بيته وكان غردون يبعثه فقال التمايشي للسيد جمعه ما هي وظيفة هذا الرجل
 فقال كانت وظيفته (باشا) فقتل التمايشي (كان باشا الشونة) ومنذ ذلك
 فهمت ان لفظة الشونة كلمة نظيمة جداً عندهم ثم قلت له يا سيدي خليفة
 الصديق ان سبب نجاتي من الضل من تعاقب ذابي بحجة تلك ومحبة سيدنا
 الامام المهدي لمنظر وان نورك وانوار المهدي هما ذلك سبب نجاتي وانني
 أحمد الله على مننه على بمناسكته نورك ونور سيدي وانصرت الآن لا اكره
 الموت لئلا يمسي في هذه التربة طرية الارض ورفع رأسه وقال يا يوسف
 منصور قد عفوت عنك ثم اسر بنا معه الى منزله يوسف منصور
 ودفعنا الى كرنه في الخرطوم ثم قال لي يوسف منصور الذي قال لي بعد

انصرفنا من عند التمايشي اذهب بنا لمقابلة الخليفتين علي بن حلو ومحمد شريف
فقلت له اني لاقيت من التمايشي مالاقيته فليت شعري ماذا الاقي من الخليفتين
ثم قلت له لا اذهب اليهما البتة وقد كان من امرى معهما اني ما صاغت
واحداً منهما ولا اجتمعت بهما حتي من الله علي بالخلاص من أسر المهديوية
والحمد لله على كل حال

ذكر دخول المهدي مدينة الخرطوم

في يوم الجمعة ١٣ ربيع الثاني ركب المهدي وخلفاؤه بالباخرة (اسماعيلية)
واجتاز بها النهر الى الخرطوم ثم قصد المسجد وصلى فيه فريضة الجمعة ثم خرج
بعد الصلاة وقصد سراي غردون ثم تفقد الترسانة والجبه خانه وكتب أمراً
الى خاله طه محمد بتوليته ناظراً على الترسانة وأمره بجمع العمال الذين كانوا بها
واعادة الاعمال فيها وفوض الى عبد الله التمايشي أمر حراسة الجبه خانه
فانتدب لها رجلاً اسمه عبدالرحيم الطريفي وأمره بجمع العمال واعادة الاعمال
فيها مثل تعبئة الخرطوش واعداد آلات الحروب واصلاح كل متخرب من
البنادق التي في مخازنها ثم زار أمين بيت المال ولبث عنده برهة قدمت له
في خلالها المرطبات والقهوة فتناول القهوة ومزجها بالحلوى ليظهر للملا زهده
وعدم اعتناؤه بالمطاعم فقال له أمين بيت المال لا تفعل ذلك ياسيدي فقال له
ولماذا فقال لان ذلك يذهب بلذة الحلوى والقهوة مما فقال قد تركنا اللذات
لانها معقبة بالحشرات ثم قال لامين بيت المال اني طازم على الإقامة بعض
أيام في هذا المنزل أي منزل أبي بكر الجار كوك وأمره باعداد ما يلزم لراحته
وكان لصاحب المنزل أبي بكر الجار كوك بنت تزوجت قبل سقوط المدينة

باسبوع وفي يوم السقوط قتل زوجها وابوها معا فامسكها أمين بيت المال وقال
 للمهدي اني أقدمها لك في غضون اقامتك في منزل ابيها فقام المهدي ودخل الى
 داخل المنزل ورأى المرأة فاعجبه حسنها ولم يخرج حتى نال وطره منها وكان
 ذلك في اليوم الرابع لقتل زوجها ثم فقل المهدي راجعا الى ام درمان والمشاوره
 دائرة بينه وبين أهل شورا على جعل الخرطوم عاصمة ملكه وكلهم
 موافقون له على هذا الرأي ما عدا عبد الله التمايشي فانه كان يقول للمهدي انا
 لم نعرف بعد عاقبة أمرنا مع الحملة الانكليزية التي ربما اضطرتنا الظروف
 للتقهقر امامها الى كردفان فاذا أقننا بالخرطوم صار النهر بيتنا وبين كردفان
 وما زال التمايشي يثبط المهدي ويقيم له العقبات ليمنع عن سكنى الخرطوم
 وبقى المهدي مدة مترددا في القبول يقيم أسبوعا في الخرطوم وأسبوعا في ام درمان
 ويصلي الظهر والمصر في سلامك الحكمدارية وإقامته في منزل ابي بكر
 الجار كوك حتى واقته منيته كجاسياني

سورة التوبة

ذكر القبض على المؤلف وسجنه بالخرطوم

وبعد مضي شهر على سقوط الخرطوم ارسل الي حسين باشا خليفة
 مدير بربرخسين ريبالا فاشترت منها جبة ونعلا وعمامة وأبقيت بعضها لثقتان
 وماء مضت على ثلاثة أيام حتى جاءني نحو عشرة دراويش يحملون
 الاسلحة فقبضوا على وأوثقوني كتافا وفتشوا كوخني وحضروا أرضه وساقوني
 الى أمين بيت المال في الخرطوم فدخلت عليه فصاح بي وقال يا كافر يا منافق
 يا لص أنت سرقت من مالك وتوسعت به حيث غيرت ملابسك وعلا رأسي
 بسوط. كان في يده حتى تطاير الدم فقلت له يا سيدي انني لم أسرق شيأ بل

ان أحد معارفي أحسن علي بخمسة ، ربألا فرقع سوطه وقال من هو الكافر
الذي يحسن على الكافر فلما رأيت إيلامه خشيت أن يكون وراءه مسؤولية
على حسين باشا خليفة فقلت انه رجل من جهات النيل الأبيض كان يعرفني
أما أنا فلم أعرف غير وجهه ولا أعرف اسمه فأمرني إلى السجن فكانت فيه
ثلاثة أيام ثم أخرجني منه وقال لي لا جناح علي فيا فعله معك لان الدين
وشوا بك مصر يون من أبناء جلدتك فالآن عفو عنك وطاب منك أن
تجملني في حل مما اصابك مني فقلت له انت في مثل ناعطاني في الثلاث
واناء للطبخ وآخر للاكل وملاءة وجارة وقال لي عدك الى أم درسن فغاب
الامتعة وذهبت مع الجارية التي أخذت نسبي ونقول ركبت رضى بولد
الريف تعنى المصرى سيدا لي) وبينا اننا انرفى الرق بهم زفوا
اذلحت الجارية جماعة من العبيد الجهادية سائرين في الطريق فاستغاثت به
وقالت ان ولد الريف سرقني فقال لي اليبس من ابن سرفتها يا ولد الريف
فقلت لم أسرقها بل أعطانيها أين بيت المال فأتدروني الفرب بالسياط
وسلبوا كل مامى من الامة وثارت الجارية ثم ذهبوا الى حيث لأعلم
وجهتهم فعدت الى ابن بيت المال وتقدموا على القضاة فبكان جوابه
لا شأن لي فعدت الى أم دمان في امره اذ ملكة من يوت فضالما
أنافيه من آلام الجروح المنتهين في...

ذكر ادالي سردار ذلك

مكث الراءوس لـ... ..

بقية شهر ربيع الثاني...

بأقرب في البتة التي بين الخندق ومسكر ابن النجومي معرضين للبرد والحرارة ووكّل بحراستهم الحاج خالد العمري فكان يأخذ الرجل أو المرأة إلى منزله في المدينة ويؤالي تمذيبه حتى يدل على ماله وكثير منهم ماتوا تحت أيدي المذبذبين الذين لا يرون ولا يرحمون

وقد رأيت كثيراً من النساء أصبن بالجنون لهول من ما قاسينه من أليم العذاب وأخريات فقدن العقل عند ما رأين أولادهن وأزواجهن مذبحين بين أيديهن وفيهن من فقدت من الأولاد سبعة وثمانية ولقد رأيت امرأة رجل مصري اسمه عطية كان أمين ورق التمغة فقتل زوجها وأخوتها ثلاثة وأولادها خمسة وأحفادها من جهة أولادها ثلاثة وأزواج بناتها ثلاثة وأحفادها من جهة بناتها أربعة وكان عمرها زهاء سبعين سنة فكنت تراها وقد ذهل عقلها وهي نصف لكل من وقع نظرها عليه مصرع أولادها ثم تتناول التراب وتضمه على رأسها ثم تصرخ وتبكي على وجهها في القلاذ وهكذا كان حالها حتى توفيت بعد بضعة شهور ومثل هذه المرأة كثير يسد بالمئات وأصيب كثير من الرجال بمثل ما أصيبت به هذه المرأة وكثير من الذين نجوا من تلك المذبحة ماتوا تفرطاً ما أصابهم من الحزن بعد أن انفطرت أكبادهم من هول ما رأوه في ذلك اليوم المشؤم

ومما يذكر هنا أن محمد باشا حسن مأمور المالية دخل عليه يوم سقوط المدينة أصحابه له من جيش المهدي وحاطوا به رجوه من القتل فلما خرج معهم ونظر في طريقه إلى جيرانه ومعارنه قتل في شوارع المدينة قال لأصدقائه إلى أين تذهبون في فقالوا إلى خارج الخندق لأنه لاسلامة لك مادمت داخل الخندق فقل لهم قتل أهل بلدي كلهم فمع

من أعيش حتى تطلبوا لي النجاة فأنا أقول لكم أيها الاصدقاء انكم لا تحسنون
الى الا اذا قتلتموني بجانب هؤلاء فأخذوا يراجمونه وساقوه بالاكرام فامتنع
وقال لهم اقتلوني أيها الناس فاني كرهت الحياء فتركه أمداقاؤه وامتنعوا من
قتله فقتله غيرهم

ومن أمثال هاته الحوادث امرأة احمد عبد الوهاب وكبل الضبطية
فانها لما قتل زوجها واخوته الاربعة ترامت على اقدام القاسمين وقالت لهم
الحقوني بمن قتلتموهم فامتنعوا لانها كانت فتاة رائعة اجال وما زالت
تلح عليهم فلم يفعلوا وأخيراً أمسكت سلاحاً وهمت بأوائك التتلة فقبلوها
تخلصاً من شرها

وقتل أيضاً امرأة ابراهيم بك لبيب حكمدار بوليس المدينة مع
زوجها لانها احتضنته لما هم الدرايش بقتله. وكذلك امرأة ثالثة حذت حذوها
فهذه الثلاث نسوة اللواتي ذكرنا خبر قتلن يوم سقوط الخرطوم أما اللواتي
ذهبن ضحية التعذيب فان عددهن يزيد على الثلاثمائة

وكان في الخرطوم رجل مصري أصله من نهر دمياط. ومن علماء
الازهر الشريف ثم عين قاضياً لبربر ثم عين مدرساً بجامع الخرطوم ورئيساً
لاساتذة المدرسة الاميرية وكان يتعمم بهامة خضراء لانتسابه لآل البيت
المطهر كما كان في طليعة العلماء الذين كتبوا النصائح تكديباً لدعوى المهديوية
وكان غردون يحترمه ويحبه ويشاوره في كثير من الامور واسمه حسين المجدي
وفي يوم سقوط المدينة دخل عليه الدراويش وله جاران اسراييليان أحدهما
اسمه بسيون والثاني اسمه اسراييل فلما أحسا بدخول الدراويش فلان جارنا
عالم من علماء الاسلام وذواتساب لآل بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

ولا بد أن يحترمه هؤلاء الدراويش ولا يمدوا أيديهم بسوء لمن دخل في جواره فبينا بنا ندخل منزله وبينما كنا يتهيآن للاحتماء بالشيخ حسين المجدي إذ أبصرنا من نوافذ بيدهما جالسا على مصراعين متصمما بعمامته الخضراء يقرأ في المصحف فدخل عليه الدراويش فضربوه بالسيوف وبتروا يمينه فقال مرحبا بقضاء الله فقالوا له يا كافر فقال انني أشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وآء تلاً المصحف من دمه فأغمي عليه فتناول أحد الدراويش امرأته وآخر بنته على صراى منه ومن جيرانه وفسق الاول بالمرأة واقتض الثاني بكاره البنت وقالوا له فدأحل الله انادمك وعرضك فقال لهم كذبتم ان الله لم يجعل دمي ولا عرضي ثم اجهزوا عليه أما الاسرائيليان فانهما فد نجوا من القتل ولا يزالان على قيد الحياة

وكان في الخرطوم أيضا رجل مصري اسمه الشيخ فايد كان شيخ سجادة الاحمدية وني ساءة المذبحة التحا الى بيته نحو عشرين شخصا من جيرانه من موظفي الحكومة فدق الشيخ طبوله وحمل رايته فدبجه الدراويش ومن معه ولم ينج منهم غير واحد اسمه عبد الله ابراهيم سعد كان ضابطا في الحامية بعد أن اصيب بثلاث ضربات بالسيف على راسه

وقتل قنصل الدول كلهم وكان موسيو هنزل قنصل النمسا استأمن المهدي على نفسه ورعاياه فوعده المهدي باشخاصه الي بلاده اذا خرج اليه مسلما نفسه وفي يوم سقطت المدينة ذبح وسبيت امرأته وصارت جثث القتلي مطروحة على وجه الارض

ومن أعجب ما شاهدته أن هذه الجثث لم تنتفخ ولم تتغير ملامحها حتى نك لتستطع معرفة الشخص القتل بعد بضعة شهور ولم تأكلها الطيور ولم

يشاهد حولها شيء من الديدان أو الحشرات التي تنتاب الاجسام الميتة وقد
 عد شعراء المهدي ذلك كرامة من كرامات المهدي حيث قالوا في أنشودة
 باللغة الدارجة مامناه «ان اعداء المهدي الذين فتك بهم سيفه عافت اكل لحومهم
 الطيور والديدان والكلاب وسائر الهوام وذلك دليل على كفرهم»

ولم تقف الفظائع عند حد القتل وازهاق الارواح بل كانوا يمثلون باشلاء
 المقتولين ويجمعون التبع ويحرفون به الجثث

وكان في الخطوم رجل من أهل خراسان اسمه الشيخ عبد الرحمن
 الخراساني وكان مجاورا بالمدينة المنورة ومعروفا عند أهلها بالصالح والورع
 وله أتباع كثيرون في السودان فقتله الدراويش وربطوا جثته بحثة كلب بيت
 ووضعوا فيه على راس الكلب واحرقوها معا

ومن الذين قتلوا يوم سقوط المدينة الشيخ شاكرا الرئيس مفتي السودان
 وكان سوريا قتله محمد نوباوي الذي دخل على غردون وقتل ابنه قبله ولما
 هم بقتله قال له احد الحاضرين اتركه لانه رجل فقيه فقال له انه افقي بفتوى
 ضدي منذ عشرين سنة فأنا اذبحه واذبح ابنه قبله تشفيا

وقتل من العلماء أيضا الشيخ موسى مفتي المحاكم الشرعية والشيخ محمد
 حنيك قاضي القضاة وكانا فقيهين محققين كتبارسالتين طوبلتين كذبا بهادعوي
 المهدي وفندا مزاعمه وقبل سقوط المدينة جاءني الشيخ موسى زائرا ثم اختلى
 بي وقال لي والدموع تتساقط من عينيه اني وأولادي لم نذق طعاما منذ
 ثلاثة ايام ثم كشف عن بطنه فرايت حجرا مربوطا عليها فهالتي ذلك وعرضت
 عليه نقودا فلم يقبلها ثم وجدت بمنزلي أقتين من البقسماط دفعت له اقة
 وبقيت لذمسي الثانية واعطيته خروفا من الضأن كنت اشتريته من احد

الصناجق الذين غزوا في ضواحي الخرطوم على احدى البواخر فشكرني
ورجاني أن آذن له بالبقاء ريثما يأكل قليلا من البقساط ليستعيد بعض قوته
ثم سألتني ان أرسل معه جنودا يحفظونه من الاعتداء عليه حتى يبلغ منزله وفي
الغد عاد الى واخبرني أن أولئك الحراس اغتصبوا منه البقساط ولكنهم
تركوا الخروف له فدعوتهم لاسألهم فقابلوني بشراسة خلق وقالوا ألم نصنع
معك من الروءة ما لا يصنمه غيرنا حيث تركنا له الخروف فقلت لهم صدقتم
وطيبت خاطرهم وصرقتم

والحاصل ان المهدي بعد ان صادر جميع أموال سكان الخرطوم وسبي
من نسايتهم كل حسناء وقاسوا من العذاب أشده ونالوا من الضنك غاية وكانوا
مجبوراً عليهم الكسب وبل الارتزاق وكان يعطى كل شخص نحو رطل من
الذرة في كل يوم حتى هلك من هلك ونجا من أراد الله نجاته ركب هو
وخلقاؤه ذات يوم ووقف حولهم فرثي لهم وأذن لهم بمبايعته ثم كتب لهم
منشوراً وعظهم فيه وضمنه ما يقطع أمههم من إعطائهم شيئاً مما سلب منهم
وهذه صورة المنشور نقلا عن كتاب المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكرم والسلامة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد
وبعد فن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى كافة أحبائه وأصحابه
الذين خرجوا من قفرة الخرطوم ومرادهم السلامة لليوم المعلوم ورضاء الله
الحى القيوم أقول يا أحبائي ان أمة الدين أمة لا نعمة غيرها وحيث من
الله عليكم بها وصرتم من عبيد الله الذين يطلبون ما عنده ويمثلون أمره
ويرغبون فيما رغب فيه ويؤهدون ويستحقرون ما حقره بعد ان كنتم على

شفا حفرة من النار فاقدم منها فشكروا نعمة الله التي انعم بها عليكم واستمضوها
لتشكروها وتكفوا بها عن نعم الدنيا ومتاعها لان نعم الدنيا ومتاعها نصيب
أبناء الدنيا الذين لا نصيب لهم في الآخرة واعلموا ان الله هو المكفل بالارزاق
الضامن لها فن عرف ذلك عرف انه مادام حيا لا يقطع رزقه ولو هرب
منه لاحقه كما ورد لو ركب العبد الريح هاربا من رزقه لركب الرزق البرق
حتى يلحقه، وحيث كان كذلك وان ما وجد في الخراطوم شيء جزئي لا يكفي
الانصار الذين فتحوه وانعم الله عليكم باعاتهم وقد صرف عليهم جميع ما وجد
مع غنائم بربر ولم يفضل الا ما يباح للترويح فاصرفوا نظركم عما خرج من
أيديكم جملة حيث بعم أنفسكم وأموالكم لله وأنتم تعلمون ان الصحابة لما
خرجوا الى الهجرة فارقوا ديارهم وأموالهم رغبة في دين الله وانتم لما أنعم الله
عليكم بالصحة التي تمنها كل السابقين فاخرجوا عن ذلك واكفوا بالله
وارغبوا فيما عند الله كما البيعة على ذلك فان من لم يخرب الدنيا للآخرة لا يستقيم
له دينه وقد بعث صلى الله عليه وسلم لخراب الدنيا وعمارة الآخرة كيف وقد
دعا النبي صلى الله عليه وسلم على طالب الدنيا الذي لا يرضى الا به فقال صلى
الله عليه وسلم «تس عبد الدينار والدرهم والخميصة ان أعطي رضي وان لم يعط
سخط تس وانتكس واذا شيك فلا انتكس» ووصف الله المنافقين بذلك فقال
تعالى «ومنهم من يلزمك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها
اذم يسخطون ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا
الله من فضله ورسوله انا الى الله راضون» وأنتم أحبائي اكتبوا يا ندر اجكم مع
المجاهدين وما يعطيكم اسوتهم فلا خير في الرقيق حيث يعيش العبد بدونه
ويتأسف واجده عند فراقه وقد صدق فيه اسم الرقيق لان الرقيق يتقطع

ولا يدوم لمن تعلق به ولا يمسه فاعتصموا بالله وتوكلوا عليه واتقوا فانه قال
 « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على
 الله فهو حسبه » صدق الله العظيم والسلام ٢١ جماد آخر سنة ١٣٠٢

ذكر مقابلة الشيخ محمد الامين الضرير للمهدي ووفاته

تقدم لنا ذكر الشيخ محمد الامين الضرير ونقلنا صورة الكتابين
 اللذين بعتهما له المهدي وفي غضون حصار الخرطوم كان الناس اشاعوا
 عنه انه جاسوس للمهدي وانه كان يبطن ولاءه وكان أهل الخرطوم
 يفضونه لهذه الاسباب حتى شكوه الى غردون فقبض عليه وعلى
 قاضي القضاة الشيخ محمد حنيك والشيخ موسى المفتي اللذين تقدم ذكر قتلها
 وقبض أيضاً علي عبد الرحمن ارباب أحد علماء المدينة وبالتحري عن شأنهم
 ثبت ان الشيخ محمد الامين وقاضي القضاة والمفتي بريثون مما رماهم به أهل
 الخرطوم الموصوفون باساءة الظن بكل مواطنهم الذين لم يكونوا مصريين
 من جنسهم

ولكن تحققت التهمة في عبد الرحمن ارباب فقط وبمعد ان قضوا
 أربعة ايام في السجن امر غردون باطلاقهم حتي عبد الرحمن ارباب الذي ثبتت
 ادانته وبالغ غردون في الاعتذار الى الشيخ محمد الامين واسترضاه ورفقاه
 وفي يوم سقوط المدينة دخل على الشيخ محمد الامين ابن له اسمه علي
 كان قائداً صغيراً من نواد المهدي وساقه الى عبد الرحمن النجومي الذي همم
 بقتله واستل ابته سيفه ليقتله اظهاراً لاختلاصه للمهدي وبيناهم كذلك اذ
 مر عليهم الخليفة شريف فسأل عن الخبر فقيل له ان القوم يتآمرون على قتل

الشيخ محمد الامين الضير فاخترق الصفوف بحصانه وقال للمتأمرين احذروا
 ان تصيبوا الشيخ بسوء واعلموا ان من أصابه بماء أصبته بسيفي فترق الناس
 وأغمدوا سيوفهم عنه وقاد على أباه واجتاز به النهر وقدمه للمهدي الذي
 قابله بالاكرام واكثر من لومه ومعاتبته ثم بايعه البيعة المشهورة ثم قاده ابنه
 أيضاً الى عبد الله التمايشي الذي أخش له في القول واسمعه من الكلام
 أمره وأخيراً قال له يا عالم سوء يامن أعمى الله بصره وبصيرته قضيت عمرك
 المشؤم في تحصيل علوم جاء المهدي بنسخها فقد كنتم تقولون حدثنا فلان
 عن فلان باسانيد طويلة ونحن الآن نلقى الشريعة من المهدي الذي يتلقاها
 مباشرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فاحذر يا شيبه سوء ان أسمع عنك
 انك تعلم الناس شيئاً من العلوم القديمة المنسوخة واعلم انك منذ
 الآن محتاج الى التعليم من أحقر انسان من أصحاب المهدي ثم دعا عبداً
 أعجيباً وقال للشيخ محمد الامين هذا استاذك منذ الآن فصل بجانبه وتلق
 شريعة المهدي عنه اما ما تعلمته قبل الآن فانه منسوخ وخير لك ان تحفر له
 في الارض حفرة تعيب بها فسكت الشيخ ولم يجاوبه بكلمة بل خرج من
 عنده وهو يقول اللهم اقبضني اليك غير مفتون فتوفي بعد بضعة أيام فحملت
 جثته الى المهدي فامتنع عن الصلاة عليه وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم
 نهي عن الصلاة على المنافقين وقرأ « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم
 على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وما نوا وهم فاسقون » الآية
 ونجا عبد الرحمن ارباب بعد ان عبد الرحمن النجومي بقتله فآكرمه المهدي
 واردفه خلفه ثم ما لبث عبد الرحمن ان انكر على المهدي أعماله وتقم عليه وياتقن
 انه كان في ضلال مبين حيث كان مصدقاً بهذه الدعوة ومعيناً لذلك الطاغية

ذكر انتقال المهدي الي ام درمان

ذكرنا ان المهدي كان معسكرا في جهة الفتيح بعيدا عن مرمرى المقدوفات
 وفي اوائل جمادى الثانية سنة ١٣٠٢ زعم ان النبي صلى الله عليه وسلم
 أمره بنقل معسكره الي ام درمان وكان يطلق اسم (البقعة الطاهرة المشرفة)
 على كل معسكر حل فيه وفي صبيحة يوم ركب نافته وقال ان النبي صلى الله
 عليه وسلم أمره باطلاق خطامها حتي تنزل بالمكان المأمورة بالقاء رحلها
 فيه وذلك كما كان بعيره صلى الله عليه يوم دخل المدينة المنورة فدارت الناقة
 المأمورة على زعمه حتى القت رحلها بمكان مرتفع شمال خندق أم درمان
 يبعد عن ضفة النهر بألفي متر تقريبا وهناك القت رحلها فضربت اطناب الخيام
 وصنعت الاكواخ من البوص وجعل طول المسجد نحو ستمائة متر في ضفتي
 هذا القدر وصنعت للمهدي مقصورة من ألواح لزنك التي كانت تصنع للماكن
 التي تودع فيها المواد الملتهبة ونقل منبرا طابا الذي كان موضوعا في سلامك
 الحكمدارية الي تلك المقصورة وكانت بقية المسجد مكشوفة والمصلون
 معرضين للحر والبرد

ولما كان منزله متصلا بالمسجد كان يصلى الاوقات كلها داخل بيته والناس
 يأتمون به وبينهم وبينه نحو عشرة حجب من الشوك والاطناب والبوص وكان
 لا يصل في المقصورة الا فريضة الجمعة

وكان ذا صوت جهورى في الصلوات الجهرية يرفع صوته بالقراءة باكيا
 وتتساقط الدموع من عينيه وكثيرا ما كان يمسح تلك الدموع في حال القيام
 وقومه معجبون به ويعدون "بكاء في الصلاة من علامات اطلاقه على النبي

حيث يزعمون انه يرى اللوح المحفوظ متى أحرم بالصلاة
 وميامه وسجوده طويلان جداً حيث كان يقوم في قراءة الركعة اكثر
 من عشر دقائق وفي الركوع والسجود نحو ثلاث دقائق
 وصلى في رمضان صلاة القيام عشر ركعات قرأ فيهن جزءاً من القرآن وصلى
 بالناس في ليلة نصف شعبان مائة ركعة بالقرآن كله رافعا صوته بالقراءة با كيا
 وكان عنده عبد اسود يؤذن له فقال انه وارث مقام بلال مؤذن النبي
 صلى الله عليه وسلم واعطى مقام ابن أم مكتوم لمؤذن ثان
 هذا وقد قلده كثير من الامراء والاتباع في رفع أصواتهم بالبكاء أثناء الصلاة
 ومن المضحكات ان دنقليا من أقارب المهدي تناول الف ريال من تاجر
 قبطي اسمه جرجس ليصنع له بها سراكب ثم اغتال المال وعلق بالمهدي
 وبعد سقوط الخرطوم زاره نجاران مصريان فقام يصلى واسترسل في البكاء
 فاندش الزاران من هذا البكاء وقال أحدهما ما الذي أصاب الرجل فقال الآخر
 لا أظن شيئاً أصابه غير انه لما رأنا تذكر ما اغتاله من مال جرجس فبكي ظناً
 منه اننا جئنا نطالبه به

حوادث دنقلة

دنقلة إقليم من أقاليم السودان المصري وحده من جهة الشمال
 (خورد موسى باشا) وهو يبعد عن حلفا بنحو خمسة أميال ومن جهة الجنوب
 حدود مقاطعة بربر واقسامه احد عشر قسماً أربعة منها في الشمال وسبعة
 في الجنوب
 وسكان الاقسام الشمالية هم قبائل (سكوت والمحس) والداقلة يسكنون

الاقسام الوسطى. والجهات الشمالية أرضها قالة مكسوة بالحجارة الا ان النخل فيها كثير ومحصوله جيد وبه قوام مايش السكان خلافا للاقسام الوسطى فان أرضها خصبة وطريقة الري فيها بالسواني وهي تجود بمحصول وافر من الجيوب وفيها النخل أيضاً لكن محصوله لا يذكر في جانب محصول الجهات الشمالية وسكان هاته الاقسام خليط يطلق عليهم (الذناقلة) والغالب على اخلاقهم الهدو والسكينة أما سكان الاقاليم الجنوبية فهم قبائل الشايقية وأرضهم تشبه الاراضى الشمالية والحاصل ان عوائد سكان دنقلة متقاربة متشابهة



ذكر الشيخ الهدي

كان في احدى قرى الشايقية التي بين الخرطوم وشسندى رجل اسمه (الشيخ الهدي) وكان صاحب طريقة وله صداقة مع محمد الخير داعية بربر وبمد هلاك حملة الجنرال هيكس وقد هذا الشيخ على المهدي فاكرم وفادته وقدم له الهدايا وتلقاه بالاكرام ثم عرض عليه ان يقوم بالدعوة له في مديرية دنقلة فاجابه بالقبول فكتب له بالامارة على قبائل الشايقية كلها وبالدعوة له في مديرية دنقلة ثم غادر الشيخ الهدي كردفان مع محمد الخير داعية بربر واشتغل معه في حصار بربر ثم انفذ خاله (ولد عبود) أحد افراد قبيلة الشايقية الى اقسام دنقلة الجنوبية فنارت معه قبيلة الشايقية واعانت خلع طاعة الحكومة ورفعت لواء المصيان وقبضوا على ستة عشر جندياً واثنين صف ضباط كانوا جياة في هذين القسمين وقطعوا اسلاك التلغراف وأسروا عماله

ولما وصلت تلك الاخبار الى المدير مصطفى ياور باشا انتدب الضابط أحمد افندي سليمان ومعه عشرة عساكر من النظاميين لاكتشاف الاخبار

وما كاد يبلغ محل الثارين حتى قبضوا عليه وعلى جنوده العشرة بعد أن اطلقوا النيران على العدو الذي لم يتمكن من القبض عليهم الا بعد ان نفذت ذخيرتهم وبعد ان هموا بقتل أحمد أفندي سليمان وجنوده ارجأوا قتلهم الى الغد واعتقلوهم في منزل رجل اسمه الخليفة أبو بكر وكان صديقا حميلا لأحمد أفندي سليمان وما كاد الليل يرخي سدوله حتى أطلق الخليفة أبو بكر أحمد أفندي سليمان ومن معه مركبوا دوابهم وفروا وفي الدفة داهم فبمشوا خلفهم نحو مائتي راكب فلم يدركوهم وعادوا بغير طائل ولم ينتقوا من الخليفة أبي بكر لما بينه وبين العصاة من روابط الجنسية

ولما وصل أحمد أفندي سليمان الى مركز المديرية رفع الى المدير نتيجة ما أورثته فاجبر المدير ومعه مائة جندي نظامية على باخرة قاصدا جهة (الدبة) وكان ولد عبود ومعه زهاء سبعة آلاف مقاتل قصدوا جهة الدبة وكان بها نحو ثلاثمائة جندي بين نظاميين وباشبوزق وما كاد المدير يصل تلك الجهة حتى علم ان العدو منقسم قسمين في جهتين متقاربتين وانهم ممتنون عن الحرب حتى ينسلخ شهر رجب فاخذ المدير في الاستعداد وهاجم مركزي العدو فكان النصر حليفه حيث انجلى الهجوم عن انتصار المصريين وهزيمة الثوار وعا الامن الى ربوع دنقلة وقفل المدير راجعا الى مركز المديرية بعد أن حصن نقطة الدبة

ذكر واقعة الشيخ الهدي

لما وصلت أخبار الهزيمة الى الشيخ الهدي في بربر غادرها قاصدا جهة الدبة ومعه محمد خير بمائة جندي من داني من الذين انضموا اليه من جنود

الحكومة واستصرخ في طريقه بمئات الراطاب وأولاد قر الذين صاحبه
 رئيسهم زهان بن قروالدسليما بن زهان قاتل الكولونيل ستيوارت فاجتمع
 اليه نحو ستة عشر ألف مقاتل وصل بهم الي الدبة وفي ذات ليلة هجم بهم
 علي مركز الدبة وكان الظلام حالكا فما شعرت الحامية الا بالضوضاء حول
 المعتل فصويت مقذوفاتها علي المدو فسقط منه ألمان وسبعمائة قتيل
 وقتل زهان بن قرو وفر المهدي ومعه نحو خمسة آلاف مقاتل وفر الباقون
 ولحقوا ببلادهم وعسكر المهدي في جبل علي شاطيء النهر في جهة (الختانة)
 وفي ثاني يوم الواقعة وصل المدير ومعه فصيلتان من الجنود النظاميين ثم سار
 الي الختانة ومعه خمسمائة جندي فابتدره الدراويش باطلاق البنادق فحاط
 بموقعهم وهجم بمجنوده عليهم فلما أبصر المهدي الجنود هاجم عليه ولي
 الادبار ومعه قومه وغنم الجنود مسكرهم وفيه كثير من الاقوات واستولوا
 علي عشرين صندوقا مملوءة خرطوش بنادق رامنجتون ثم تأر المدير المدو
 مسيرة ست مراحل حتى خرج من حدود المديرية وقفل راجعا الي مركز
 المديرية وكانت هذه الواقعة في شهر رمضان سنة ١٣٠١

ذكر مخابرات المهدي مع مصطفى ياور باشا

تقدم لنا ذكر وقائع دنقلة وما نحن نذكر ما فاتنا فنقول
 لما حاصر أبو قرجة الخرطوم وظفر محمد الخير ببرر كتب المهدي
 كتابا مع رسول خصوصي الي مصطفى ياور باشا مدير دنقلة يدعوه فيه الي
 التسليم أو الحرب وكان الشيخ المهدي في بربر يتأهب للغارة علي دنقلة كما تقدم
 فادرك مصطفى ياور باشا حرج موقفه اذ كان جنوده لا يزيدون علي خمسمائة

جندى فمولى على دفع البلاء بالمخاتلة والحديمة فاستدعى المسيحيين الذين كانوا معه في المديرية وأسر إليهم انه مولى على دفع شر المهدي بالحديمة ريثما اتصل النجدة الانكليزية وانه سيدعوهم على رؤس الاشهاد في سراى المديرية ويعرض عليهم الاسلام فيجيبونه فصدعوا بما أشار به عليهم ثم استدعى رجالاً من ذوي قرابة المهدي المقيمين في دنقلة وأعلن أمامهم انه دخل في طاعة المهدي وانه صار عاملاً من قبله على إقليم دنقلة ثم دعا المسيحيين للاسلام فاجابوه وكتب الى المهدي كتاباً ضمنه دخوله في طاعته وشرح له كل ما فعله من اسلام المسيحيين واعلانه الطاعة فاجابه المهدي بكتاب سماه فيه مصطفى جابر بدل ياور لانه من أسماء الكفار على زعمه وضمن الكتاب تعييناً أياً على دنقلة من قبله وأمره بإبدال ملابس العساكر بالمرقات التي هي شعار المهدي ثم بعد ذلك حصلت وقائع الدبة والحانة التي تقدم لنا ايرادها

ولقد جاء ما أتاه مصطفى ياور باشا بنتيجة مرضية حيث استطاع حفظ البلاد مع قلة جنوده ريثما وصلت طليعة الحملة الانكليزية وساعد أيضاً على حفظ المديرية من السقوط في قبضة العدو وجود رجال اكفاء قاموا بتدبير الامور وخاطروا بنفوسهم في جميع الوقائع التي انتصر فيها جنوده مصطفى ياور باشا ونخص منهم بالذكر أحمد جودت بك وكيل المديرية وقتئذ فانه كان قومندان القوة المدافعة في واقعة الدبة التي انهزم فيها الشيخ المهدي شر هزيمة وقد أصيب وقتئذ أحمد جودت بك بطعنة رمح في جبهته أما الضابط أحمد أفندي سليمان الذي تقدم ذكر وقوده في قبضة العصاة وفراره منهم بواسطة صديقه الخليفة أبي بكر فانه كان قومندان القوة النظامية شهد كل واقعة كما انه شهد كل الوقائع

التي انتصر فيها عبد القادر حلمي باشا في جنوب الخرطوم مما تقدم لنا ذكره
ومن قواد الباشبوزق الصناجق نور الدين بك وماميش أغا وسليمان بك
جبريل ومن الضباط النظاميين الضابط سعد نبيه أفندي ومرسال كوكو
أفندي وغيرهم

ولما وصلت طلائع الحملة الانكليزية الى حلغا كان الشيخ الهدي معسكراً
في جنوب حدود مديرية دنقلة بعد هزيمته من الحتاة وكان قد وصل الى
دنقلة في غضون ذلك رسول الى مصطفى ياور باشا يحمل كتابين أحدهما
من المهدي والثاني من شخص يدعي الشريف محمود من أقاربه وكان مضمون
كتاب المهدي الى مصطفى ياور باشا أمره بتسليم المديرية الى الشريف
محمود والشخص اليه وكتاب الشريف محمود مضمونه انه تعين من قبل المهدي
أميراً على اقليم دنقلة وانه معسكر في بئر تبعد عن النهر بثلاث مراحل
اسمها (أم بليلة) فكتب اليه مصطفى ياور باشا يقول فيه اني لم اكن مصدقاً
بدعوة المهدي وان ما فعلته كان خديمة وحيث انك من أهالي دنقلة
فانت آمن اذا عزمت علي العودة الى وطنك مستظلاً بطاعة الحكومة
ولما عاد رسول الشريف محمود اليه في بئر (أم بليلة) واطلع على ما كتبه له مصطفى
ياور باشا أسرع بالفرار من ذلك المكان ولاحق بالشيخ الهدي الذي كان معسكراً
في جنوب حدود مديرية دنقلة في مكان اسمه (كورتى) وأخذ في الاستعداد
والاهبة للفرار علي الحسود وكان مع الشريف محمود حسن خليفة العبادي
ابن أخي حسين باشا خليفة مدير بربر أرسله الهدي للدعوة له في سعيد
مصر ومعه أيضاً رجل مغربي أرسله أيضاً ليدعو أهل طرابلس الغرب
وهاهي صورة كتابين اختيرتا من الكتب العديدة التي كتبها المهدي الى

مصطفى ياور باشا الاول منها في شهر رجب سنة ١٣٠١ والثاني في شهر رجب سنة ١٣٠٢ أي بعد سقوط الخرطوم وفي الاول من اللين والمجاملة ما يراه القارئ وفي الثاني من التهديد والوعيد بان النبي صلى الله عليه وسلم وعد المهدي بوقوع مصطفي ياور باشا في قبضته عاجلا أو آجلا ما فيه

—————

الكتاب الاول

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد
فن العبد الواثق بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الي مصطفى ياور امير مدينة
دقلة وتوابها كان الله له معين أمين ببد السلام والاحترام لا يخفى عليك ان
الدنيا ليست دار راحة وماهي الا ساعة فن لم يجعلها طاعة ويكتب رضاء
الله تعالى فيها ويكتف بالله ويجعل همه به واحدا لا يسلم من همومها وغمومها
ولا يد أن نذهب ويقع المفراط فيما لا يجوز منه بن الاله وال شهاد كما جاء
بذلك الوعيد في قوله تعالى « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع
كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله
شديد » واعلم أني داع الى الله ودال عليه وقد بشي الله تعالى رحمة لمن اتبعني
من أهل زماني ونقمة على من نصى الله وخالفني واني انذرتك قبل هذا
واوضحت لك الامر جليا وكتبت اليك بتوليتك ميراني جنك وما فعلت
ذلك الا لك وما وابت احدا غيرك كان في ولاية اليك الابهة لتأخذ ولاخذ
عنا ورؤية الصديق منه كحمة خاله الذي كان ميرا دارا فانه انا
عنه فتح مبدرية الابيض وصحبتنا وتخلص باخلاقنا وترينني تحمق بالصدق

والدانة المرضية على محبة كاملة لما رأينا فيه آثار الصدق، الأمانة والعدالة
والتخلق باخلاقنا والقيام بأمرنا على ما نحب ونرضى ولبناء على كافة نواحي
دارفور ففتحها وصديق في ارشاد أهلها وادخلهم جميعاً في طاعتنا فصدقوا
كامل الصدق فجزاه الله الخير والاحسان فقد زاد على ما ظنناه فيه ورقى أصحابه
ومن بنواحيه على حسن اليقين والرتوق برب العالمين وإيثار الآخرة وزهد
الدنيا في الانابة الى ما عند الله فجزاه الله عنا وعن المسلمين أجراً جزيلاً وأنت
ماولينك من قبل ان نرك الا لحسن ظننا بك في صدق ديانتك وطلبك
ما عند الله ومعرفتك شؤم الدنيا وداءها ومعرفتك قوة الله وقدرته على كل
شيء حتى لا تميل الى شيء الا الى رضى الله فان طاعة الترك بمد نظور
المهدى كفر وضلال كما هو وارد فان قويت سريرتك واشتد عزيمتك على
ذلك كما ظننا فيك فانت مؤتمر منا كما أمرناك والا فان علمت من نفسك
ضعف يقين وعدم طاقة على مقابلة الترك وبنائهم، قطع الاخبار عنهم
فأت الينا لتزيد يقينا وتمكيناً وتكسب نوراً وتحمية حتى يسقط من قلبك
الالتفات الى الاولاد والاهل والحشية من غير الله والطمع فيه بما نريك
اياهم من الارشاد والتربية التي خصنا الله بها دون أوليائه الكرام وهو
ذو الفضل العظيم وقد علمت ثواب الهجرة والجهاد في سبيل الله من قول
الله تعالى « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأمراضهم وأفسهم
أعظم درجة عند الله وأولئك هم المنازون بإذنهم ربهم ربهم ربهم ربهم ربهم
وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدون فيها » الآية وقوله تعالى « فالدنيا باجروا
وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيل الله وقتلوا الكافرين منهم سيئاتهم
ولا دخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار من عند الله والله عنده حسن

الثواب « فمن كان مؤمناً مصداقاً بكلام ربه وعظمة وعده ووقوع ذلك يقينا
 يؤر ما ذكر على ملك جميع الدنيا وشهواتها ومتاعها ومقاساة الشدائد في ادراك
 الوعد المذكور ومن لم يكن مصداقاً بذلك مؤثراً له فذلك لعدم إيمانه وتصديقه
 لوقوع ذلك وتسفيهه لمن فعل ذلك ممن آمن بالله وآثر ما عنده فاستحق
 ان يكون ماله غنيمة وان يخذل في الدنيا ويحشر الى جهنم في الآخرة قال الله
 تعالى « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم » الآية وقد كتبنا
 اليك بقاً انك ان قتت باحد هذين الامرين فهو دليل صدق إيمانك
 وتسليمك والا فلا بد ان تقع في قبضتنا بقوة الله وحوله كما أشار الي ذلك
 سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ونسأل الله ان لا ينجيب
 ظننا فيك لاننا نحب لك الخير ونملك بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ان النرك لو أتوا عدد الشجر والمدر لا تقوم لهم قائمة كما بشرنا بذلك رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وان كثروا كورق الاشجار والرمال لو دخلهم
 احد من أصحابنا يموتون كما بشرنا بذلك الصادق الامين صلى الله عليه وسلم
 هذا والسلام رجب سنة ١٣٠١ (الكتاب الثاني)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد
 فمن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن عبد الله الى مصطفى ياور وفقه الله
 لطريق رشاده آمين. اعلم وفقك الله تعالى الى سبيل الرشاد وصرف عنك
 خيالات النفس وباعد عنك طريق العناد ان الهدى خير من الضلال وان
 الدار الآخرة لهي الحيوان وهي الدار التي أعدها الله لاصفيائه وأمناء دينه
 وندب اليها عباده المؤمنين في محم كتابه العزيز بقوله « وسارعوا الي مغفرة

من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين « ولا يخفى عليك
 أني طالما حسنت بك الظن ورجوت لك الخير وتوسمت فيك الديانة
 والامانة وأحببتك في الله وخالطتكم خطاب أهل محبة حتى اني من فرط
 ما حصل لي من محبتكم في الله أصدرت لك أمراً يختمى بجملك عاملاً من
 طرفي على عموم دنقلة رجاء أن تكون من الذين باعوا لله نفوسهم بالجنة
 وبذلوا مهجهم ونفائس أرواحهم في احياء السنة فظاهرتني هاتيام بذلك ثم
 نكث العهد وتمضته ومن نكث فاعلم انك على نفسه وجاهرت بالمداوة
 وبارزت وقتلت أخياراً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بمكرك وخديمتك
 ولم تخش الله ولم ترع حقوقه مع انك في الحقيقة مغرور مستدرج لم تدور
 عافية أمرك ألم تعلم أن الله بهل ولا يهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين
 فيا أيها الرجل ويحك تدارك نفسك واعتبر بمن مضى من قبلك فان العاقل
 من اعتبر بغيره والسعيد من دبر أمر نفسه ونظر صلاح العواقب والكيس
 من دان نفسه وعمل لما بعد الموت واعلم ان الله يعلو للظالم حتى اذا أخذه
 لم يفلته فان جميع ما حصل لك فهو استدرج من الله عاقبته الحسرة والندامة
 فأعمل فكرك وأعد نظرك واعلم أن الامر لله يعطيه من يشاء من عباده
 وكفالك ما حصل منك من مبارزة الله بالمداوة وشدة أزر أعدائه الكافرين
 والاستعانة بهم على قتال المسلمين أما علمت قوله تعالى في محكم كتابه « يا أيها
 الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم
 منهم فانه منهم » وقال « لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالموودة
 وقد كفروا بما جاءكم » الآية الى غير ذلك من الآيات الناهية عن موالاته
 الكافرين على ان ما أنتم عليه من نقض اليهود وعداوة الله المعبود والركون

الى المكر والحديعة. الحيل الضعيفة الشنيعة لا يغني عنكم من الله شيئاً ولا يدفع
 عنكم المقدور ولا بد بعون الله من وقوعكم في قبضتنا ولو صعدتم السماء
 بسلم فانا نبشرون من سيد لوجود صلى الله عليه وسلم بالنصر على من عادينا
 ونملك جميع الارض ولا يفرنكم ما حصل لكم من الاستدراج ولا ما رأيتوه
 من استعدادكم والنصارى الذين معكم فان قدرة الله لا تقاوم وبطشه لا يصادم
 وكم أهلك الله من الامم قبلهم بمن هو أشد منهم قوة واكثر جمعا ولم يغن عنهم
 ما اعتمدوا عليه من دون الله شيئاً وحيث انك تدعى العقل وتزعم انك من
 أهله فاعتبر بذلك واعلم علم اليقين انك ان أنبت الى الله وندمت على ما فرط
 منك وأنبتنا نادماً نائباً فانك مؤمن ومعفو عنك في جميع ما مضى منك عفواً
 خالصاً لوجهه تعالى ومقبول عندنا غاية القبول ولا نقول لك الا كما قال يوسف
 عليه السلام لاخوته «لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين»
 وان أحضرت معك بعضاً من عمدة البلد كمحمد عبد القادر ساتي المشور
 بفقر تود ومحمد الملك حمد بارقو ومحمد بن الفقير محمد ابراهيم وصالح امام
 الجامع وسعيد أحمد فرح ومحمد الجليل ومحمد محمد كنيش فذلك أولي عندنا
 فاحضروهم فبهم آمنون منا ومعفو عنهم في جميع ما جرى ومقبولون عندنا ولا
 حرج عليهم وان أبيتم بهد هذا الا الجحود والاعراض عن الالابة الى الله
 المعبود وسلوك سبيل الضلال اعتماداً على المكر والحيل واعتزازاً بالخيال فاعلموا
 انكم ان تستطيعوا الخروج عن أسرة الالهية ولا بد من وقوعكم في
 القبضة ونذوقوا السوء بما صدتم عن سبيل الله وذنبكم عليكم فاناءة - أنذرناكم
 ولا رشادكم دللناكم ومن أنذر فقد أعذر أسأل الله لذي يضل من يشاء ويهدي
 من يشاء أنذر بحماكم من أهل الهداية الذين سمعت لهم العناية وأن يحلوا

هذا البيان منكم محل القبول انه اكرم مسئول هذا والسلام سنة ١٣٠٢ ٧ رجب

واقعة كورتى وقتل الشيخ الهدي

لما وصل الشريف محمود الى معسكر الهدي بلغ مصطفى ياور باشا انها
يتأهبان للجوم على الحدود فزحف عليهم في اربعمائة جندي بين نظاميين
وباشبوزق وكان قائد الجنود النظاميين الضابط احمد افندي سليمان والجنود
الباشبوزق تحت قيادة نورالدين بك وسليمان جبريل بك

ولما اقترب من معسكر الشيخ الهدي اطلق الجنود النيران فجاؤهم
الدرائش وهجموا على صفوف العساكر ببسالة غريبة حتى اذا صاروا على
مقربة منهم نحو مائة متر سقط من الدرايش ما تاقليل وقتل الشيخ الهدي
والشريف محمود والمغربي داعية طرابلس الغرب ونجا حسن خليفة داعية صعيد
مصر وولي الدرايش منزه مين لايلون على شيء وتمزق شملهم كل ممزق
وكانت عدة الدرايش نحو ستة آلاف مقاتل ولم يصب من الجنود
غير ضابط من الباشبوزق أصابته رصاصة في صدره ثم عولج ولم يم
وكانت هذه الواقعة في شهر ذي الحجة سنة ١٣٠١ هجرية

ذكر وصول كتشنر باشا الى دنقلة

كانت الحكومة مرتابة في صدق بقاء مصطفى ياور باشا ومن معه من
الحامية على الطاعة لان أخبار ممالأته التي تقدم لنا ايرادها كانت تصل اليها بصورة
توجب الشك وقد روى لنا الضابط احمد افندي سليمان انه كان يقرأ
وقئتذ في الجرائد الواردة عليه من مصر اخبر دخول مصطفى ياور باشا
والحامية في طاعة الهدي وكان الضباط ينجبون من الحكومة التي كان مصداقها

ياور باشا يشاورها في كل ما يدبره من الخديعة والمهارة
والظاهر ان ما كان يخبر به الحكومة مصطفى ياور باشا لم تكن تعتقد
صحته حتى ان الانكليز لما وصلت طليعة جيشهم الى حلقا انغذوا كتشنر
باشا وكان وقتئذ ضابطاً في أركان حرب الجيش الانكليزي وكان متكرراً
في زي مغربي ومتعماً بعمامة فوصل الى دنقلة والحامية زاحفة الى وافمة كورتى
التي سبق لنا ذكرها ثم تأكد عنده بقاء الحامية على طاعة الحكومة وقدم
نفسه للمدير فقبول بما يليق به من الحفاوة والاكرام ثم اتى هالك متجلاً لا
في أنحاء المديرية يرافقه وكيلها احمد جودت بك حتى وصلت الحملة الانكليزية
التي زالت مخاوفها بعد ان أوقف كتشنر باشا الحكومة على الحقيقة التي كان
فهمها ملتبساً عليها

وصول الحملة الانكليزية الى دنقلة

لانطيل على القاريء الكلام في سرد ما كان من أمر الحملة الانكليزية
التي أرسلت بعد تردد واحجام كانا السبب الاكبر لفقدان قائدها حيث صارت
هاته الحملة كأنها لم تكن وذلك لانها لم يكن الباعث لارسالها الا انقاذ فردون
باشا وقد علم القاريء انها لم توفق للقيام بهذا العمل
وفي أواخر شهر صفر سنة ١٣٠٢ تكاملت الحملة الانكليزية في (كورتى)
وتعين اللورد ولسلى قائداً عاماً لها وأخذت في الاهبة والاستعداد لتابعة السير
الى جهة الجنوب فقر الراى على انفاذ حملتين سير احدهما في طريق الصحراء الى
التمة في (عطور جقدول) وتسير الثانية في طريق النيل قاصدة بربر

حملة الجنرال ارل وقتله بواقعة كربكان

عين اللورد ولسلي الجنرال (ارل) قائداً لحملة النيل فسار من (كورتى) ومعه نحو ثلاثة آلاف جندي انكليزى ونحو خمسمائة زورق تقل الجنود المشاة أما الفرسان والطوبجية فانهم ساروا حياال القوارب في الضفة الغربية وكان الطابور الاول المصري من حامية دتقلة يسير في الضفة الشرقية يقوده البكباشى احمد افندى سليمان الذي كان قبيل قيام الحملة حائزاً لرتبة الصاغفول اغاسى فرقى الى رتبة بكباشى بناء على الشهادات الحسنة التى قدمها المدير الى اللورد ولسلي بخصوصه

واستمرت الحملة فى سيرها ثمانية ايام وفر أهالى القرى الى الجبلات الجنوبية وتركوا قراهم حتى بلغت جهة كربكان بالقرب من أبو حمد وهناك علمت ان نحو اللى مقاتل من الدراويش تحصنوا بجبل منيع ليقاوموها ويشوروا فى وجهها فانضمت القوة المصرية الى القوات الانكليزية فى الضفة الغربية وهاجت معقل الدراويش من الجهة الشمالية فاطلقوا النيران عليها ثم قسم الجنرال (ارل) القوة وترك قسماً منها يناوش العدو من جهة الشمال وهجم بالقسم الثانى على العدو من جهة الجنوب الغربي فاستولى على المعقل وقتل الدراويش عن بكرة أبيهم ولم ينج منهم غير خمسة أشخاص أصيبوا بجروح بليغة وأصيب الجنرال (ارل) برصاصة قضت عليه وتولى قيادة الحملة بعده الجنرال (بركنبرى) ثم صدرت اليه الاوامر بالعودة الى دتقلة وذلك على اثر وصول الاخبار بسقوط الخرطوم وقتل الطيب الذكر غردون باشا وكان بازاء كربكان نى الصحراء منهل اسمه (بيرسانه) اجتمع فيه زهاء الثين من

الدرأويش اخذوا لشنوا، الفارة على موقع الحملة ليقطعوا عليها خط الرجوع
فانتدب الجنرال برنكنبري البكباشي احمد افندي سليمان والطابور الذي يقوده
وأمره بالتربص خلف الحملة المطاردة أولئك فجرت بينه وبينهم عدة وقائع
كان الفوز له عليهم في جميعها وبقى معسكراً في كربكان اسبوعين ثم قفل راجعاً
الى دنقة

هذا ما كان من أمر حملة النيل وسيأتي ذكر حملة الصحراء ووصولها
إلى الخرطوم بعد سقوطها بيومين

واقعة ابو طليح

لما وصلت للمهدي أخبار وصول الجنود الانكليزية الى (كورتى) وأخبار
تقدمهم الى الخرطوم عن طريق (عطور جقدول) حيث انتهى سيرهم
الى شاطئ النهر في جهة المئمة التي كانت بواخر غردون باشا تنتظرهم فيها
كتب المهدي الى محمد الخير صاحب بربر يأمره بحشد الجيوش في بربر
لمقاومة حملة الجنرال (اول) وانتدب موسى بن محمد حلو شقيق خليفة الفاروق
وأمره بآيته الخضراء ومعه نحو ثلاثين الف مقاتل من أولى القوة والباس وهم
من رجالة (دقيم وكنانة) الذين ذكرنا خبر مبايعتهم للمهدي يوم ابتاز النهر
الابيض بعد واقعة (آبا) وشهدوا معه جميع وقائمه وحروبه وكان ذلك في أوائل
شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٢

وتقدم المهدي لتشجيع الجيش وسار معه نحو خمسة عشر ميلاً ثم ودعهم
بعد ان بايعهم على ان لا يتركوا الانكليز يلقون المئمة، فذهب منهم رفق من حية
ثم سار الجيش يقوده موسى الذي أطلس العنق لانسارد فهرب جميع القرى

الواقعة بين المتمة وأم درمان واستباحوا النساء ومكثوا في الطريق نحو أسبوعين حتى بلغوا المتمة مع ان المسافة لا تتجاوز أربعة أيام مع السير البطيء وفي أواخر شهر ربيع الأول سنة ٣ أبصر نصحي باشا وعساكره وهم في بواخرهم في المتمة جيوش الامير موسى زاحفة الي جهة (أبو طليح) وهي بئر في الصحراء تبعد عن المتمة بمسيرة ثلاث مراحل هذا ما كان من أمر المهدي أما الحملة الانكليزية قائمها سارت من (كورتى) في أوائل شهر ربيع الاول سنة ١٣٠٢ وعدد جنودها نحو الفين وقائدها السر (هربرت استوارت) فوصلت الى أبو طليح في النصف الثاني من شهر ربيع الاول وتقدم نحو دما الامير موسى بالثلاثين الف مقاتل الذين معه وانضم اليه بضعة آلاف من مقاتلة الجعليين فالقى بالحملة في (أبو طليح) وهجم عليها كما تهجم الاسود على الفرائس ولم يكن الاكلح البصر حتى اختلط المسكران وصارت المحاربة بالسلاح الابيض وعندئذ قتل القائد السر هربرت استوارت وتولى القيادة بدله الجنرال (بول) فتمكن من التقهقر تاركا أحماله وأثقاله في ساحة المعركة فاشتغل الدراويش بالنهب والسلب مدة وجيزة تمكن القائد في خلالها من إعادة النظام بين جنوده الذين أظهروا من البسالة والثبات ما حير العقول حيث كرتهم على الدراويش وأمطرهم نيرانا حامية فسقط من الدراويش نحو ستة عشر الف قتيل وقتل الامير موسى ونحو عشرين قائدا من قواده الذين هم من اكبر قواد جيش المهدي واكثرهم تمسكا وتصديقا بدعوته وتمسك بقية الدراويش باذيال الفرار وهم مذعورون لا يصدقون بالنجاة وقد رأيت رجلا منهم في أم درمان أصيب بجنون عقب هذه الواقعة فقال لي ان الانكاز شياطين وليسوا آدميين لانهم يمدون ان هزمونا في (أبو طليح) دخلوا

اجسامنا واحتلوا رأسي وانا لا أدري كيف ادفهم عن نفسي . ووصلت اخبار
هذه الهزيمة الى المهدي فكان من أمره ما تقدم لنا إرادته حيث عول على إسقاط
الخرطوم الذي جراه على الاقدام عليه عمر ابراهيم الصنjq الذي ذكرنا نبأ
فراره وبعد انتصار الحملة أرسل القائد كتابا الي المتمة قال فيه ما يأتي
نحن أول فرقة من جيش جلالة الملكة جئنا لكبح جماح الاشقياء
المترددين واتخاذ مدينة الخرطوم فان أردتم الدخول تحت طاعتنا فمليكم امان
الله وامن جلالة ملكتنا وعليكم ان تقابلونا جنوب البلدة ناشري رايات
الخصوع والتسليم واعلموا انكم ان لم تفعلوا ذلك يحل بكم ما حل بالدين
حاربناهم في أبو طليح وحينئذ تيجنون ثمار ما غرسته أيديكم والسلام
ولما وصل هذا الكتاب الي أهالي المتمة أخذوا البداة وعسكروا شمالها
وفي اليوم الثاني من شهر ربيع الثاني وصلت الحملة الانكليزية الي المتمة
وتحصن الدراويش في البلد فهاجمهم الانكليز بثبات غريب واحقت قناباتهم
ومقتدوفاتهم اضرارا كثيرة بمواقع الدراويش رمثاريسهم
واجتمعت الحملة بالبواخر التي كانت مرسية من غردون الاستكشاف
تحت قيادة محمد نصحي باشا وعسكرت الحملة في قرية (التبة) جنوب المتمة
وتحصنت فيها
وهنا نقول لو أبحرت الحملة منذ وصولها الي الخرطوم لما سقطت
ولكنها بقيت في المتمة خمسة أيام
وفي يوم السبت سابع ربيع الثاني أبحر (السرشاراس ولسن) مديرخبارات
الحملة لانكليزية على الباخرة (بردين) و(المحوين) قاصدا الخرطوم وكان سفره فيليل
غروب الشمس وسير بواخره ببطيئا جدا لانخفاض ماء النهر وامامه شلالات

وفي مساء يوم سقوط الخرطوم سمعوا الصباح على ضفتي النهر بسقوط
المدينة وقتل الطيب الذكر غردون فلم يصدقوا ذلك حتى كان يوم الاربعاء ١١ ربيع
الثاني ٢٨ يناير سنة ١٨٨٥ وكنت اذ ذلك في سجن بيت المال فسمعت الحراس
يقولون لبعضهم «شددوا الحفظ على الاسرى لان واخر الانكاز ستصل الي
الخرطوم اليوم» وركب المهدي وخلفاؤه ووقفوا في أم درمان والرصاص
والمقذوفات تتساقط على الباخرتين قبل ان تبلغ أم درمان نحو عشرين ميلاً
والراية الانكليزية تحفق فوقهما حتى وصلتا الي ملتوي النهر وهما قاصدتان
سراي غردون فاطلقت عليهم المدافع من طابية (القرن) التي لا تبعد عن السراي
باكثر من ميل وعندئذ أيقن السرشالس ولسن بسقوط الخرطوم وقتل
غردون فارتد راجعاً من حيث جاء ولما أبصر المهدي الباخرتين عائدتين نزل
عن دابته الي الارض وخر ساجداً شكراً لله الذي أوقع الخرطوم في قبضته
قبل ان يبلغها الانكاز

وفي اليوم التالي اصطدمت الباخرة تلحوين بحجر في (شلال رحام)
ففرقت وانتقل السرشالس وجنوده الي الباخرة الثانية التي غرقت أيضاً
بعد يومين واضطروا لأن يتحصنوا في جزيرة (ولد الحبشي) حتى تدركهم
النجدة من معسكر المتمة وبعد يومين ادركتهم باخرة انقذتهم بعد ان أحاط
العدو بهم وهاجمهم عدة مرات

ذكر تعيين عبد الرحمن النجومي لقتال الانكليز في المتمة
وفي يوم ١٥ ربيع الثاني سنة ١٣٠٢ شيع المهدي عبد الرحمن النجومي
وأبا قرجة والجيش الذي كان مهتماً لقتال الانكاز في المتمة وكتب منشوراً

الى ضباط وعساكر الحملة الانكليزية يدعوم فيه الى الاسلام وهما هي صورة
المنشور نقلا عن كتاب المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم . والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم . وبعد
فن العبد المذنب الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى كافة ضباط وعساكر
الانكليز خصوصا الاعيان والرؤس . أرشدكم الله الى اتباع سبيل النجاة قبل
البوس . وجمعهم من اللاتئين بجنابه العزيز آمين . انكم اذا تدبرتم بمقولكم
وتفرستم في قدرة خالقكم وعجزكم عن مقاومته علمتم ان مخالفته شنيعة ولا
ينبغي لكم الا امتثال أمره واجتناب نهيه والهروب منه اليه وقد أظهرنا
للدعاية الى حماه . والدخول في ساحة كرمه وعطاياه . فبيا الى ذلك واغتسما
سعادتكم قبل المهالك وسلموا تسلموا وأسلموا بؤتكم الله أجركم مرتين
ولا تعرضوا فتكونوا من النادمين كراشد ويوسف حسن الشلالي وعلاء
الدين وهكسى وغردون لانا أنذرناهم مرارا . ودعوناهم فما زادهم ذلك الا
فرارا . فذاقوا عذاب الحزن في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى والسعيد
من اتعظ بغيره وهذا انذار لكم فاذا بانتم وأردتم الفوز العظيم . والنعم
الدائم المقيم . فلبوا اجابة دعوتنا الى الله وبادروا بالتوبة قبل تعذرها عليكم وقد
توجهت اليكم جنود الله ولا طاقة لكم بمحاربتها ولكن من باب الشفقة
عليكم أمرناهم ان لا يحاربوكم الا بعد وصول هذا لكم وتحقق الالباء منكم
عن الاجابة وأن لا يؤذوكم ولا يترضوا لكم في شيء من حقوقكم الخاصة
اذا سلمتم ماعدا حق الميرى والاسلحة والجبائين فان سلمتم فعليكم أمان الله
ورسوله وأمان العبد لله وتكهنوا من ضمن أنصارنا وليس قصدنا استعباد

أحد ولا ارادة جاه ولا ملك في الدنيا ولا رغبة لنا في حياتها ولا في لئانها
 الفانية بل انما قسمنا لدلالة الى الله كما أمرنا الله ورسوله بذلك والا اذا
 خالقم فلا تقبل منكم صرفا ولا عدلا وسترون ما يحل بكم واصغوا بأذانكم
 الواعية لما أقول ان كانكم عقول فان الله تعالى قد اظهرني رحمة لمن اطاعه باتباعي
 ونقمة على من عصاه بمخالفتي وأيدني منه بالنصر والظفر وأمدني بهم رسله
 وأنبيائه ومثكته وأوليائه فلا يقدر على محاربتني الثقلان ولو كان بعضهم لبعض
 ظهيرا ولو شئت اقتبض الله سلاحكم بحيث ان أصحابي يقتلونكم ولا يقتلون ولكني
 اخترت بتوفيق الله تعالى الشهادة لهم في سبيل الله اقتداء برسول الله صلى الله
 عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم فاياكم والنور فان جند الله غالب وفي
 هذا كفاية لاهل العناية والسلام ٢٩ ربيع الآخر سنة ١٣٠٢

ذكر عود الحماية الانكليزية الى دنقلة

بعد انقاذ السر شارلس ولسن من (ولد الحبشى) عامت الحملة ان جيشا
 كثيفا تحت قيادة عبد الرحمن النجمي قادم اليها كما انه يوجد جيش من
 الجليلين معسكر شمال المتمة فنصبت أشباحا من الخشب يخالها الرأى
 من البعد فرسانا وأوقدت مصابيح من البترول ثم ارتحلت الحملة أول الليل
 في ظلام حالك وجدت السبر حتى بلغت منهل (أبو طلح) ولم يعلم أحد من
 الدراويش المعسكرين حوطها بمفارقتها (القبة) حيث كانوا يرون التماثيل
 فيظنونها الجنود واقنعة في حصنها وفي الليل يبصرون المصابيح فوق الحصن
 وهم لا يشكون في شيء من أمر بقاء الحملة وظلوا على هذا الحال ثلاث
 ليال وهم يطلقون الرصاص على المعقل وفي صبيحة اليلة الثالثة انكروا

سكوت الحملة عن مجاوبتهم فتقدم أحد الدراويش حتى صار على مقربة من الحصن فرآى التماثيل والمصابيح موقدة ليل نهار وعلم أن ضوء النهار هو الذي كان يجب نورها فرجع وأعلم الباقين وأسرع مع ثلاثة آلاف راكب ليلحقوا الحملة في أبو طليح وكانت غادرتها منذ ليلتين وصارت على مقربة من (كورتى) التي بها اللورد ولسلي فلم يعد في الامكان اللحاق بها

ووصل عبد الرحمن النجوى المتمة بعد ان غادرتها الحملة ببضعة ايام وفي آخر شهر جمادى الاولى سنة ١٣٠٢ وصلت الحملة الى (كورتى) وقدم السر شاراس ولسن تقريره عن سقوط الخرطوم ومقتل الجنرال غردون ولما وصلت أنباء مفادرة الانكليز للمتمة للمهدى سر بها وكتب الى محمد الخير أمير بربر يأمره بجمع الجيوش والتقدم الى حدود دنقلة وفي شهر شعبان سنة ١٣٠٢ أخلى الانكليز دنقلة وعقب ذلك دخلها محمد الخير واستولى على الاقليم كله وبلغت جيوشه جنوب حلفا ومن ثم صارت الاقاليم السودانية تحت سلطة المهدي وأخذ يخبر من حوله من الاتباع بأنه سيرحف على دنقلة بعد بضعة شهور ومنها الى القاهرة وبمات رسواير يحملان كتابين أحدهما برسم المنفور له الخديو الاسبق والثانى برسم سكان مصر وهامى صورة الكتابين نقلا عن كتاب المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن العبد المنتصم بالله محمد المهدي بن عبد الله الى خديو مصر لا يخفى على من نور الله بصيرته وشرح صدره ان الدين الذى يكون المتمسك به ناجيا عند الله هو دين الاسلام الذى جاءنا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونزل به القرآن من

الملك العلام قال تعالى «ان الدين عند الله الاسلام» وقال تعالى «ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه» وما سوي ذلك من الاديان فضلال يدعو الشيطان اليه حربه ليكونوا من أصحاب السعير ومن منحه الله تعالى عقلاً يميز به بين الحبيث والطيب لا ينبغي له ان يصرفه الا فيما ينتج خلاصه عند الله يوم تزل الاقدام. ويشيب الطفل ويشتد الزحام. والا كان أسوأ من البهائم حيث أضع حكمة تركيب العقل فيه ولا سبيل الى السلامة عند الله الا اتباع دينه. واحياه سنة نبيه وأمينه. وامانة ما حدث من البدع والضلال. والاناة اليه تعالى في كل الاحوال. وقد تأكد ذلك في هذا الزمان. الذي عم الفساد فيه سائر البلدان فان دسائس أهل الكفر التي ادخلوها على أهل الاسلام. وضلالاتهم التي مكنوها من فلوب الانام. قد أفضت الى اندراس الدين وعطلت أحكام الكتاب والسنة بيقين. فصارت شعائر الاسلام غريبة بين الانام. وتراكت الظلمات وانتشرت البدع وأيحت محارم الاسلام. واشتد الكرب على أهل الايمان. فصار القابض على دينه كالقابض على الجمر لتراكم البغي والمدوان. فعند ذلك اظهرني الله طبق الوعد الصادق رحمة لعماده لا تقدم من ظلمة الكفر الى نور الايمان. وأدلمهم الى الله على هدي منه ونيان. وطوقني بالخلافة الكبرى المهديّة. وخلق عليّ حللاًها البهيّة. وبشرني سيد الوجود صلي الله عليه وسلم بالنصر عليّ كل من يما ديني ولو كان الثقلين وبأن من يقصدني بمداوة يخذه الله في الدارين. وقلدني سيف النصر وأيدني بقذف الرعب في قلوب اعدائي يسى امامي أربعين ميلاً وأخبرني باني أملك جميع الارض وبان من شك في مهديتي فقد كفر بالله ورسوله ونفسه وماله غنيمه للمسلمين وبان الله قد أيدني بالملائكة الكرام وبالجن والاولياء احياء وأمواتا وهكذا من البشارات والمعجائب

التي يطول شرحها وكل ذلك بحضرة الملائكة المقربين والخلفاء الاربعة
والخضر عليه السلام وما كنت أترب هذا الامر لنفسي ولا سألت الله اياه
بل كنت أسأله أن يجعلني معيناً لمن يقوم به فلما أراد الله ما كان. وحتم الامر
عليّ من سيد الاكوان. فمت باعباء هذه الجملة واعتصمت بالله وتوكلت عليه
وأخبرت الحكمدارية باي المهدي المنتظر وقد كان بها محمد رؤف وما تركت
لاهلها في ايضاح هذا الامر شيئاً وأنا في انتظار الاختيار. وتسليم الامر لله
الواحد القهار. فما كان منهم الا أن ضربوا عما أخبرتهم به صفحاً. وطووا عن
قبوله كشحاً. وبادروني بداربة من غير روية ولا تثبت في هذا الامر الذي
الذي جشتم به من خير البرية فأبدني الله عليهم كما وعدني وهكذا سارت
جيوشك تأتي ثلة بعد ثلة وأقدم لهم الانذارات ولم تفهمم والله يؤيدني
وينصرني عليهم كما وعدني ويقطع دابرهم الى أن قلت حينئذ وتلاشي أمرك
فسلمت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم لاعداء الله الانكيز وأحلت لهم
دماءهم وأموالهم وأعراضهم فجاء الانكيز بكبرهم وخيلائهم واعتمادهم
على غير الله فلما سول الشيطان لهم ادرك نردونهم ياخرطوم وأيست من
هداية أهله وعلمت أن تكرر الانذارات لا يفهمم وحقت عليهم كفة العذاب
وصاروا مثل من قال الله تعالى في شأنهم « سواة عليهم انذرتهم أم لم
تنذرهم » الآية عجل الله بفتحهم واهلاك من فيه وأحرقت النار أجسامهم عياناً
كالذين من قبلهم اظهراً للحقيقة وتعجيلاً للمقوبة وصدق عليهم قوله تعالى
« حتى اذا فرحوا بما اتوا أخذناهم بفتنة » الآية ثم انذرت لانكيز فاووا
رؤسهم فوجهت اليهم طائفة من الانصار فقتل الله في قلوبهم رعب فولوا
هاربين بعد ان أهلك منهم من أهلك وشتت شملهم وهذا كله ليس بخاف

عيا. ولا زال حزب الله مقتضياً أثر بافهم وعن قريب يحصل به من الدمار ما يكون عبرة لمن اعتبر. هذا وإن أتوه من الصدق بوعد الله لا يرى لجميع ما في الحياة الدنيا من الفانيات قيمة ولا يألف على رفات من ملكها الذي ما له إلى الزوال وعظيم النكال. وإنما يكون مطمح نظر ال ما عند الله من النوال في دار الكرامة والافضال. فإن الدنيا لو بقيت للاول لم تنتقل للآخر. ومن هنا نعلم أن هذا الملك لم يصل اليك الا بموت أو عزل من كان قبلك وهو خارج من يدك بمثل ما صار اليك وحيث كان الامر كذلك فلا ينبغي لك ان كنت ترجو من الله نعيم الابد أن نأسف على ما فاتك من الدنيا ولو كان لدنيا بخذا فيرها فصدق الاظر واجمع عليك فكرك وندارك نفسك واسمع فيما ينجيك عند ربك اذا تمننت بين يديه وسألك عما جرت منك رسلم. صر اليه تسلم وما كان يحسن منك ان تتخذ الكافرين أولياء من دون الله واستمعوا لهم على سفك دماء أمة محمد صل الله عليه وآله لم لم نلم نسمع نوره تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتوحد منهم فإنه منهم» الآية وقوله تعالى «لا تتخذوا الذين آمنوا بالوثان من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم» الآية ونوره تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالموودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق» الآية وقوله تعالى «يا أيها الذين لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أتوا الكتاب من قبلكم الكفار أولياء» الآية وما هذه الطاعة لاعداء الله والله تعالى يقول «يا أيها الذين آمنوا ان ذليعوا ان ربنا آمن الذين أتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين الذين تسكنون في وائتم تنلى عليكم آيات الله» الى أن قال «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته لا

تموتن الا وأنتم مسلمون « الآية فاذا كنت ممن ينظر بعين بصيرته ولا يؤثر
متاع الدنيا الحسيس على نعيم آخرته فاعتبر بذلك وبادر الي النجاة والسلامة
المعتبرة وهي سلامة الايمان ونزه نفسك عن ان تكون في اسر أعداء الله
دائماً ولا تهلك من كان معك من أمة محمد صلى الله عليه وسلم واغسل
ما جرى منك بدموع الندم ولا تسكنرت بجاه الدنيا الثاني ولا بملكها الزائل
فان لله دارا خيرا منها وقد أعدها لعباده المتواضعين لجلاله قال تعالى « تلك
الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة
للمتقين » الآية واياك والركون الى أقوال علماء السوء الذين أسكرهم حب
الجاه والمال حتى اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهلكوك كما أهلكوا من
قبلك ففي الحديث القدسي « لاتسأل عني عالماً أسكره حب الدنيا فيصدك
عن طريقي أولئك قطاع الطريق على عبادي » ولا تغتر بقوة حصن بلدك
و كثرة أسلحتك وءءك الظاهرية ومظاهرة أهل الكفر لك فانها لا تغني
عنك من الله شيئاً وكم أهلك قبلك من الملوك أهل الحصون المنيعه من هو
أشد منك قوة وأكثر جما لما بنوا وعشوا في الارض مفسدين وليكن
في علمك ان أمرنا هذا ديني مبني على هدى من الله ونور من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومؤيد من عند الله بمجود ظاهرية وباطنية وما قصدنا
فيه الا احياء الدين واظهار آثار الانبياء والمرسلين ولا نريد مع ذلك ملكا
ولا جاهاً ولا مالا فان نور الله بصيرتك وخالفت النفس الامارة بالسوء
وقبلت هدينا وأنت الي الله بنية خالصة فليك أمان الله ورسوله واماننا وما
بيننا وبينك الا المحبة الخالصة لوجه الله تعالى ونكون نحن الجميع يداً واحدة على
اقامة الدين وإخراج أعداء الله من بلاد المسلمين. وفتح دابرهم واستئصالهم

من عند آخرهم ان لم ينيبوا الي الله ويسلموا وقد حررت اليك هذا الكتاب
وانا بالخرطوم شفقة عليك وحرصا علي هدايتك فارجو الله ان يشرح
صدرك لقبوله وبذلك علي صلاحك ورشادك في الدارين وها انا قادم الي
جنتك بجنود الله عن قريب ان شاء الله تعالى فان امر السودان قد انتهى
فان باردتني بالتسليم لامر المهديّة. والانابة الي الله رب البرية. فقد حزت
السعادة الابدية وأمنت علي نفسك ومالك وعرضك انت وكافة من يجيب
دعوتنا معك وان آيت بعد هذا الا اعراض عن طريق الفلاح والرشاد
فانما عليك اثمك واثم من معك ولا بد من وقوعك في قبضتنا ولو كنت
في بروج مشيدة وهذا انذار مني اليك وفيه الكفاية لمن أدركته العناية
والسلام علي من اتبع الهدى (الكتاب الثاني)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلوة علي سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد
فن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن عبد الله الي كافة سكان مصر حكاما
وتجارا وعمدا وغيرهم وفقهم الله وهداهم. ولر شانهم ولاهم. أمين. أهدي لكم
السلام وأعرفكم ان النجاة من عذاب الله انما تكون بالتمسك بيديه الذي جاءنا
به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد رأيتم ما ناله من الانداس الذي لا يخفى
ولما ان أراد الله إحياءه واظهار شعأره انجز موعده نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم فظهرني بالخلافة المهديّة. وأمرني بدعاية الخلائق الي العمل بالسنة المرضية
ومن عهد ظهوري بهذا المظهر الديني مازالت دولة الترك تجيش جيوشها
وترسل رجالها لمحاربتني من غير استناد الي دليل شرعي. ولا حكم شرعي. بل رغبة
في ملك الدنيا القاني الذي مآله الحسرة والندامة. ووجب عذاب الله يوم القيامة

وما زل الله يؤيدني وينصرني عليهم نصرا من عنده لا يحولى وقوتى وقد أهلك
 لله جميع عساكرهم الذين بالسودان علي يدي وأحرقهم بالنار عيانا شاهدتهم
 جمع من رآهم حين قتلتهم الله بسيفي وما ذلك الا اظهار الكفرهم وتمجيل
 لمقوتبتهم ولا شك ان جميع ذلك قد بلغكم وتواتر اليكم من الواردين وما
 زاتم عن الحق معرضين وعلى حب حطام الدنيا الحسيس عاكفين مع علمكم
 بان الله قد دم هذه الدنيا في جميع كتبه السماوية ولا سيما القرآن فقد كثر
 من ذمها فيه نكبي من ذلك «الاول» فما الحوه الدنيا اب واوروزنة
 وتمامها بتميم ونكارن الامول والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته
 ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطبا وفي الآخرة عذاب شديد ومتفرقة
 من الله برضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الفرور وقوله تعالى «وما هذه الحياة
 الدنيا الا لهو لعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان» وانظروا شأن الآخرة عنده
 أعدها لعباده المؤمنين وحمل لهم فيها من النعم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت
 ولا خطر على قلب بشر أكرمهم فيها بلنظر الى وجهه الكريم ودعاهم اليها
 بقوله تعالى «وسارعوا الى مفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض
 أعدت للمتقين» الآية وسبب تسميته هذه الدار القامية وعظم تلك الدار
 الباقية يلزمكم الاعراض عن هذا القاني الحسيس والسارعة الى حوز نعيم الابد
 النفيس ولا يخفى عليكم ما حصل منكم من الترابط في جنب الله وتربص لدوائر
 بحزب الله بالركن الى محبة نصرته أعماه الله ومع ذلك فقد ساء لناكم في جميع
 ما جرى منكم ان بادرتم الى اجابة دعوتنا والانتظام في سلك أصحابنا اول وصول
 كتابنا هذا اليكم ولا نقول لكم الا كما قال يوسف عليه السلام لاختوته
 «لا تثرب عليكم اللهم تغمر الله اككم وهو أرحم الراحمين» وليكن في عامكم

في أمر الدارين ما انتهى ونحن فامروا على جهنم بحزب الله قريبا ان
 شاء الله وما يكتبكم في الكتاب لا تمنة عليكم وخوفنا من أن يحل بكم
 من العذاب ما آل اخوانكم الذين خلتوا أمرنا وغرتهم الاماني واعتمدوا
 على قوتهم الظاهريه التي أسهم فطرة الله على كل شيء فان شرح الله صدوركم
 وتلقيتهم أمرا هذا بالقبول فأبشروا بخير الدارين وعايكم أمان الله ورسوله
 وأهله ثاني أنفسكم وأموالكم وأعراضكم أنتم وجميع من يجب دعوتنا معكم
 وان ضربتم من منالنا هذا صفحا فاعلموا ان الله تعالى قادر قاهر لا يبجزه شيء
 في الارض ولا في السماء وقد وعدني بالنصر وأيدني بملائكته وجنده وأوليائه
 وخبرني بملكي لجميع الارض وبانه لا يثبت اقتالي انس ولا جن ولا بدبادن
 الله من وتوعكم في قبضتنا ولرأيتكم نفاقا في الارض أو ساءا في السماء
 وسنعمون غداً في الكذاب فاعلموا ان الله ارفعوا أنفسكم رأما حوا عاقبة
 أمركم ودعوا هذا الاعراض وهي بسوات الدنيا المنفصة بالمال والاعراض
 وتسوتوا للقاء الله فان الدار الآخرة والحياه الآخرة وهذه الدار فدوات مدبرة
 فاتخذوها معبرة وبحكم وبحكم ان لم تتداركو نفوسكم وتنشلوها من هذا
 الوحل المفضي بكم الى الاطل واياكم ان تغتروا بقوة حصن باركم فان الله
 أقدر من كل قادر ركم أدلك فباكم من هل الحسب المبيعة من هو أشد
 دنسكم فرة واكثرهم انما يرون فيهم فله انهم لا يبنوا رعتوا في
 الارض من بين فاذنوا به الدار الى النجح والقدح فبل قص
 الجناح وسنذاهم بمرته اليكم وأذونكم به ولا داعي الى التظويل فان الهداية
 من الله اجليل أسأل الله أن يرزقكم رشادكم ويأخذكم بما أصيبكم الى طريق
 ساداتكم هذا والسلام

ذكر فداء القسوس والمسيحيين

لما سقطت الخرطوم أمسك اللورد ولسلي محمد عبد القادر وحاج شرفي محمد نور وشريف ساتي علي وعبد القادر عبد الكريم ومحمد ابراهيم وأحمد النجيب وحاج شرفي بن القاضي محمود وكلهم من أقارب المهدي وأنسابه وزجهم في السجن وهددهم بالقتل ان لم يكتبوا الى قريتهم المهدي يسألونه فداءهم بما عنده من الاسرى المسيحيين عموماً والقسوس خصوصاً فكتبوا كتاباً الى المهدي قالوا فيه انهم مهذون بالقتل لان يتداركهم بالفداء بما عنده من القسوس والمسيحيين مراعاة لحق القرابة فاجابهم بكتاب قال فيه ان المسيحيين الذين لديه فد اعنتقوا الاسلام ديناً وتشرفوا بصحبته والالتقاء اليه حتي انهم صاروا أقرب اليه منهم كما ان الذين أمسكهم اللورد ولسلي تجمعهم واياه جامعة الكفر ثم ختم الكتاب بموله لذوي قرابته لا بد من وقوعكم في قبضتنا انتم واللورد ولسلي وتذوقون السوء بما صدقتم عن سبيل الله وفي الكتاب تعنيف شديد لهم على جرأتهم بمخاطبته بمثل هذا الطلب ولما وصل كتابه الى اللورد ولسلي أطلقهم من السجن وانفق لهم العطاء وأعادهم الى وطنهم

هذا ولما علمت وأنا بام درمان بأمر هذا الفداء تذكرت ما قاله لي المأسوف عليه غردون باشا حيث قال لي انك لا تجد من يسعى في خلاصك من الاسر وقد ساء وقع هذه الحادثة في نفسي ونفوس سائر الاسرى المعريين الذين علموا ان حكومتهم لا تسعى في خلاصهم من الاسر الا اذا كانوا مسجونين ولكن خفف عني بعض ما أجده سعي السر غرانفيل باشا

سردار الجيش المصري في فكاكي من الاسر . على اني شكرته وان لم يقرن
سعيه بالنجاح ويبد الله كل شيء

ذكر توجيه الجيش لمحاربة سنار

ذكرنا ما كان من بداية الثورة المهديية حوالي سنار وما كان من اتخاذها
على يد عبد القادر حامى باشا

ولما سقطت الخرطوم في قبضة المهدي وجه ابن عمه محمد عبد الكريم
في نحو عشرين الف مقاتل لتضييق الحصار على سنار فوصل اليها في أواخر
شهر رجب وأحاط بها احاطة السوار بالمعصم وسنعود الى ذكر تلك الحوادث
حيث كان سقوط سنار بعد وفاة المهدي بثلاثة شهور

ولما ذهب المهدي لوداع الجيش خطب خطبة قال فيها ما يأتي
يا أنصارى الصادقين سيروا على بركة الله لقتال كفار سنار واعلموا ان
الله معكم عليهم وسينصركم نصراً عزيزاً لانكم حزب الله وأولياؤه . وهم
حزب الشيطان وحزب الله أقوى من حزب الشيطان وقد بشرني النبي
صلي الله عليه وسلم بفتح سنار قريباً وانه بعد انقضاء شهر رمضان تقدم
الى دنقلة ومنها الى مصر وفي العام الآتي نكون قد تجاوزنا مصر حيث نكون
على أبواب الحرمين الشريفين

ذكر انتداب الشيخ الحسين زهراء الى كسلا

انتدب المهدي الشيخ الحسين زهراء ومعه ابراهيم عالم الخلاوي ومحمد
حمزة البربري الى كسلا الاول والثاني بصفة نائين عنه ليعقد مع مدير كسلا

شروط الملع والثاني بصفة أمه لبيت المال

فساروا قاصدين كسلا وما كادوا يبلغونها حتى فاجأهم نعي المهدي
الذي بث في الحياة روح الثبات وأخذت تبارك في وضع شروط السلام وثما
يصلها الرأس ألول الحيشي الذي عاهد الحكومة الخديوية على اتخاذ حامية
كسلا وكان من أمره ما نأى إليه ضمن ما واثت تلك المدينة حتى سقطت منها
الذي حصل إمد و فاة المهدي

.....

ذكر وفرد عوض الكرمي أبي من زعيم الشكر بتمني ذلك في
ذكرنا ما كاز من أمر عوض الكرمي أبي من زعيم براء الشكرية
وامتناعه من الدخول في ديرة المهدي، وإصامه بقبيله في صحراء (دره)
بين النيل الأزرق ونهر (أبره)

ولما سقطت الشروط نفذ المهدي جيشا يبلغ ستة عشر ألف مقاتل إلى
قرية (رفاعة) أبرحضا منها إلى صحرا (دره) حيث باء بمرض الكرمي أبي
سن الذي فر من رجسه الجبين وتما بتمني ما كان من وديته وديونا
إليها علم أن المهدي رجح بأطرافه من ذلك في ببارته مع
على عم والد يسي ووضه على دره برباير وبقته بربير من خبيته لامة
على أنه نائب نادم ما رط منه ووسم منه في صحرا بربير
فذهب محمد صالح ساقى إلى الملك بربير له النبي بربير بربير الكرمي
والمر منك أن اصنع زياتة زياتة بربير بربير بربير
ما ضمرا أن متقم لربير بربير بربير بربير بربير
قبل أن يشوه المهدي بركه أمتو عاب بربير بربير بربير

وقال له كما أنني أطلب له المقوم من المهدي فأنني أطلبه منك أيضاً لأنك خليفة
الصديق وأمير جيش المهدي المشار اليه في الحضرة النبوية فتبسم التعاشي
بسبب هذا المدح وقال له ان عفوي لا يكون ا. تبعا لعفو المهدي فاجابه المهدي
بأنني عفوت عنه وأمر بادخاله ونفض التراب عن رأسه وباطلاقه من الجزير
ثم بابنه البيعة المعلومة والقي عليه التعاشي تلميحات فخواها أن لا يفارق معسكر
المهدي حتى المات وسنمود الى ذكر ما حاق به بعد موت المهدي حيث
قتله التعاشي صبراً وأقنى قبيلته كلها وصادر جميع أموالها والدوام لله

ذكر تعيين حسين باشا خليفة

داعية من قبل المهدي في قبيلة العبايدة

تقدم لنا ذكر حسين باشا خليفة مدير بربر وكيف كان سقوط المديرية
على يده. ونقول الآن ان حسين باشا المذكور غادر بربر على اثر سقوطها ولحق
بالمهدي في كردقان فالتقاء بالاكرام وعامله معاملة صديق لا معاملة أسير حتى
سقطت الخرطوم. وكان من يومئذ يتودد لعبد الله التعاشي ويظهر له
الاخلاص ويعرض عليه قدرته على القيام بدعوة المهدي بين قبيلة العبايدة التي
تسكن حوالى اسوان

وفي شعبان سنة ١٣٠٢ كتب له كتاباً بالامارة على قبيلة العبايدة فسار
من أم درمان في منتصف شعبان حتى اذا صار على مقربة من « ابو حمد »
وصل اليه كتاب من عبد الله التعاشي يدعو اليه المودة الى ام درمان
فعلم ان سبب ذلك وفاة المهدي فتابع سيره حيث لم يكن بينه وبين الخروج
من منطقة نفوذ المهدي غير يوم وليلة حتى بلغ الحدود المصرية آمناً وسلم للحكومة

أو امر المهدي المتضمنة تمينه أميراً على قبيلة العبابدة
ولما وصل حسين باشا خليفة إلى مصر صممت الوزارة على معاقبته فوجد
بين أعضاء الوزارة من دافع عنه وأقنع زملاءه بوجوب ترك معاقبته حيث
انه جاء طائفاً مختاراً ثم كان من أمره ما نحن في غنى عن إيراد

ذكر ضرر بخانة نقود المهدي

ذكرنا المقادير العظيمة التي ضمنها المهدي من الخراطوم من الذهب والفضة
وفي أواخر شهر جمادى الأولى جمع أمين بيت المال الصياغ وأمرهم أن
بضربوا نقوداً من الذهب على شكل الجنيه المصري مكتوباً على صفحة منها
(ضرب في مصر) وعلى الصفحة الثانية الطغراء العثمانية كما هو شأن الجنيه
المصري وزنة هذا الجنيه نحو ثلاثة دراهم من الذهب السناري الذي لا يشوبه
أقل زغل وقيمة مثل قيمة الجنيه المصري أي مائة قرش وأن يضربوا ريبالا من
الفضة زنته ثمانية دراهم منقوشة على وجهه (ضرب في المهجرة) وعلى الوجه الثاني
طغراء نقش فيها « بامر المهدي » وقيمة هذا الريال عشرون فرساً مصرياً
وبعد وفاة المهدي جمع التمايشي هذه المسكوكات وابدلها بالريال الذي
سماه « مقبول » وسيأتي ذكر ذلك في مكانه

ذكر ختان اولاد المهدي

كثيراً ما كان يبلغنا ونحن محصورون في الخراطوم ان المهدي مصمم على ختان
اولاد في جزيرة (آبا) التي جاءت به مرتبة المدينة فيها وكثيراً ما نقل انا الجواسيس
انه كان يقول لا يباعه النبي صلى الله عليه وسلم أمره بختان اولاده في

تلك الجزيرة وقد ردد غردون صدى تلك الاشاعات في جريدته التي كان
تكتبها يومياً زمن الحصار

وفي ذات يوم قال لي مامعناه «اني أرجو ان تحقق هذه الاشاعة حيث
يكون من وراء تحقيقها ما يخفف عنا ويلاط شدة الحصار» ويظهر ان المهدي
لقرط دهاثة كان يهد لنفسه اعذاراً للتقهقر الى الوراء اذا اضطر له يوم ما فكان
يذبح بين الناس انه مأمور بختان أولاده في جزيرة (آبا) لكي اذا اقتربت الحملة
الانكليزية من الخرطوم دون ان يظفر بها تقهقر راجماً وأظهر للملأ ان هذا
التقهقر لختان أولاده لالجبين او عدم قدرة على الوقوف في وجه الحملة الانكليزية
ولكن فسد أنه ظفر بالخرطوم وأمن شر الحملة الانكليزية فاقام
معالم الافراح لختان انجاله في أم درمان وذبحت نحو مائة بدنة من الابل
ونحو مائتي رأس من البقر والغنم وذلك غير ما فدمه الامراء من الهدايا
والمطاعم . وبالجملة انه اظهر في ذلك الاحتفال أهبة الملك والغني بالرغم عن
تظاهره بالتباعد عن تلك الاحتفالات وكان يزعم ان أمين بيت المال هو الذي
قام بها من عنده دون ان يكون المهدي عالماً بشيء منها

وكان أمين بيت المال يذيع ان المهدي كان لا يتناول شيئاً من خمس
الغنائم الذي يخصه بل كان يفوض له اتفاقه في سبل البر والاحسان وانه
انفق منه نفقات الاحتفال بختان أولاد المهدي الذي تم في السابع والعشرين

من شهر رجب سنة ١٣٠٢

ذكر تعيين حمدان ابي عنجة على جبال كردفان

حمدان أبو عنجة قائد الجهادة وأصله دولي من والى الترابشة وكان

منتظا في سلك عساكر الباشبوزق في دارفور بوظيفة (بولكباشي) أي قائد
خمسة وعشرين جنديا

ولما لحق المهدي بجبال (قدير) كان أبو عنجة جايا للحكومة في إحدى
جهات دارفور فاغتال مبلغا من الضريبة وفر بها إلى المهدي وهناك اجتمع
مع عبد الله التعايشي وصار من حزبه فجعله قائدا على (الجهادية) وصار من
أكبر انصار عبد الله التعايشي وسيأتي أنه فتح (قندر) من مدائن الاحباش الشيرة
وعلى كل حال فإن أبا عنجة ذو طباع شريفة وخلال حميدة ميمون الطالع
ذودها يعرف به كيف يتمكن من امتلاك قلوب الرجال بالاحسان واللين
ومن أطف ما سمته من ثقة ان المهدي أهدي أبا عنجة امرأة حسنة
كان أبوها صنجقا فاستاء أهلها وقالوا إذا وطئت بنتنا بملك اليمين أفلاتكون
تحت حر بدل أبي عنجة العبد فنقل إليه الخبر ومع أنه كان قادرا على التكيل
بهم لم يفعله بل استدعى أم زوجته وأعطاه ألف ريال وجواري وملابس
وهكذا فعل ببقية اصهاره ثم دس من ينقل أخبارهم له فقيس لام زوجته
ان صهره عبد فقالت انه والله فوق الاحرار وقيل لصهره مثل ذلك فقال
« دائما أصل الفتى ما قد حصل » والخلاصة انه أرضاهم بالاحسان والحري كما لا يخفى
اسير الاحسان

وقد أوردنا هذه العبارة للدلالة على دهاء أبي عنجة وان النجاح الذي
صادفه في جميع أحواله لم يكن غير نتيجة أعماله من أمثال هاته النادرة
وفي شعبان سنة ١٣٠٢ هـ أهدى التعايشي للمهدي رغبته في انفاذ حمدان
أبي عنجة إلى جبال (النوبة) حوالي كردفان للغزو وجلب الارقاء والماشية
فوافق المهدي على رغبته وسافر حمدان أبو عنجة في خمسة عشر ألف مقاتل

جاءهم مسلحون بالبنادق وأعطاه مدفماً جبلياً وذخيرة
وما كاد أبو عنجة يسير من أم درمان عشر مراحل حتى بلغه نعي المهدي
فكتب يستشير التعايشي في متابعة السير أو الرجوع فأشار عليه بالمضي لوجهته
فتابع سيره ونزا الجبال وغنم شيئاً كثيراً من الماشية والنفوس وكان يرسل
للتعايشي خمسها ولاخيه يعقوب بمضاً منها حتى كان من أمره مع محمد خالد
زقل ما سمعوا الي ذكره فيما يأتي

ذكر مرض المهدي ووفاته

في ليلة الاربعاء لاربع ليال خلون من شهر رمضان عام ١٣٠٢ هجرية
أصيب المهدي بأعراض حمية وفي مساء الفدفاع خبر مرضه بئر الناس فلم يكثر ثوا
به لانهم واثقون بما كان يمدهم به من أن المنية لا تدركه قبل أن يفتح مصر
والشام والسكوفة والحجاز

وفي يوم الخميس الخامس من شهر رمضان اشتدت به أعراض الحمى
فجئ اليه باطباء مصريين فقرروا ان الحمى من التيفوس وان حالته خطيرة
ووصفوا له العلاج ولما خرجوا من بين يديه زاروني بمنزلي وأخبروني بانه
لا يرجي له شفاء

وفي صبيحة يوم الجمعة أمر الخليفة عبد الله التعايشي أن يخلفه في صلاة
الجمعة خلافا لأمادته فانه كان لا يستخلف في الصلاة غير الخليفة على حلو وكثيراً
ما كان يستخلف رجلا من أهالي بربر اسمه احمد الجملي فقيل له ان الخليفة
عبد الله أمي لا يدري الكتابة والقراءة فكيف يخطب بالناس فقال لهم اذفموا
له ورقة الخطبة ومرره فليقرأ منها كلمتين أو كلمة فدعموا له الورقة وخطب

بالناس وصلى بهم وهم في غاية الاستغراب من جهله بالقراءة وتحريفه ألفاظ القرآن
وفي يوم الاحد ثامن رمضان اشتدت وطأة المرض على المهدي فكان
ينظر الى من حوله من النساء نظرا يدل على الحسرة على فراقهن وكأني
يخاطبهن بقوله « ما كنت أحسب ان هادم اللذات يزورني قبل ان اتمتع بثمار
فتوحاتي واتلذذ بالامر والنهي في المملكة الواسعة التي شيدت بناءها
بعد معاناة احوال تشيب الطفل الرضيع » وكان رفع صوته مستغنيا قائلًا
« لاله الا انت سبب انك انى كنت من الظالمين » . من يجرد من ملابسه
ويامر بالماء البارد فيصب على بدنه وباب ليلة الاثنين وحالته تنقل من سيئ
الي أسوأ ولا علم لاحد من الناس باشتداد وطأة المرض عليه غير الخلقاء وأمين
بيت المال وبعض ذوي قرابته

وفي يوم الاثنين تاسع رمضان سنة ١٣٠٢ عند أو اخر الساعة لرابعة
على الحساب العربي فاضت روحه وهو ملق على الارض محاط بخلفائه
ونسائه وبعض ذوي قرابته فصاحت بنته زينب امرأة الخليفة شريف وهي
اكبر بناته فوثب عليها زوجها ولطمها فسكتت وصاح احمد سليمان امين بيت
المال وخر مغشيا عليه حتى ظنوه قد فارق الحياة . أما الخلقاء فانهم اجتمعوا حوله
وتشاروا فيما يكون من امرهم فاظهر كل منهم تخوفه من افتضاح امرهم ون
موت المهدي لا بد ان يكون دامغة سيئة إذ به يظهر للملا كذبه فيما كان يعدم
به من فتح البلاد وامتلاك الارض كلها مما هو واضح على صفحات منشوراته
التي تقدم لنا ايراد كثير منها

وكان عبد الله التمايشي مندهشاً بعامل الفرح من جهة لان المهدي
أوصى له بالخلافة وهو في الرمق الاخير من حياته وهو جريحه أمرى كان

لا يؤمل من الناس الاتقياء له لان موت صاحبه جاء مكذبا لكل الدعاوي التي كان ينتحلها لنفسه ويمد الناس بها ولذلك كان التعايشي مع الخلقاء في الشوري كستطلع لأفكارهم ومراقب لما يبدو منهم من الطمع وعدم الثبات فأشار واحد منهم بوجود اخفاء موت صاحبهم واصدار منشور باسمه يقول فيه انه أمر من النبي صلى الله عليه وسلم بملازمة الاعتكاف على العبادة الى أجل غير معلوم وذلك اعتمادا على منشور صغير اصدره قبل مرضه بثلاثة أيام فال فيه « اني نصبت لسم الخلقاء ووليت عليكم النواب والامناء وجعلت الامراء تابعين للخلقاء فلا تقصدوني لقضاء شيء من مآرب الدنيا بل اتركوني للاشتغال بامور العبادة والانابة الى الله وكونوا على علم بان ماتصدرا قضاؤه على الامراء والنواب والامناء والخلقاء فان قضاءه متعذر على أيضا »

هذه خلاصة ذلك المنشور وقد نقل الي ثقة ان عبد الله التعايشي بعد ان سمع ما أشار به زملاؤه الخلقاء انصرف من مجلسهم وهو مضطرب كريشة في مهب ريح واجتمع بأناس من خواصه وقص عليهم أمر وفاة المهدي وما أشار به الخلقاء فآظروا له سوء منبهة هذا الاخفاء بعد ان يقف الناس عليه لانه مامن خفي الآسيعلن وان الاقرب الى السلامة أن يعلن امام الناس وفاة المهدي والبيعة لنفسه فلقنه الشيخ المكي ابن اسماعيل الولي من مشايخ الابيض الجملة التي قالها أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي « من كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ومن كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات » ولكنه أبدل محمداً بالمهدي في القائه فخرج على الناس بباب المهدي وقال لهم هذه العبارة فتقدم الشيخ المكي وبايعه وبايعه الحاضرون وهم يبلغون عشرة أشخاص ثم اخفروا قبراً في نفس الغرفة التي

مات فيها وقالوا انه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفن حيث قبض كما
دفن صلى الله عليه وسلم حيث قبض

ومن جهالتهم انهم لم ينزعوا امرقته عنه بل غسلوه من فوقها كما غسل صلى
الله عليه وسلم وكفن في ثوب واحد من خرقة (الدمور)

وفي منتصف الساعة العاشرة صلى التمايشي بالناس صلاة الظهر ثم
استدعى نحو عشرين رجلا من أقارب المهدي ودخل بهم الى الغرفة
واصطف الناس خارج الغرفة وبينهم وبين المسجد جداران فكانوا يسمعون
التكبير متقطعا من الغرفة فيكبرون وهكذا ظل الناس يكبرون على تكبير
من في الغرفة من الساعة العاشرة الى منتصف الساعة الثانية عشرة حتى تجاوز
عدد التكبيرات الثلاثمائة ثم انقطع التكبير حيث دفن الميت
وبلغني ان الخليفة على حلوا قال ان هذه التكبيرات قليلة بالنسبة لما هو
واجب لمقام المهدي

وبعد ان ووري بالتراب خرج التمايشي الى الناس ورقى المنبر وتلا
الآية «وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الخ» الآية ثم بايعه الناس وليس
فيهم من يجسر على القول بان المهدي مات كأنهم يجلون عنه هذا الامر وكثير
من الدراويش هموا بقتل من قام بهذا الخبر امامهم

هذا وقد ذكرت ان الاطباء الذين باشروا علاجه اخبروني باستحالة شفائه
وكنت أتوقع حصول فشل كبير وخلف عظيم بين اتباعه حتى انني لزممت
كروخي في يوم وفاته وأنا مترقب من وقت الي آخر ان يبلغني شيء أسر به وكان
لي خصي أخذ مني وصار من خصياني دار المهدي وكان بعد خروجه من يدي
يحتقرني ويهينني ولا يخاطبني بغير (يا ابراهيم فوزي) ولذلك كنت كره لقاءه

فدخل عليّ في وقت العصر وقال لي يا ابراهيم فوزي فقلت نعم فقال ان المهدي قد مات فكذبت أظير فرحا لكتني أخفيت ذلك وابتدروا ذهني ان ذلك الحصي ربما كان مدسوساً عليّ للوقوف على مبلغ شماتي بموت المهدي فأجبت على القور بأن قلت له كذبت أيها العبد لان المهدي لا يموت قبل ان يفتح الدنيا كلها ولا يموت في غير المدينة المنورة

وقد كتب التمايشي والخلفاء وأقارب المهدي منشوراً بنعيه الى جميع الجهات ملاًوه بخرافات يضيق المقام عن سرد هاهنا أنهم قالوا انه اختار الرفيق الاعلى ومنعوا من القول بأنه مات انما يقال انتقل من دار الدنيا الى نعيم الآخرة وانه استخلف التمايشي وأوصي بطاعته وفي المنشور تفسير لما وعد به المهدي من ملك الدنيا كلها حيث قالوا ان ذلك سيتم لاصحابه وعللوا ذلك بان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد بصيرورة ملك كسرى وقيصر له ولم يحصل ذلك بالفعل الا في ايام خلفائه رضوان الله عليهم أجمعين

وقد اضطربت الروايات في مرض المهدي وموته فقال البعض انه مات مسموماً من احدى النساء اللواتي أخذهن سبياً من الحرطوم ولكن الحقيقة هي التي أوردناها اذ لم يتناول المهدي سما ولا غيره بل مات بالحمي التيفوسية كما تقدم

ذكر طرف من سيرة المهدي

كان له صاحب دهاء وحيل ولكن المتأمل اللبيب يجد في اخلاقه شيئاً من البدع طموح للمعالي و... أوردنا في ترجمته انه كان صريداً عند الاستاذ الشيخ محمد شريف بن الاستاذ الشيخ نور الدايم بن الاستاذ قطب

الطريقة السامية في الاقطار السودانية الشيخ أحمد الطيب
 وصار من أمره مع استاذہ ما أوردنا طرفاً منه آنفاً وفي ابان دعوته
 سراً أبلغ الاستاذ الشيخ محمد شريف الحكمدارية كل ما دبره فلم يلتفت
 الحكمدار محمد رؤف باشا الى بلاغه مع انه أطلعه على كل مخبائه وما عقده
 مع الرؤساء في جهات النيل الابيض وكردفان من اليهود وما أخذہ عليهم
 من المواثيق

ولما ظهر بدعوته في جزيرة (آبا) أرسل بلاغاً الى الحكمدارية ثم نلتہ
 واقعة (آبا) فانبرى لتكذيبه عدد ليس بقليل من العلماء فالتوا الرسائل مشحونة
 بالادلة الشرعية على بطلان تلك الدعوى وكذب مدعيها

ولما كانت تلك الرسائل مما يتعذر علينا إيراد بعضها هنا اذ فيها بالاشارة
 اليها فراراً من التطويل الذى يمله القراء

ومن هاته النصائح قصيدة ألفها استاذہ الشيخ محمد شريف أبان فيها
 أحواله في بداية أمره حيث قال انه كان صواماً قواماً لا ينام الليل منذ
 دخل في سلك الطريقة . وكان نهما يأكل كثيراً ولكنه منذ بداية أمره كان
 يخفي شرهه ليظهر امام الناس بالقناعة والزهد

وكان يلبس المرقمة مثل سائر دراويشه . أما اوصافه فانه كان طويلاً القامة
 أسمر اللون بخضرة عريض المنكبين مفتول الساعدين ضخم الجثة عظيم
 الهامة واسع الجبهة ألقى الانف واسع القدم والعينين مستدير اللحية خفيف
 المارصين أسنانه كاللؤلؤ وفي الفك الاعلى فلجة بين الأسنان حتى كنى
 بابي فلج

وبالجملة فانه كان ذا صورة جميلة جداً بين السود أمثاله وكان يعمم على

فلنسوة من نوع ما يتعمم عليه أهل مكة وسمامته كبيرة منفرجة من الامام
يرسل عذبة منها على منكبه الايسر حتى تتجاوز سرتة ويضع على منكبيه رداء
من (الدمور) ويتمنطق بمنطقة من الخوص أو مخرقعة من الدمور ويلبس نعل
تشبه نعال أهل مكة مصنوعة في السودان وكان لبسها مخصوصا بالاعراب
والضعفاء ويطلق عليها اسم (الشقيانة) اي نعل الشقاء فأبدل هذا الاسم باسم
(السميدانة) اي نعل السعداء ويحمل على الدوام في يده اليسري أو على منكبه
الايسر سيفا زعم انه سيف النصر الذي أهده له النبي صلى الله عليه وسلم
ويتوكأ على هراوة طويلة مصنوعة من النحاس مكسوة بجلد أو هراوة من
النوع المعروف باسم (خيزران)

هذه أوصاف المهدي أوردناها هنا وقد رأينا صوراً كثيرة يقال انها
صورته ولكنها كلها صور خيالية تبعد عن الحقيقة بمسد السماء من الارض
ولذلك لم نأت بصورة منها في هذا الكتاب لعلنا بعدم انطباق واحدة منها على
شيء من صفات المهدي وكذلك كل صور التعاشي خيالية أيضا لا تقرب من
الحقيقة مطلقا

وتوفي المهدي وعنده مائة امرأة وعشر منهن أربع أطلق عليهن اسم
أمهات المؤمنين . احدهن عائشة بنت ادريس وأصلها من بلاد دكرور في
السودان الغربي تزوج بها في جبال (قدير) علي أثر موت زوجها قتيلاني واقعة
يوسف باشا الشلالي واسمه آدم الاعيسر وكان متزوجا أيضا بزینب بنت المهدي
وبعد قتله تزوج بها الخليفة شريف

وكان المهدي يقول ان عائشة بنت ادريس بمنزلة عائشة بنت أبي بكر
رضي الله الله عنهما وولدت له اثني اسمها زهراء تزوج بها يعقوب شة ق

التعايشي بعد وفاة المهدي

والثانية فاطمة بنت احمد شرفي الدنقلوي كانت روجة أخيه محمد الذي قتل في واقعة الابيض وكان المهدي متزوجا باختها وله منها عدة أولاد فماتت أختها وقتل زوجها فتزوج بها المهدي وجعلها من أمهات المؤمنين ولم ترزق منه غير ولد اسمه الكامل مات رضيعا ولها أم اسمها حليلة كانت تنزي بزى الرجال وتقلد السلاح وتركب الخيل وكانت تصدر للوعظ في مجالس الرجال وتقول لهم تمسكوا بالله ورسوله ومهديه وابن مهديه الكامل وأم المؤمنين والدته وجددة الكامل فانه لانجاة للانسان في الآخرة الا بهؤلاء فأحضرها التعايشي وزجرها ومنعها من مخالطة الرجال وتوعدها ان عادت الى مقالها هذه فصدعت بالامر أمامه ولكنها لما خرجت الى الناس قالت لهم ان التعايشي يحسدني كما حسدت قريش النبي صلى الله عليه وسلم

والثالثة فاطمة بنت حاج وهي بنت عمه التي تقدم لنا ذكر زواجه بها في الخرطوم وانه طلقها لما ألت عليه بوجوب السعي للارتزاق من صناعة المراكب ثم راجعها بعد حاقه بجزيرة (آبا) وبعد زواجه بنت أحمد شرفي. وله منها ثلاث بنات تزوج عبد الله التعايشي باحدهن بعد وفاة أبيها وتزوج الثانية الخليفة على حلو

والرابعة فاطمة بنت حسين الحجازي وهي مصرية من أهالي مديرية الحدود استوطن أبوها في جهة تقرب من جزيرة (آبا) وكانت متزوجة بابن عمها صالح الحجازي وكان المهدي قبل دعواه يختلف الى بيت زوجها الذي كان مریدا له وكان لا يحبها عنه لفرط اعتقاده في صلاحه فأضرت

لزوجها رغبتها في أخذ أوراد الطريقة عن المهدي فأذن لها ولقنها المهدي أوراد
الطريقة فظهرت بمظهر الزهد والعبادة وفرت من بيت زوجها ولحقت بالمهدي
في جزيرة (آبا) فادركها زوجها وسألها عن سبب خروجها من بيتها فقالت
اني لأقوى على التقييد بقيود الزواج لاني أصبحت لأميل لتسير العبادة
والانقطاع للصوم وقيام الليل فلم يشك زوجها في أنها كذلك فسأها بقاءها
على ذمته بنير أن يطلقها على شرط أن تذهب الى حيث شاءت فبكت وقالت
اني أخشى أن يعاقبني الله على عدم رعايتي حقوق الزواج ولذلك أتوسل
إليك بجرمة شيخي وشيخك هذا وأشارت الي المهدي أن تطلقني فطلقها
ورجع الى منزله وكان هذا كله مدبراً بينها وبين المهدي وقبل أن تنتهي العدة
الشرعية سمع صالح الحجازي ان مطلقة زوجته بشيخه وشيخها فاحتمد غيظاً
وحمل السلاح وهجم على المهدي وأطلق عليه الرصاص فأخطأه وكانت فاطمة
بنت حسين هذه في منتهى الجمال بيضاء اللون

وكان صالح الحجازي المذكور قد حضر معنا حصار الخرطوم وقص علينا
هذه القصة بنثر زيادة ولا نقصان

ورزقت فاطمة المذكورة من المهدي بنتا اسمها صريم وهي التي تزوجها
التعاشي بعد فراق اخها كلثوم

ولما سقطت الخرطوم اكرم المهدي صالحا الحجازي ولم يعاقبه بشيء
وأصدر أمراً بعدم مصادرة شيء من أملاكه وبعدم نهب أمواله وكذلك
بنت عمه اكرمه وأهدت اليه هدايا كثيرة من الاموال والجواري والخيول
وسوى هاته الاربع نسوة نحو ثلاثين من بنات اعيان السودان اهداهن
له أبوهن مثل بنت محمد حمدام بر التي تقدم لنا ذكرها ونحو ثلاثين امرأة

من بنات اعيان المصريين في الخرطوم والبقية من الحواري اللواتي كن ومسات
فانه كان ذالوع شديد بهن حتى انه كان كلما فح بلدا ضم الى محظياته المشهورات
من موهساتها . وكان كثير الشبق شديد الولع بالنساء وطريقة اجتماعه بهن
انه يسكن غرفة منفردا فيها وساؤه الاربع توابن بطيب بقية النساء وتقديمهن
له في غرفته فيختار منهن من يشاء .

وعلى ذكر نساء المهدي وما استرسل فيه من فضاء الشهوات البهيمية
وكيف انتهك الحرمات في سبيل قضاء الاوطار نذكر هنا انه كان لا يضع يده
في يد امرأة ليست من نسائه ولا من محارمه وكتب منشورا قال فيه . من
صافح امرأة ليست من محاربه نانه يجلد ثمانين جلدة اسوط ويؤمر بصيام
شهرين متتابعين . فليتأمل التاريخ كيف ساخ له لمنع با الرثر كقولواآت
بملك اليمن وكيف تنال في عقوبة من صافح امرأة ليست من محارمه وقد زاد في
منشوره (ولو كانت المرأة طاعنة في السن أو صغيرة غير مشتهة) اهل اصبح
بعد هذا انطباق المثل المشهور ليه (بسنفي في الابرة ويبلغ لمدرة)

وأما اولاده الذكور فيبلغون المنز ذو كاد عمرهم لما توفي هو حوالي
العشر سنوات والبقية اطفال ليس لهم همة استماعي ذكرهم ولا كان ذلك لانه
منهم وهم الفاضل ومحمد والبشري وأمه فاطمة بنت أحمد نوري التي توفيت
في جبال (قدير) ويكنى المهدي باولاده الثلاثة المذكورين وكنيته باسم الثالث
أكثر شيوعا مع انه أصغر الثلاثة وذلك لانه ولد في جزيرة (آ) في مبدأ
دعوى المهدي ووزعم المهدي انه بشر بالمهدوية ليلته ولادته ولذلك سعى البشري
وأما أطممة المهدي فان الكلام عليها غريب في بابها فقد كانت يظهر
الزهد وعدم الميل الى الاطممة وبكثير "تنديد بالذين بأكون غير ماخشن من

الطعام وكثيرا ما كان يربط على بطنه حجرا حتى ذاع بين الناس ان الذين يأكلون الاطعمة الفاخرة كفار لا نصيب لهم من الاسلام ولذلك صار كل أحد يجتهد في اخفاء ما عنده من الاطعمة الدسمة ولا يخرج امام الناس الا خبز الذرة بادام الماء والملح أو (البليّة) وهي من حبوب الذرة تعلق بالماء وكان المهدي لا يخرج أمام الناس من طعامه غير هذين الطعامين

وقد تمالى المهدي في إظهار الزهد في اطعمة حتى انه منع إيقاد نار في بيته لطبخ أو خبز مدعيا ان ذلك يناهى التوكل على الله وكان الناس يقدمون له الاطعمة هدية وكنت ترى القصع محمولة الى منزله كل يوم تعد بالمشات فيتناول النساء منها حاجتهن بغير ان يشتغلن بطبخ أو خبز

وأما الطعام الذي يتغذى به المهدي فانه يصنع كل يوم في منزل أمين بيت المال فكان يذبح الخرفان الحولية ويصنع ما يتبها من الحوي والقطائر وسائر الاطعمة الفاخرة ويرى لها الى منزل عائشة بنت ادريس وهي تقدمها الى المهدي وقت افراده في غرفته فكان لا يترك من الحروف الحولى غير عظمه عندما يتناوله من الاطعمة اللذيذة وقتي الغداء والعشاء أما الفطور فانه كان يتناول فيه ألوانا كثيرة كلها من الحلوي فمنها انهم يمزجون رطلا من السمن بمشله من المسل ويضمونه على اللبن ويطنخونه مع دقيق الحلبة وتارة مع دقيق الدخن وأخرى مع دقيق البر ولا يكاد يشرب ماء الا ممزوجا بحامض لبن الابل مع السكر ومع هذا الانغماس في الملاذ كان يظهر أمام الناس بمظهر القناعة والزهد والتشرف كانه لا يملك من نعيم الدنيا غير صرخته التي هي واحدة وكان يكثر من التطيب بالروائح الحارة مثل عطر الصندل والمحب فكانت رائحته تشم من البعد والبسطاء يعتقدون انها رائحة الجنة تتضوع من عرقه

وقد خرج من الدنيا ولم يدخر لاولاده شيئاً من المال كما انه لم يترك
عند نسائه حلياً ولا شيئاً من ضرور الزينة لانه قد كان حرم على النساء التحلي
بجلى الذهب والفضة وغاية ما يتحلى به خرز من الزحاج والمرجان
هذا وقد ذكرنا انه ابطال تقليد المذاهب الاربعة وأصدر للناس
منشورات ضمنها كثيراً من العبادات والمعاملات

ومن غرائب مذهبه انه تعمد الاجحاف بحقوق النساء في كل ما لهن
وما عليهن فقال لا يلزم الرجل بنفقة امرأته مادام من المجاهدين في سبيل
الله وقال ان مهر العذراء لا يزيد على عشرة ريالات ومهر الثيب خمسة ريالات
ومن زاد على ذلك صودرت أمواله. وكان يجبر أولياء المرافة على تزويجها بئى شخص
كان من غير نظر الى كفاءة أو تعادل بين الزوجين مادام الزوج من المجاهدين
في سبيل الله. وبالجمللة فان النساء في مذهبه ك مخلوق ليس من نوع الانسان
وقد سار اتباعه على سيره فكنت ترى عشرات النساء اللواتي أخذهن الامراء
سياً من الخرطوم وغيره من المدن يتضورن جوعاً داخل البيوت ولا يقدم
لهن أولئك الامراء غير قليل من طعام الذرة فاذا ضمنت احداهن وشوه
الجوع محاسنها أعطاهم مولاها اذا بالذهاب الى منزل أهلها ان كان لها أهل
فيطمعونها حتى تستعيد نضارتها فتعود الى منزلها

ولقب المهدي عبداً من عبده بلقب (خليفة زيد بن حارثة) رضي الله
عنه ولقب آخر كان يؤذن له (بخليفة بلال المؤذن) ولقب كثيراً من أصحابه
باللقاب خلفاء الصحابة رضوان الله عليهم . أحمد . ركب . شير . في كردفان
أمر فيه الناس أن لا يذكروا اسمه الا متروياً . سم . ك . بي
وكانوا قبل ذلك يذكرونه مقروناً بالرضوان ثم كتب . مسود . اخر . . . فيه

ان النبي صلى الله عليه وسلم اجتمع به وقال له عليك السلام يا مهدي الانام
انك لجدير بهذا المقام وانك افضل من بعض الانبياء صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين وكان كثير من الجهلاء ينادونه بالنبوة والرسالة فلا ينههم وربما
تبسم علامة على الاستحسان

ولكن وجملة القول ان المهدي على ما كان فيه من الزيغ والاحاد والزندقة
وقد ان الذمة فانه كان احسن سلوكا من عبد الله التعايشي وقد احسن الاستاذ
الشيخ محمد شريف حيث قال مها يكن المهدي ضالا مضلا فانه خير من
عبد الله التعايشي وان قال غيره (ان عبد الله التعايشي سيئة من سيئات المهدي)

ترجمة عبد الله التعايشي

نورد هنا ترجمة عبد الله التعايشي الذي افضت اليه خلافة المهديوية
وبموته انقرضت دولتها وركدت ريجها

ولد عبد الله التعايشي بجهة (الكلكة) جنوب دارفور وبالتقرب من
(شكا) من قبيلة بدوية اسمها (التعايشة) تسكن هذه الجهة وتميش بألبان ماشيتها
التي جلبها من البقر ولذا يطلق عليها اسم (بقارة) كما تميش من لحوم حصيد
ضواري الحيوان كالفيل وغيره

على أنه لم تكن قرابته لهذه القبيلة الا من جهة الارحام فقط
لان جده المدعو بعلي كان دكوروبيا استوطن بلاد التعايشة وتزوج
امرأة منهم فولدت له محمدا المشهور بلقب (ثور شين) والد عبد الله
التعايشي واخوة اقدم احمد المشهور بلقب (دي) وهو والد الامير محمود اسير
واقعة (ابره)

وكان جده يحفظ القرآن وكذلك والده ولندرة من يحفظ القرآن في
 قبيلة التعايشة حاز أبوه شهرة كبيرة لكنه كان فقيراً لا يملك شيئاً من المال
 بل كان قوام مميشتته من صدقات أولى البر والاحسان
 وأما لقب (ثورشين) فمعناه الثور القبيح الخنقة وهذا اللقب من ألقاب
 القروسية بينهم وكلمة الثور منتهى المدح على الشجاعة عندهم أيضاً
 ومن عوائد التعايشة في صيد الأفيال أن من اصطاد منهم فيلاً تقوم
 امرأته وسط الحمي وتصرخ بسكانه وتقول إن زوجي الثور ابن الثور اصطاد
 فيلاً فهلموا إلي أخذنصيبيكم من لحمه فينسلون إلى الفلاة وهم يترنمون بالأشيد
 في مدح ذلك الثور الذي قتل لحم الفيل ومن مزروطهم الدخن والفاصولية
 وعندهم نبات يشبه الأرز ينبت في الفلاة دون أن يزرعه أحد
 وبجوار قبيلة التعايشة قبيلة من العبيد يطلق عليها اسم (بنضله) بينهم
 وبين التعايشة صلة المصاهرة والقراية وبجوار (الكلكة) بحيرة يصطادون
 منها السمك فيتركونه حتى يتمغن وتكثر ديدانه ثم يدقونه في الأهوان
 ويصنعونه أقعاقاً قاع السكر الأحمر ثم يطبخونه مع البامية الناشفة (الويكة)
 وهذا النوع يسمى (مندجي) وكان التعايشي يحب هذا الطعام كسائر
 قومه وقد سمعته مرة يعظ أقاربه التعايشة قائلاً لهم « إن اقصة في الجنة
 يبلغ عرضها ما بين أم درمان وجبال قديروهي مملوءة بطبخ المندجي أو المصيدة»
 وأم التعايشي اسمها أم نعيم وكانت ذات شهرة بين التعايشة لأنهم
 يعتقدون فيها اتقان الشعوذة فكان الناس يقصدونها للرقية وأخذ العروق التي
 بمقتد أهل السودان أن لها خواص للمحبة وقضاء الخوائج وإجاء أفواه
 الحيات والهوام السامة

وقد تزوجت بنحو عشرين رجلا والد عبد الله التمايشي أحدهم
وفي سنة ١٢٩٤ غادر التمايشي بلاده مع والده ممتطين عجلان من البقر
ود ذللاه بمخاطم على مألوف عادة البقارة لذين يذللون الثيران والبقر ويحملون
عليها أثقالهم من بلد إلى أخرى وكانا يقصدان الحج

ولما وصلا إلى بلاد الجمع في الجنوب الشرقي من كردقان توفي والده
بالجدري ثم مات العجل وبقي التمايشي بلا دابة فاعطاه أحد المشايخ حمارا
سار عليه حتى لحق بالاستاذ الشيخ محمد شريف ومكث عنده حتى كان
من أمره معه ما ذكرناه عند الكلام على اجتماعه بالمهدي

وكان التمايشي ذا دهاء وحيل فكان لا يجلس امام المهدي الا جاثيا على
ركبته منكسا رأسه إلى الارض حتى انه كان يزعم انه لم يقع بصره أبدا على
وجه المهدي وكثير من البسطاء يمتقدون صدقه

وكان يشجع المهدي على دعواه ويصف له قبائل دارفور وما عندهم من
العدد والعدد وما هم عليه من الجمالة وما يمكن ان يصادفه من نجاح
دعوته بين ظهرائهم فسره به المهدي وأمره بالعودة إلى بلاده كي يحضر
امرأته التي كان تركها في بلاده فذهب وعاد بها ومكث عند المهدي حتى صارت
واقعة (آبا) ويقول البعض ان المهدي أصيب برصاصة في ذراعه فاشار عليه
التمايشي باخفاء جراحه لئلا يمتقد فيه من حوله انه ليس ذا خاصية تميزه عنهم
فصدع بمشورته

وعندي ان هذا القول عار عن الصحة لانه لو أصيب المهدي في تلك
الواقعة لما اطلع عليه التمايشي وحده حتى يلتقه هذه الشموذة والحقيقة التي سمعها
ان المهدي اراد ان يركب فرسا في تلك الواقعة فقل له التمايشي

إذا لا يكون في مقاتلتك فارس غيرك ولا يشك العدو في أنك المهدي
فيصوب مقدوفاته عليك فترك ركوبها وركبها أحد اتباعه فانهال عليه رصاص
الجنود كالطير نقر صريحا يتخبط في دمه

ولما سار المهدي الى حبال (قدير) وكان التمايشي بقاريا مثل الاعراب لدين
التنوا حول المهدي في هاتيك الجبال صار يستمين به على تهذيب اخلاقهم
وطباعهم واستمالهم بالطرق التي تجذبهم اليه ومن ثم صار مشيرا للمهدي
ووزيرا مفوضا اليه كثير من الامور وكان أقارب المهدي يبنضونه ويحتقرونه
حتى أصدر المهدي المنشور الذي تقدم لنا إرادته بالثناء عليه فكفوا عن أذيته
وأسروا عداوته

وكان التمايشي يمالئ المهدي ويرضي بالقليل من العيش فكان لا يتطلب
من بيت المال الا ما يسمع له به أمينه (أحمد سليمان) الذي كان يبنضه ولا يعطيه في
الشهر اكثر من مائة ريال ويخص الخليفة شريفًا وأقارب المهدي بالنصيب الا وفر
من بيت المال وقد رأيت أحمد (دي) عم التمايشي ووالد لامير محمود يتسول على
منازل الناس وكذلك بقية أقاربه التمايشة الذين كانوا وقتئذ زهاء ثلاثين رجلا ولكن
ذلك كان قبل ان تفضى خلافة المهدي الى قريبهم

خلافة التمايشي

لما توفي المهدي وبويع عبد الله التمايشي ظهرت على الناس الكتابة سيما
أقارب المهدي وأحمد سليمان بيت المال فانهم كانوا في وجل شديد من منبة
انتقامه منهم أما هوفكما قدمنا كان اكثر منهم دهشة وأشدهم خوفا من موت
المهدي وما ينجم عنه من سوء المعاقبة وقد أسر لي ذوى قرابته أنه يخشى تقدم

جنود الحكومة الى أم درمان لاعادة ساطرها على تلك الاحياء ولذلك عول على الاتفاق مع الخليفين علي بن حلو ومحمد شريف علي ان يقتسوا البلاد فيما بينهم فيكون قسم التعاشي ايمليمي ك دقان ودارفور ويكون للخليفة علي بن حلو البلاد التي على ضفة النيل الابيض وسائر ما تبعتها ويبتدى ذلك من أم درمان الى الجنوب ويكون للخليفة محمد شريف شمال أم درمان والبلاد التي على النيل الازرق حتى دنقلا والسودان الشرقي برمته

وقد فاوض التعاشي ذينك الخليفين في أمر هذه القسمة فأظهر الخليفة علي بن حلو استياءه منها وقال ان بلاد النيل الابيض لا تكفيه ولا بد من اضافة بلاد النيل الازرق عليها فأبى الخليفة شريف وقال ان الاراضي التي في قسمه هي الحد الفاصل بين مصر والسودان ولا ريب انه سيقوم بالدفاع عنها ولذلك يجب ان تضاف كردقان الى نصيبه فلم يرض التعاشي بهذه القسمة فاتفقوا وفي نفس كل واحد من الحقة على الآخر ما لا يوجد.

أما التعاشي فكان يرض ما يدور بينه وبين الخلفاء على الحاج الزبير رئيس حراسه وفتنذ وكان من أهالي مديرية بربر فاخذ يثبط عزيمته عن اتمام هذه القسمة ويعسره بان البلاد كلها ستخضع له وانه يقدر على جعل الملك وراياً في آل بيته وان الخليفين علي حلو ومحمد شريف لا تخشي مغبتها ذهما فزان يخذعان بمثل اكاذيب المهدي وما ينتحله من الخرافات ويقول له ليس عليك من حرج انه اتيتهما من هذا السبيل فانهما ان ادعنا لك حفظا كرامة المهدي الذي فتح هذا السبيل وان كذباك فان العامة تصدقك كما كانت تصدق المهدي ويمكنك ان تنزع به هذا التكذيب الى اسقاط منزلتيهما والايقاع بهما

وعلى أثر ذلك اذعن عبد الله التعايشي لشريعة الحاج الزبير وعادل عن طلب الهجرة الى كردقان للاقتتال باملاكها كما انه من ذلك الحين طرح سرقة الرثة البالغة التي كان يلبسها قبل وفاة المهدي إظهاراً لازمه ولبس سرقة من نوع ما كان يلبسه المهدي وادم على قلنسوة مكية كالتي كان يلبس المهدي عليها وصنع له كوخاً من البوص في المسجد على هيئة مقصورة وأمر الناس ان يحدوا حدوه فصنع كل واحد منهم كوخاً في المسجد حتى اتت الاكواخ ببعضها وأمر الناس بترك صلاة الجماعة في أي مكان كان وان لا يصل أحده في أم درمان بجماعة خيره وشدد عليهم في ملازمة قراءة (راتب المهدي) في الصباح والمساء

وراتب المهدي هو أوراد وأدعية بعضها من المسببات التي تنسب لمولانا الامام الدردير ومنها ما هو من الادعية والتوسلات التي تنسب الى حجة الاسلام الغزالي ومع شهرة مصدر هذا الورد التي لا تخفي على غير الاغبياء ادعى المهدي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يلقه هذا الورد كله بكامة وحكى من فضائله وثواب من واظب على قراءته خرافات وكاذب يقصر القلم عن التعبير به بعضها منها ان من قرأها في نزل خمائة الف من الملائكة كالذين نزلوا يوم بدر ليحفظوه وينصروا وان تلاوته مرة واحدة تعادل تلاوة القرآن الف مرة ومثل ذلك كثير حتى قال المهدي ان المواظبين على قراءته ينالون مقامات الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم

وكان المهدي شدد في النهي عن قراءة الصلوات النبوية المعروفة باسم دلائل الخيرات مدنياً ان ثوابها نسخ برأيه وسبأ في غير هذا المكان مصادرة أموال من يتهم بقراءتها والحكم بكمالها وأمر بالامتناع من مواضعها

وليننا وخفض كثيراً من حديثه الى كانت معلومة عند العموم حتى ذع بين
الملا أن السكينة نزلت عليه وقال هو ان روح المهدي حلت فيه وان اخلاقه
لا بد ان تتبع الروح انما حلت

هذا ولم يكن القول بالتناسخ مذهب عبد الله التمايشي فقط بل هو
مذهب سلفه المهدي الذي كان يزعم ان روح النبي صلى الله عليه وسلم
حلت فيه

وجملة القول ان عبد الله التمايشي قبض على زمام البيعة وهو مضطرب
وكان لا يدري كيف يدير دفتها كما كان شديد الخشية من انتقاض الخليفة شريف
وقارب المهدي عليه اذ هم اشد قوة منه وأكثر عدداً من رجاله ولذا لبث
كأنه واحد من الخلفاء لا يقطع أمراً بغير مشورتهم ولا يعمل بغير ارادتهم
منتظراً ما يكون من أمر مدينتي سنار وكسلا اللتين كانتا على وشك السقوط

اول اكاذيب التمايشي

ذكرنا ان الحاج الزبير أشار على عبد الله التمايشي بولوج باب اكاذيب
المهدي فكان أول اكدوبة وضعها بعد مهلك المهدي بشهرين أن أصدر
منشوراً قال فيه ما يأتي

بعد ان أدت صلاة العشاء بالمسجد دخلت الى منزلي وبينما أنا جالس
في مصلاي اذ دخل علي شخص طارقي من رؤيته لانه لم يكن من نوع
الانسا لان رأسه كانت تناطح السحاب وخصيتاه جبليين عظيمين فلم أتمالك
نفسى من الحوف فصحت مستغيثاً بالمهدي فأخذ ذلك الشبح يتقاصر ثم

جلس امامي وقال لي السلام عليك يا خليفة المهدي بل أنت المهدي نفسه فقلت
وعليك السلام من أنت فقال أنا ملك من ملوك الجن كنت ساكنا وراء
جبل (قاف) لذي يعد عن هذا المكان سيرة خمسمائة عام وقد مضى على
خمس سنوات وأنا سائر بقومي من ذلك المكان لادرك المهدي فكان من
أمرنا ان الحضر عليه السلام قابلا وهو يبكي ونصيح قبل ان يبلغ العمران
البشري وأخبرنا بموت المهدي وخلافتكم عنه ولما وصلنا السران البشري وجدنا
جماهير الاولياء ومجامع الملائكة في المساجد الكبرى يقيمون مأتم المهدي فاشتغلنا
معهم في اقامة شعائر المأتم ثم غادرنا المسجد الحرام بعد عصر اليوم وعسكرنا
في البقعة التي تلي محل (العرضة) استعراض الجنود ومعى ستون ألف فارس
من الجن غير المشاة قال التعاشي فقلت ومن أهلك بظهور المهدي
قال أعلمنا الحضر عليه السلام منذ ظهوره في جزيرة (آبا) فنادرنا جبل (قاف)
منذ ذلك وكنا نسير في السنة سيرة مائة سنة فقلت ما قصدون قال تقصد بيعة
المهدي وادراك فضل صحبته والجهاد معه فقلت وفي أي المساجد أقيم مأتم
المهدي فقال في المسجد الاثني عشر وفي المسجد الحرام وفي المسجد النبوي ثم
دنا مني فطلب مني أن أأيهدهم بيعة المهدي فقلت لهم اني لست بذي
بلى محل الاستعراض

ثم سأله التعاشي عن عمره فقال انه ولد في زمن ابراهيم الخليل صلى
الله عليه وسلم وأنه صار ملكا على قومه في زمن موسى الكليم صلوات
الله وسلامه عليه

ولما نشر التعاشي ما مشور الله به من كذوبه في اساس
باص الجن الذين حووا لمسلمتهم وفي ذلك ركب تعاشي بخبره ورجله

وتوجه للمحل الذي نزل فيه أولئك الشياطين ولما دنا منه أوقف الناس ثم تقدم هو بفرسه وأطال الوفرف والناس ينظرون إليه والي ما يأتيه من الحركات كأنه واقف يعظ أوسباع وبعد بضع ساعات عاد فأخبر الناس بأنهم بايموه وأنه كان مشغولاً بترتيب فرقهم وتولية القواد عليهم مثل ترتيب جيش المهدي ثم قال أنهم رغبوا إلى أن أشيد داراً لي بجوارهم كي أردد عليها وتكون موعداً بيني وبينهم كلما دعت الحال للمقابلة

ومن المضحكات أن رجلاً ذكرورياً كان له كوخ بالقرب من ذلك المكان فاحتل متاعه في ذات يوم ومعه امرأته وبنته وجاءوا إلى التعايشي في المسجد فسألهم عن حالهم فقالوا إن لنا كوخاً بالقرب من محل العريضة وقد هجرناه لكثرة ما فيه من الضوضاء والنيران ودهيل خيرل الجن وسائر حركاتهم التي أفقدتنا النوم وأطارت قلوبنا خوفاً وفزعاً فضحك التعايشي وقال لهم ما الذي أطار نومكم وأفزعكم ألم تعلموا أن هؤلاء الجن صاروا من أتباع المهدي وأنهم خاضعون لحكمي ولا يجسرون على أذى أحد من أنصار المهدي وإن أحكام المهدي تجري عليهم كما تجري عليكم فقالوا يا سيدنا الخليفة إن خلقهم غريبة مخيفة فمنهم رؤس بلا جثث ومنهم جثث بلا رؤس ومنهم الطيارون ومنهم ومنهم فقال عودوا إلى مكانكم ولا تخافوا فرفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا نحن فقراء لا نملك غير هذا الكوخ وقد تركناه لهم فاسترسل التعايشي في الضحك الذي يشف عن السرور وأمر بإعطاء الرجل خمسمائة ريال بدل كوخه وإن يعطي من بيت المال راتباً يقوم بحاجته عائلته

وسمعت التعايشي يوم ذهب لمبايعة الجن على زعمه يسأل الذين أدوا صلاة المغرب خلقه قائلاً لهم هل رأيتم شيئاً أو أحسستم بشيء فسكت أكثرهم

وقال البعض قد أحسننا برهبة ونحن في الصلاة فقال لهم ان عيسى عليه السلام صلى معكم مأموماً بي وأشار الى المكان الذي صلى فيه فهرع الناس اليه يتبركون به وأحيط ذلك المكان بزريبة من الشوك ليأتي مروقاً عند كل من يقصده من الزائرین

ذكر دعوة التعايشي اهالي السودان

لاداء فريضة الحج بام درمان

كان المهدي قد نهى الناس عن السعي لاداء فريضة الحج مدعياً ان البيت الحرام في ايدي الكفار ونشر جملة منشورات بهذا المعنى وكان يزعم أن مرافقته للجهاد خير من السعي لاداء الحج وزعم ان الهجرة معه كالهجرة مع النبي صلى الله عليه وسلم وهي أفضل من الحج وتغالي حتى قال ان رؤيته تعدل ثواب سبعين حجة

ولما هلك المهدي اجتمع التعايشي والخليفتان على حلو ومحمد شريف وقرروا فيما بينهم وضع الكذوبة ماسع في الاسلام بمثلها الا ماسع من أمر علي بن مهدي صاحب اليمن في القرن السادس من الهجرة وهي ان يصدروا منشوراً يقولون فيه ان الحج الى البيت الحرام قد أبطل وعزموا على تشييد كعبة في أم درمان وجعل جبل (كررى) بدل جبل عرفات لتقام بهما شعائر الحج ويزور الناس قبر المهدي بدل زيارتهم قبر النبي صلى الله عليه وسلم وفعلاً شرعوا في اعداد ما يلزم لابرار هذه الضلالة حتى قالوا ان حفر بئر زمزم يكون بعد الوقوف بجبل عرفات واداء صلاة العيد بمعنى ثم يرحلون الى البيت الحرام فيحفرون بئر زمزم ويعودون لفضاء أيام التشريق بئى

ولما اذاع الخلفاء هذا الخبر دخل رجال من أهل العلم بعضهم من ذوي قرابة المهدي على أولئك الخلفاء واخبروهم ان هذا الامر لو تم كان دليلاً قاطعاً على كذب دعوي المهديونية وخروجهم جميعاً من الاسلام كما تخرج الشعرة من العجين فانصاع أولئك الجهلاء وجمعوا الاوراق التي وصلت ايدي الناس واتلفوها ومنعوا الناس من الكلام في هذه المسألة ومن تكلم جلدوه ثمانين جادة ام

ذكر مسالة الشعرة من حجة المهدي

ذكرنا ما كان لاحد سليمان أمين بيت المال من المنزلة السامية عنده المهدي وانه كان واقفا على اسراره وكنه أعماله وكان أحمد المذكور ذا دهاء يظهر امام الناس بزهد والورع ويروي للناس انه رأي من كرامات المهدي ما هو كيت وكيت ويختلق من الاكاذيب ما يحيله العقل . ومن اكاذيبه انه جاء الى التمايشي وكان جالسا مع الخلفاء وأخرج من جيبه حقا من الحشب وفتحه واخرج منه شعرة وقال يا خلفاء المهدي ان المهدي قبل مرضه بنحو أسبوعين أخبرني بانه راحل من هذه الدنيا ونزع من لحيته الكريمة شعرة ثم قال لي يا حيبي أحمد خذ هذه الشعرة وابتلعها بعد وفاتي فان فيها سرا من أسرار المهدي وبمدا ان تموت وتلحق بي أخبرك بهذا السر فوثب عليه الخليفة عبد الله التمايشي وأمسك بيده وقال له ان هذه الشعرة كانت امانة عندك وقد أمرني المهدي باستلامها منك وكان الحضر عليه السلام حاضراً فسلمها أحمد سليمان له فابتلعها وأصدر منشوراً قال فيه ان في هذه الشعر سر المهدي وقوة خلافتها

ذكر وقائع سنار وسقوطها

تقدم لنا ذكر وقائع سنار التي حصلت قبل مهلك حملة هيكمس ولما ذبحت هذه الحملة قويت عزائم الدراويش وأحاطوا بها وضيقوا عليها وبعد سقوط الخرطوم وثب النور بك محمد قومندان الجنود النظاميين ومعه عثمان بك الدالي الصنجق وقبضا على المدير حسن صادق بك وسجناه في داره لاسباب لا نعلم كنهها والظاهر ان لاسبب لها الا سوء الظن بذلك المدير الذي لا يشك أحد في براءته من وصمة مانسب له

وبعد ان مكث المدير أشهراً في السجن اجتمع القواد ودخلوا منزله وأطلقوه من عقاله واعتدروا له وكان المدو محاصراً للمدينة ففرح عليه المدير في قوة كبيرة وهجم على موقعه ومزق شمله كل ممزق وعاد الى المدينة ظافراً منصوراً حتى اذا اقترب منها التي عصا سيره للراحة من وعناء السفر وتناول الطعام عند مكان اسمه (الجميزات)

وبينما كانت الجنود وقوادهم مشتملين بانناول الطعام اذ هجم عليهم المدو على غرة من جهتي النهر والقلاة واعملو السيف في رقابهم فتتمكن كل من النور بك محمد وعثمان بك الدالي من جمع شمل بعض الجنود حيث قاتلوا متقهقرين حتى بلغوا معقل المدينة

أما المدير حسن صادق بك فقد تمكن المدو من الضمك به حيث فاجأه وهو يريد ركوب فرسه بضربة كانت القاضية

ثم ان القائم مقام حسن عثمان بك كر على الدراويش بقوة أزمهم الفرار من وجهه وتمكن من حمل جثة المدير الى المدينة حيث دفنت هناك بالاكرام

اللائق وكانت هذه الواقعة في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٠٢
 وفي شهر جمادى الآخرة وصل محمد عبد الكريم بمقاتلته لحصار مدينة
 سنار وقد ذكرنا ان المهدي بعثه بنحو عشرين الف مقاتل
 وفي أواخر شهر شعبان وصلت الى المهدي أخبار بان حامية سنار
 خرجت على معسكر محمد عبد الكريم وانتصرت عليه فأرسل الى المتمة يستدعي
 عبد الرحمن النجومي بمقاتلته فوصل الى أم درمان بعد وفاة المهدي بأسبوع
 وفي أوائل شوال سنة ١٣٠٢ وصل الى حامية سنار نبأ وفاة المهدي
 فقويت عزيمتها وخرجت على معسكر محمد عبد الكريم مهاجمة فاصيب محمد
 عبد الكريم برصاصة في عنقه ثم انهزمت مقاتلته شر هزيمة وغنمت
 الحامية معسكرهم

ولما اتصل بالنعاشي خبر هزيمة محمد عبد الكريم انقذ عبد الرحمن
 النجومي الى سنار كما كان المهدي يريد انفاذه اليها حين استدعاه من المتمة
 وفي أوائل شهر ذي القعدة سنة ١٣٠٢ وصلت درجة المجاعة في سنار
 الى فقدان القوة بالكيفية فتمر الجنود على قوادهم وشقوا عصا الطاعة وخرج
 كثير منهم واسلموا نفوسهم الى العدو الذي تشددت عزيمته وعاد الى موقفه
 الاول من الاحاطة بمقل المدينة وتشديد الحصار عليها
 ووصلت الى المدينة أخبار زحف عبد الرحمن النجومي عليها فاسرعت
 بطلب التسليم مع وفد ارسلته الى محمد احمد شيخ إدريس من أقارب المهدي
 ونائب محمد عبد الكريم الذي كان وقتئذ طريح الفراش من الاصابة بالرصاص
 في الواقعة الاخيرة

وعند وصولها عقدت شروط صلح بين الحامية والدرائيش على ان لا يأخذ

الدرأويش غير مال الحكومة وان لا يعتدوا على احد من الاهل في ماله وعرضه
 وعلى هذا الشرط اسلمت الحامية نفسها فنكت الدرأويش العهد على مألوف
 حافظهم ومدوا ايديهم الى الاعراض وعذبوا سكان المدينة الذين جلبهم
 من المصريين عذاباً اليها وغنموا منهم شيئاً بعد بعشرات القناطير من الذهب
 الذي يوجد بكثرة في مدينة سنار حيث ان منابع النيل الازرق التي يوجد بها
 هذا التبر داخلة في دائرة مديرية سنار واهل سنار مشهورون بادخار الذهب
 بكثرة وقد عذبهم الدرأويش عذاباً يفوق الذي وصفناه في عذاب اهل
 الخرطوم وهتكوا اعراضهم كما هتكوا اعراض اهل الخرطوم

وبعد مضي شهر على هذا التمديب هدموا المدينة كلها وزحفوا بالاسرى
 الى أم درمان فوصلوها في اوائل شهر ذي الحجة الحرام ختام سنة ١٣٠٢
 هذا وقد وصل عبد الرحمن النجومي سنار بعد سقوطها ببضعة ايام
 ولم ينل من الغنيمة شيئاً

على ان حامية سنار كانت تستطيع النجاة لو قصدت حدود الحبشة قبل ان
 يصل اليها محمد عبد الكريم. وقد بلغني ان المدير كان ينوي سحب الحامية الى
 جهة حدود الحبشة بعد ان علم بسقوط الخرطوم لقمه ان الانكيز لا يتقدمون
 لانقاذ سنار بعد سقوط الخرطوم بخالفه اللذان سجناه معتقدين خلاف ذلك
 والخالصه ان نجاة حامية سنار كانت ميسورة لو لم يسجن المدير
 حسن صادق بك

هذا وقد أصدر التعاشي أمراً باعتبار مدينة سنار كمدينة ثمود تحرم
 سكانها والاستقاء بمياها

وقد اغتال الامراء الاموال ولم يقدموا لبيت المال عشر الغنائم فتغيظ

عبد الله التعايشي واصر على الانتقام منهم وسنود الي ذكر هذا
الانتقام في عمله

وأخذ التعايشي نحو عشرين امرأة من نساء المصريين كانوا في تلك
المدينة مسيات وادخلهن منزله. والحلاصة ان سكان سنار جلهم مصريون
مثل سكان الخرطوم وقد نالوا نصيبا من التعذيب والنهب وهتك الاعراض
كالذي ناله اخواتهم في الخرطوم أو أشد وما الله بغافل عما يعمل الظالمون



حوادث كسله وسقوطها

كسله اسم مدينة هي عاصمة اقليم (التاكا) الذي بين محافظتي مصوع
وسواكن وحدود الحبشة وأغلب سكانها مصريون مثل سائر مدن السودان
وكانت محصنة بسور منيع من الحجارة وفيه أبراج ومعدات الدفاع
متوفرة فيها منذ دخلت في املاك الخديوية المصرية على عهد ساكن الجنان محمد
على باشا عزيز الديار المصرية

وكان السيد محمد عثمان الميرغني نازلا في قرية (الحنمية) بجوار كسله
وهي قرية أسسها جده السيد محمد عثمان الميرغني وقد تقدم لنا ان المهدي
كان يدعو السيد محمد عثمان الميرغني الى الدخول في دعوته وكان يوالي ارسال
الانذارات له تارة بالوعد وأخرى بالوعيد قرر من قرية الحنمية لما رأى ان
الخطر يقترب من جهته

وبعد فراره خندق بقية سكان الحنمية على قريتهم وأمدتهم الحكومة
بالأسلحة والذخيرة والجنود

وفي محرم سنة ١٣٠١ قدم الى كسله مصطفى هديل داعية من قبل

ثمان دقته فتبعه جميع السكان ووقفوا الواء المصيان على الحكومة فارسل
أحمد عفت بك المدير قوة تهاجم موقع تجمع المدوفمادت بخسارة عظيمة
وكانت نساء العصاة (المهندوه) يقاتلن مع أزواجهن ولهن فظائع ماسمع
بمثلها في الدنيا فقد كن يحملن وراء أزواجهن قطعاً من الخشب فيجهزن بها
على الجرحي وينزعن الملابس عن اشلاء القتلى ويضعن في دبر كل فتيل قطعة
من الخشب طولها ذراع فيولجن في الدبر نصفها ويبقى النصف بارزا ويطرحن
الجثث على وجوهها ليصير هذا المنظر الشنيع معرضاً لنظر المارة

على ان هذه الفظيمة لم تكن من عنديات تلك النسوة بل ان مصطفى
هدل هو الذي قال لهن من مثلت منكن بالقتلى هذا التمثيل بنى الله لها
بيتاً في الجنة

وكان مصطفى هدل هذا جاهلاً ضالاً وفي غضون حصاره كسله كان
يزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بكيت وكيت
وفي أواخر شهر ربيع الآخر هجم الدراويش على كسله فازمتمهم الحامية
بالتقهقر بعد ان تكبدوا خسائر جسيمة

وفي شهر جمادي الآخرة اشتد الحصار وارتفعت اثمان الاقوات
وفي شهر شعبان سنة ١٣٠١ بينما كانت الحكومة ان انكليزية والحدوية
تداولان في انفاذ حملة تنقذ فردون اتفقت الحكومة الحدوية مع يوحنا
نجاشي الحبشة على انفاذ حاميات الحكومة التي في السودان الشرقى وتنازلت
له عن بعضها

وفي هذا الشهر أيضاً أحس مصطفى هدل بضعف في حامية خندس الختمية
فصمم على أخذها عنوة فغاب سعيه حيث دفنته الحامية وهرمته شر هزيمة

وفي شهر رمضان سنة ١٣٠١ سمي ماسون بك الامريكاني في اخلاء
كسله واجلاء الحامية عنها فلم يفلح لان الجنود رفضوا ان ينفروا بنيران ثلاثهم
التي لا تستطيع الفرار

وقد لبث ماسون بك يخبر المدير احمد عفت في الانسحاب من كسله
فكان يجاوبه باستحالة ذلك ثم غادر ماسون بك مصوع ولم يفلح في سحب
الحامية من تلك المدينة

هذا وقد كان انه ذ كسله ميسورا بسبب قربها من حدود الحبشة ولكن
اشياء كثيرة كانت من اقوي الاسباب التي ساعدت العدو على امتلاك
المديرية. منها ان النجاشي يوحنا بعد ان اصدر امره الى الرأس الولا بالقيام
لانقاذ كسله عاد فنقض أوامره الاولى وكان سبب ذلك على ما علمته ان
الدراويش كانوا يخادعون ويمدون بالمخافة والمماضدة وكان في المدينة بعض
حواسيس يطلعون الدراويش على كل اسرار الحكومة وما يدبره المدير وكان
الرأس الولا يخبر المدير ويطلب رأيه في ترتيب الزحف على المدينة لانقاذ
حاميتها فكان المدير يجاوبه فيسرع أولئك الخائثون بإبلاغ الدراويش مآدار
بين المدير والرأس الولا من الخبايا

ولما وصلت انباء سقوط الخرطوم الى شرقي السودان قويت عزيمته
محاصري كسلة وأرسل عثمان دقنه بالامداد لهم ثم تلاه قدوم الشيخ الحسين
زهراء ومن معه من المندوبين وقد تقدم لنا ذكر بعثهم قبل وفاة المهدي
وفي أواخر شهر جمادى الآخرة عرض (شرمشيد باشا) محافظ شواطيء
البحر الاحمر على النجاشي يوحنا عشرة آلاف بندقية ليتقدم لانقاذ حامية
كسله ولكن في غضون ذلك كانت المجاعة قد برحت بالحامية حتى أكلوا

الكلاب والجرذان

وفي شهر رجب سنة ١٣٠٢ برحت المجاعة بحامية الختمية فعزم السيد بكرى ابن عم السيد محمد الميرغني على التوجه لكسله لينضم الى من بها من رجال الحكومة وفعلا سار بنحو الف رجل فصادفهم في اثناء سيرهم مصعاني هدل وجنوده فذبجوا كل من كان مع السيد بكرى وجرح هو جرحا بليغا ثم شرعوا في الهجوم على معقل الختمية لاسئصال من به من الحامية التي تمكنت من التفرغ بانتظام حتى دملت معقل كسلة. ولقد أتى السيد بكرى من الاعمال الشريفة ما يناسب منصبه ويشهد له ولعائلته بطهارة الاصل وعراقة المجد

وفي منتصف شهر شوال سنة ١٣٠٢ فقدت الحامية كل أمل في النجاة كما فقدت القوت حتى قال لنا أحد المحصورين انهم طلبوا الارذب من الذرة باكثر من الف ريال فلم يظفروا

وعلى اثر ذلك عقد المدير أحمد عفت بك شروط الصلح مع الامناء الذين انقذهم الهندي قبل وفاته على ان لا يمدوا أيديهم لغير ما للحكومة من المال والذخيرة فخرجت الحامية وسلمت نفسها في منتصف شهر شوال سنة ١٣٠٢ فامسكوا المصريين وعذبوهم ونهبوا أموالهم مثل ما حصل في الخرطوم وغيرها ومات كثيرون تحت الضرب والتعذيب وحمل جل المال اليهم درمان واحد عشر مدفعا من الطرز الجبلي العتيق وأبقيت نحو تسعة مدافع تحت تصرف عثمان دقنه وغنموا أيضا نحو عشرة آلاف بندقية وشيئا كثيرا من الذخيرة ولله الامر من قبل ومن بعد

ذكر اول واقعة بين الدراويش والاحباش

بعد سقوط كسلة في قبضة العدو بثلاثة أسابيع قدم عثمان دقنه من سواكن ومعه زهاء عشرين الف مقاتل وقد استنفر الناس فاجتمع لديه نحو خمسين الف مقاتل زحف بهم الي (كوفيت) في حدود الحبشة وتحصن في المعقل الذي كانت حامية الحكومة متحصنة فيه قبل جلائها عن (كوفيت) وهناك أرسل كتاب تهديد الي اراس الولا فوررد له الر بانه سيقدم عليه يوم كذا وفي ذلك اليوم هجم اراس الولا على عثمان دقنه في ثمانين الف مقاتل من الاحباش فاطوا بالمقل احاطة السوار بالمعصم فخرج عثمان من المعقل بمئاته فهاجمه الاحباش هجمة الاسود الضواري على فراسها فسقط جيشه كله فتلى واستطاع هو النجاة ومعه نحو خمسمائة مقاتل فظن ان الاحباش يتأرونه الي كسلة فيستولون عليها حيث لا مقاومة فيها يدفعون عنها غارتهم ولذا عاد عثمان دقنه الي كسلة وهو لا يصدق بالنجاة وكانت هذه الواقعة في شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٢ ويقال ان تقدم الاحباش كان لا تقاذ كسلة فكان شأنهم معها مثل شأن الانكيز مع الخرطوم حيث جاؤها بعد ان سقطت في قبضة العدو

ذكر قتل المدير احمد عفت ومن معه من القواد

لما رجع عثمان دقنه من (كوفيت) قبض على المدير أحمد عفت ومعه الصنjq حسن أغا سليمان الالباني ومعتوقه احمد أفندي شوقي معاون مديرية (التاكا) تاجر ان يونانيان يدعى احدهما امة الي والثاني بادروس واودعهم السجن

بعد ان وضع في أرجلهم من القيود مائتوه بحمله الدواب وغل رقابهم باغلال الحديد وتركهم في اعماق السجن بلا طعام ثلاث ليال ثم دخل عليهم السجن وقال لهم قوموا الى الصلاة فقال له احمد عفت بك هل نطبق القيام ونحن بهذه الاغلال مع ما نحن فيه من وهن الجوع فذهب الى عثمان دقنه وأخبره بما قاله احمد عفت بك فقال ليحضروا امامي فسيقوا اليه يرسفون في القيود والاغلال كأنهم أشباح بلا ارواح فسأل عثمان دقنه احمد عفت بك عن سبب امتناعه من الصلاة فأجابه بمثل ما اجاب به السجن فامر بضرب اعناقهم فظهروا جميعاً الفرح والارتياح وتقدم شوقي عتيق احمد عفت بك الى السياف وقال له أمهلني حتى اصلي ركعتين فامهله ثم قال له اني اسألك بحق مهديكم ان تضرب عنق قبل سيدي أحمد عفت بك فدع عنقه غير هياب لشيء فضربت ثم مد أحمد عفت بك عنقه مع الجلد والشجاعة فضربت أيضاً ثم مد الصنجق حسن اغاسليمان عنقه فضربت ثم تلا ذلك ضرب عنقي اليونانيين استبلى وبادروس

شان اهل الخرطوم بعد ذلك

ذكرنا ما كان من أمر المهدي مع أهالي الخرطوم وقد أوردنا صورة المنشور الذي أصدره المهدي لأهالي الخرطوم وعلى أثره سمح لهم بالإقامة في الامكنة المتخربة من المدينة واخذوا في السعي للارتزاق بالمهن الدنيئة مثل صناعة الخبز وفتح حوانيت الاطعمة وهم في كل آن عرضة لصنوف الاضطهاد وفي كل يوم يقع بعضهم في تهمة إخفاء المال فيماد تعذيب الواحد منهم بما يقشعر منه البدن

هذا وقد ذكرت اني كنت اقمّت بكوخ في أم درمان بجوار منزل يوسف منصور وبعد وفاة المهدي كانت لي زوجة هلى وشك الوضع كنت زوجها قبل سقوط المدينة وهي بنت احد الضباط المصريين العظام فانتقلت الى الخرطوم للحصول على قابله مصرية بها وما كانت عني حتى ايام حتى نمت الى ان الحاج خالد المرابي كتب الي التمايشي يقول ان ابراهيم فوزي قدم الخرطوم وهو يسمي في توحيد كلمة بني جلده المصريين للقيام بعمل ضد المهديّة فما شعرنا في احدى الليالى الا بالنداء بان كل ذكر من الذين خرجوا من خندق الخرطوم يهدر دمه اذا بات في المدينة بل يجب ان يكون في البقعة التي عند نقطة ملتقى النهرين الابيض والازرق ويثما كان الرجال يودعون اطفالهم ونساءهم للخروج الى محل الاجتماع اذ عاد النداء بوجوب خروج النساء والاطفال الى ذلك المكان أيضا فخرجنا بنسائنا وطفالتنا ونحن في حالة لا أقدر على وصفها وبعد وصولنا الى تلك البقعة جاءنا دراويش من أم درمان اخبرونا بان المراد من هذا الاجتماع قتل ابراهيم فوزي (المؤلف) وبيع بقية المصريين ارقاء ففضينا تلك الديلة فراشنا الارض وغطاؤنا السماء فكانت لاتسمع غير صياح الاطفال وعويل النساء

وفي اليوم التالي مكثنا الى قرب منتصف النهار حتى جاءنا التمايشي ممتطيا حمارا يحيط به نحو الف حارس وامامهم أشخاص ينفخون في ابواق من العاج بصوت مزعج متقطع وهذه الابواق تسمى (أم بايه) وسيأتي ذكرها في وصف موكب الخليفة

ولما دنا التمايشي من موقفنا أمرنا بالوقوف مصطفين رافعين أصواتنا بالتهليل ثم استدعاني من وسط الصفوف ومي بضعة أشخاص من أعيان

الخرطوم ولما مثلنا بين يديه خاطبنا بما يأتي
 « أيها الأتراك أهالي الخرطوم فضلة سيف المهدي عليه السلام انكم
 أضلتم الناس وغررتهم بدنياكم فلماذا أيها المنافقون أقدم بالخرطوم ولم ترحلوا
 الى أم درمان فهل أنتم لا تزالون مكذبين للمهدي أو ما هو السبب فاجبته قائلاً
 ياسيدنا الخليفة نحن نعوذ بالله من ان نكون مصرين على تكذيب المهدي
 ونحن نعترف امامك باننا مؤمنون بالمهدي وخلقناؤه ولذي معنا من الإقامة
 بأم درمان هو عدم قدرتنا على تشييد الكواخ فإما وتكنا من الإقامة في
 خرائب الخرطوم بغير مشقة فاجابني التعاشي وهو منهم بالغضب أنت منافق
 ولا أرى غير ضرب عنقك فقلت له ياسيدي الخليفة أنت تعلم الغيب وما تخفيه
 الصدور وان الخضر عليه السلام وزيرك ومشيرك وقد قال فيك المهدي
 عليه السلام انك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب فاطرق بوجهه الى الارض
 وسرّ من هذا الاطراء ثم رفع رأسه وقال لي يا ابراهيم فوزي لقد تحققت
 براءتك مما نسب اليك وقد عفوت عنك وعن جميع هالي الخرطوم واكن لا بد
 من مغادرتكم الخرطوم واقامتكم بأم درمان لان الخرطوم دار كفر والمهدي
 عليه السلام قال لا تسكنوا في مساكن الكفار ولا تنبسوا ملابسهم ولا تزيوا
 بازيائهم فقلت ياسيدنا الخليفة نحن لا نملك أجرة اجتياز النيل فامر باجازتنا
 مجاناً فاجتزنا النهر وأقمنا بأم درمان نقاسي من صنوف الذل ألوانا

ذكر الاجتماع العام لعيد الأضحى

ذكرنا ما كان التعاشي شرع في عمله من اقامة مشاعر الحج بأم درمان
 واطاله هذا المشروع قبل ارازه من القول الى القول

هذا وقد دعا الناس للاجتماع في عيد الاضحى ليتحقق طاعتهم وليظهر امامهم بمظهر الملك والقوة فدعا محمود بن عبد القادر أمير كردفان وسائر أهلها ودعا أيضا أهالي الجزيرة فاجتمع في أم درمان زهاء خمسمائة الف مقاتل فخرج عليهم يوم العيد يحيط به نحو عشرة آلاف عبد يحملون الاسلحة النارية من ط ز رامنجتون وامامه بوق (أم بايه) وهو بوق من العاج كان يستعمله كبار نخاسي النيل الابيض وكان المهدي قد ميز التمايشي عن بقية الخلفاء بهذا البوق الذي يكون علامة على دعوة فرسان الجيش بالتكوف حول التمايشي

وخرج التمايشي راكبا هجينا كان يركبه المهدي وأخذ يسير الهوينا حتى بلغ زربة بن الشوك أعدت ليصلي فيها هو والخلفاء والمقربون منه فاقامت الصلاة قبل الزوال بنحو ساعة فصلى التمايشي بالناس اماما ثم خطب بهم الخليفة على حلو وهكذا كان حال التمايشي في ايام الاعياد يصلي بالناس اماما ويخطبهم الخليفة على حلو لان التمايشي أي يجمل الكتابة والقراءة وبعد انقضاء الصلاة عاد الى منزله وقد سره ماراه من إقبال الناس عليه وطاعتهم لاوامره

وقد ذكرنا انه كان يخشى انتقاض أقارب المهدي واكنه علم من أهالي الجزيرة أنهم سيؤو السلوك وقد حملوا الاهلين من المظالم والمغارم ما جعلهم يأنون تحمها وأتوا من المنكرات ما يعجز القلم عن ايراده

ومن هاته الحوادث ان كريبا أحد حراس الخليفة شريف وقريب المهدي الذي ذكرنا انه قطع الصبي ثمانى قطع يوم سقوط الخرطوم ذهب الي المسلمية بأمرورية جمع الغنائم فرأى بجوار داره امرأة أرملة في منتهى الحسن والجمال ولها بنتان لا يقلان في الحسن والجمال عن أمها فقبض عليهن

وادخلت داره ووقع على أمها أولاً ثم اقتض الفتاين ففسد من على
التعاشي ورفعت شكواهن اليه فاحلهن على القاضي الذي استدعى كريبا
ولدي استنطاقه اعترف بانه وطئ المرأة بملك اليمين لانها غنيمة أما الفتانان
فانكر اقتضاضه ايها

وفي هذا الاجتماع أصدر الزمايني أمراً بإبطال وظيفة الامناء الذين
فوض لهم المهدي النظر في العرائض التي ترفع اليه لان جلهم من أقارب
المهدي ثم أعلن ابطال وظيفة النواب الذين أقامهم المهدي لينوبوا عنه في نظر
الظلمات التي ترفع اليه وأقام للقضاء بين الناس القاضي أحمد علي الذي لقبه
بقاضي الاسلام وأشرك معه نحو عشرين قاضيا كلهم من جهلاء الاعراب
الذين لا يفقهون شيئاً خير أنهم يحفظون النقط القرآني الشريف

ثم أشار عليهم بعدم قبول الطعن في الشهود وتحليف الشاهد على المصحف
فكانوا يكتبون في أحكامهم ما يأتي « ولعدم قبول الطعن في الشهود كما أشار
خليفة المهدي عليه السلام فد صار تحليف الشهود وحكمنا بكذا »

كل ذلك لينتقم من أقارب المهدي بقيام الناس عليهم ومقاضاتهم لرد
ما نهبوه منهم. وخرج الي محل التضائة في ذات يوم شاهرا سيفه وقال لهم
ان لم تحكموا بين الناس بالحق فلا بد ان أضع سيفي هذا في رقابكم ثم خطب
في الناس قائلاً من كانت له مظلمة عندي فليقدم لمقاضاتي امام القاضي والحاصل انه
ظهر امام الناس بمظهر العادل الشفوق وقفل الناس راجعين الي بلادهم وفلجوبهم
مملوءة الاخلاص له والالتقياد لاعمي اطاعته وشرعوا في مقاضاة قارب
المهدي واستردوا اكثر ما سلبوه منهم

ذكر وفود الهنود على التعايشي

في أوائل سنة ١٣٠٣ وفد على التعايشي عشرة رجال منهم سبعة من الهنود المسلمين وثلاثة من بخاري فنلقاهم بالاكرام وقدم لهم الاغذية مدة اسبوع ثم أهمل أمرهم وشدد عليهم في مواظبة الصلوات الخمس في المسجد فساءت حالتهم حتى أصبحوا لا حرفة لهم غير التسول وكان بين الثلاثة البخاريين واحد اسمه محمد الامين فاخبر التعايشي بان له معرفة بالكتابة ونسخ الصور التي تستعمل في مطابع الحجر القديمة فامر بارساله الى المطبعة لمباشرة تلك المهنة وجعل راتبه خمسة ريالات يقبضها في السنة مرتين أو ثلاثا ويظهر من حالة أولئك الهنود انهم فقراء وانهم قصدوا بلاد السودان عسما أن يجدوا سييلا للارتزاق

وكان من بينهم واحد اسمه كمال الدين وكان بارعا في أساليب الخداع والاحتيال ادعى انه ذوعلم بصناعة المادة القابلة للانفجار وهي المساه (عجينة الكبسون) وتناول من التعايشي نحو اثني عشر الف ريال ثم ظهر جهله وانكشفت حيلته وسنأتي على ذكر هذه المسألة في مكانها ان شاء الله

ذكر انتفاض الاشراف وتسليم الرايات

ذكرنا ما كان من أمر المداولة بين الخلفاء وتقسيم البلاد بينهم وتردد التعايشي في انقاذ تلك القسمة وعدم رضاه بها ولما عاد محمد عبد الكريم بعد اسقاطه سنار واستحوازه على ما فيها من الذخيرة والامتعة طلب منه التعايشي أن يسلم ماله من الذخائر والاسلحة

والمال فامتنع واطن الخليفة شريف عبد الله التمايشي بانه يريد التقدم الي بربر
ومنها الي دقلة كي يتقدم منها لفتح مصر فتمعه التمايشي فلم يصنع لقوله
وخرج في شمال أم درمان وعسكر هناك وأخذ في الالهبة للرحيل فجمع
عبد الله التمايشي خواصه واستشارهم في هذا الامر فاشاروا بوجوب مقاومته
وارغامه على الخضوع لاوامره فرأى التمايشي ان قوة الخليفة شريف أعظم من
قوته وانه لا بد ان تدور عليه الدوائر اذا قصد اخضاعه بالقوة فعمد الي طريقة
الحيلة والخداع توصلا الي هذه النتيجة فبذل المال الي الخليفة على حل وطييب
قلبه بالوعود ليكون معه على الخليفة شريف

وكان الخليفة على حل و متزوجا بأخت عبد الله التمايشي وبينهما من
رابطة جنسية البقارة ما يدعو الي تفضيله على الخليفة شريف فقال الي
التمايشي الذي عمده الي أحمد شرفي صهر المهدي واستماله اليه بالهدايا والوعود
فصار يرفع اليه أخبار الخليفة شريف وما دبره ووعدته بالمساعدة في كل
ما يطلبه منه

وفي ذات يوم ركب التمايشي ومعه الخليفة على حل و وقصد معسكر
الخليفة شريف فوقفوا صفوفا للقائه ولدي وصوله الي الصفوف أخذ يبكي
ويتنحب فاحاط به كل من الخليفة على حل و وأحمد شرفي وغيرهم من خاصته
وسألوه عن سبب بكائه فلم يرد عليهم وأخيراً قرب منه الخليفة شريف
وأقرب المهدي فرفع رأسه وأشار بيده الي الامام وقال لهم هاهو المهدي
امامكم يمض على أنامل الندم ويقول لي كيف تختلفون قبل ان يمضي على
انتقالي من بين ظهرانيكم سنة ألم يعلم أصحابي انك خليفة الصديق فبكي الحاضرون
وفي مقدمتهم الخليفة شريف و تراموا على ركاب التمايشي يقبلونه ويسألونه

الصفح عن زلتهم ثم طلب من الخليفتين علي بن حلو ومحمد شريف ان يسلماهما
راياتهما فسلموهما وأمرهما بتسليم ما عندهما من الاسلحة والذخيرة والجهادية
فعملا وأصبح الخليفتان لا يملكان شيئاً من الاسلحة النارية وكان التمايشي يمد
الخليفة علي بن حلو سراً بإعادة ما أخذ منه ولكن لم يوف له بشيء بعد ان
تمكن من انفاذ غرضه وقلب له ظهر الحجن ومع ذلك كان يكرمه ويجزل له
المطاء ويشاوره في كثير من الامور

ومن ذلك اليوم مال اصحاب الخليفة شريف وقواده عنه واحتقروه لما
راوا من ضعف عقله الذي اُثرت عليه هذه الخديعة التي لا تؤثر على عقول
الصبيان فأنحازوا الى جهة التمايشي مظهرين له التزلف والتودد مضعفين له
جانب الخليفة شريف الذي أخذ يعد قواده وصحابه بان له أملاً كبيراً في
اعادة نفوذه بواسطة القوة الضخمة التي تحت قيادة ابن عمه محمد خالد زقل
في دارفور

وفي الحقيقة ان التمايشي كان في وجل شديد من القوة التي كانت مع محمد
خالد زقل ويحسب لها حساباً ولذلك عاد الى استجلاب مودة الخليفة شريف
وأبقى جميع أقارب المهدي الذين كانوا منتشرين في البلاد لجباية الخراج في
مناصبهم ريثما ينظر في أمر محمد خالد زقل وكانت هذه الحادثة في أوائل سنة ١٣٠٣

ذكر القبض علي اصراء سنار وفرار الشيخ مضوي
لما كان الاصراء الذين اسقطوا سنار من أتباع الخليفة شريف لم يجسر
التمايشي علي مطالبتهم بما غلوه من غنم سنار مع انهم لم يؤدوا الي بيت
المال العشر منها

ولما استولى التعاشي على ماعند الخليفة شريف من الاسلحة والذخيرة
اصبح قادراً على مناقشة اولئك الامراء الحساب على ما اغتالوه من القناطير
المقنطرة من الذهب والفضة فاستدعى اليه اعيان سنار الدين أخذت منهم
الاموال وأخذ يبين لهم الكلام ويمدحهم بنيلهم نصيباً مما أخذ منهم اذ هم
أوضحوا له كنية المال واسم من استولى عليه من الامراء فأوضحوا له كل
ذلك فأمر بالقاء القبض على محمد، عبد الكريم القائد العام لانه علم من كلامهم
انه استولى على نحو خمسة قناطير من الذهب واستولى بقية الامراء على
مقادير عظيمة من التبر

وقد علم التعاشي أيضاً ان الشيخ مضوى احد الامراء عذب مصرى
اسمه على مرزوق كان ناظر الشونة وأخذ منه خمسين رطلاً من التبر المسبول
فأمر بالقاء القبض عليه فلم يجدوه بام درمان اذ كان متغيباً في قريته (اليلقون)
فامر باشخاص مائة راكب يقصدون تلك القرية التي تبعد عن أم درمان مسيرة
مرحلة واحدة للقبض عليه فاسرع احد اقاربه بمخادرة أم درمان وأبلغه الخبر
فركب راحلته قاصداً حدود الحبشة وزور خاتم التعاشي على مكرب أمر
فيه الامراء بتقديم ما يلزم الى الشيخ مضوى وانه ذاهب بمهمة الى بلاد الحبشة
فتناول بهذا المكثوب نحو ثلاثة آلاف ريال وبلغ حدود الحبشة آمناً ولم
يصبه سوء ولحق بالشيخ عجيب الحراني في جهة (غبته)

ولنعد الى ذكر الامراء الذين قبض عليهم التعاشي فنقول انه أبقام في
السجن بضعة شهور لم يظفر في خلالها بشيء مما اغتالوه واصروا على الانكار
فامر بمصادرة ما ظهر من أملاكهم مثل الجوارى والبيد والدواب والامتعة
البيئية ثم امر بالافراج عنهم وألحق البعض منهم بمثمان دقنه والبعض بعد

الرحمن النجوى في دقلة وانقضى الامر على ذلك

ذكر عصيان الجهادية بالايض وقتل امير كردفان
لما غادر المهدي الايض الى (الهد) ومنها الى أم درمان استخلف على
اقليم كردفان عمه محمود عبد القادر وقد ذكرنا انه استخلفه في جبال (قدير) لما
بارحها الى كردفان فكانه تفاعل باستخلافه وظل محمود عبد القادر قابضاً على
زمام اقليم كردفان حتى توفي المهدي فاستدعاه الثماشي لحضور الاجتماع
العام في عيد الاضحى الذي كان عقب وفاة المهدي ثم أعاده الى عمله في الايض
وكان محمود عبد القادر هذا ابن عم والد المهدي ومن أصحابه القديماء
الذين شاركوه في تأسيس دعوى المهدي وكان متظاهراً بالزهد والقناعة وكان
المهدي يكرمه ويحبه

وكان في حامية الايض التي تحت قيادته الف وخمسة مائة جهادي منهم
نحو تسعمائة من جنود الحكومة الذين أسروا في واقعة يوسف باشا الشلالي
وسقوط الايض والباقي من عبيد الاهالي الذين صادرهم منهم محمود عبد
القادر وهؤلاء الجهادية يقودهم صف ضابط منهم اسمه (الجاك) فعهد اليهم
محمود عبد القادر حراسة الجبه خانات ورعى الماشية وجعل البعض حراساً له
ولقواده وكان مع ذلك لا يعطيهم رواتب تقوم بضرورياتهم فاستأوا من
هذه المعاملة واضمروا الخروج عليه فنعى اليه الخبر فإرسل يدعو قائدهم الجاك
للحضور الى المسجد لتلقي أوامر جديدة فاعتذر عن الحضور وأرسل اليه
بعض أعوانه فقبض عليهم محمود عبد القادر وضرب أعناقهم فاستشاط الجاك
غيظاً ونفخ أبواقه وهجم برجاله على الجبه خانه فدافعه محمود عبد القادر بنحو

أربعة آلاف من فرسان الدراويش الذين انهزموا امام نيران الجاك وتركوا له الجبهه خانه فاستولي عليها ودخل منازل الدراويش واتهب ما فيها من المال والمتاع وغادر الابيض الي جبال النوبة وأعلن دخوله في طاعة الحكومة المصرية وسمي نفسه (الجاك باشا) ومنح لرتب لمن معه من القواد وأخذ يجبي الضرائب من سكان الجبال وأوصى قواده بعدم التعمد على حقوق الاهلين وان لا يأخذوا منهم الا الضريبة المفروضة فساروا سيرة حسنة امتدحهم بها سكان الجبال فارسل خلفهم محمود عبد القادر ثلاثة آلاف من رجاله مسلحين بالاسلحة النارية تحت قيادة الهاشي أحمد الجبلي فهزمهم الجاك باشا شرمزيمة وقتل قائدهم وذبح عددا كبيرا منهم ثم سار اليه محمود عبد القادر في أربعة آلاف مقاتل فالتقى الجمعان وثبت الجاك ورجاله ثبات الأبطال وقتل محمود عبد القادر وقتل اكثر رجاله وولي الباقرن الادبار وهم لا يصدقون بالنجاة

ولما اتصل بالعايشي خبر قتل محمود خاف عاقبة امر الجاك ولكنه سر من جهة أخرى بقتله لانه قريب المهدي وعضد من قوة الخليفة شريف فاسرع بانتداب علي الهاشي العمرابي في مائتي رجل وسير خلفه قريبه عثمان آدم المشهور (بجانو) وأمرها بالبقاء في الابيض ون لا يتعرضا للحرب الجاك وكتب الي حمدان ابي عنجة يأمره بالهجوم على الجاك بجميع قواته فهجم عليه باكثر من عشرين الف مقاتل واصلا حريا أظهر فيها الجاك ورجاله اعظم بساله حتي قتلوا عن بكره ايهم

ذكر اعمال ابي عنجة في الجبال

لما هزم ابو عنجة الجاك عاد الي غزه انه في الجبال حتى اقته ب من جبال

نقلني اني ذكرنا شأنهم مع المهدي، وقتله ملكها لما جاءه زائراً في الابيض فهجم على من فيها وقتل رجالها وساق النساء والصبيان سيياً وباعهم ارقاء مع انهم اصحاب مسلمون كما تقدم لنا الكلام عنهم

ثم غزا أبو عنجة قبيلة الحوازمة التي تسكن بين دارفور وانهب مالها وماشيها وقتل زعيمها (نواي) الذي كان لحق بالمهدي في جبال (فدير) وكان المهدي وعده باعفائه من مرافقته الى الخرطوم فاخلف وعده وساقه اليها فقر نواي ولحق بقومه في كردفان فقتله أبو عنجة انتقاماً منه وانهب أموال قبيلته

ذكر اشخاص محمد خالد زقل من دارفور وسجنه

أوردنا في الجزء الاول ماصار به شأن محمد خالد زقل واستيلاءه على دارفور وقد صار فيها كملك مستقل حيث جمع حوله جيشا كشيفا يربو على مائتي الف مقاتل

وكان التمايشي متخوفاً منه كما تقدم ولما استولى التمايشي على أسلحة الخليفة شريف وذخيرته وراياته كتب أحمد سليمان أمين بيت المال كتاباً الى محمد زقل اخبره فيه بكل ما كان عقب موت المهدي من الحوادث كما اخبره بوقوع الخليفة شريف في الفخ الذي نصبه له الخليفة عبدالله التمايشي حتى اسلمه ما بيده من الذخيرة والاسلحة والرايات وقال له في الحتام انقطع الامل الامنك وحذره من الوقوع في فخ مثل الذي وقع فيه الخليفة شريف

وكان التمايشي قد شدد في مراقبة أقارب المهدي حتى لا تصل منهم كتب الى محمد خالد زقل فوقع كتاب احمد سليمان أمين بيت المال في قبضة

التعايشي فأسرع بإصدار أمر الى محمد خالد زقل بمغادرة دارفور بمن معه من الجيش فامتل الامر وغادر دارفور حتى اذا بلغ كردفان اعترضه أبو عنجة ودفن اليه أمرا من التعايشي بتسليم كل الجيش الى أبي عنجة المذكور فاطاع محمد خالد ولم يبد أقل اعتراض

ولما تمكن أبو عنجة من الاستيلاء على جيش محمد خالد زقل شرع في تجريدته من أمواله الخصوصية ولم يترك له قوت يومه ثم كبله بالمديد وأبال الى أم درمان يرسف في القيود والأغلال ولدى وصوله اليها زجه التعايشي في السجن فبقي فيه بضعة شهور ثم أطلق سراحه وبلغ مجموع الخيول التي استولي عليها حمدان أبو عنجة من محمد خالد زقل ما ينيف على عشرة آلاف جواد وعدد الاسري كان يربو على خمسة عشر الف جهادي مسلحين بالاسلحة النارية وظفر أبو عنجة بكل أموال زقل وكانت عظيمة جداً وأرسلها الى التعايشي

ولما اتصل بالتعايشي نبأ القبض على زقل جمع بطائنته وأخبرهم بذلك وقال لهم قد ذهبت كل مخاوفي وصرت آمناً مطمئناً على مركزي وأنا أطلب منكم منذ اليوم ان تساعدوني على القيام بامور هذه المملكة المترامية الاطراف حيث لم يبق لي معارض في جميع انحاءها ومن ثم بدأ بتواليه الاعراب على البلاد واستئصال شأبة الذين ولاهم المهدي من أقاربه ومواطنيه

ذكر القبض على احمد سليمان امين بيت المال وعزله
 احمد سليمان امين بيت المال محسى الاصل من أهالي بلدة اسمها (رفاعة)
 على ضفة النيل الازرق الشرقية اجتمع على المهدي في جزيرة (آبا) فاجبه

واكرمه واطلمه على كنه اسراره وكان أحمد سليمان يتفانى في محبة المهدي
 وخدمته وقد ذكرنا انه كان متولياً تقديم الاطعمة له وكان يقود خطام دابة
 المهدي حافياً وفي جبال (قدير) ولا المهدي أمانة بيت المال مفوضاً له فيه
 العمل بلا أدنى مراقبة أو مسؤولية يعطى من شاء ويمنع من شاء
 وكان أحمد سليمان يحترق عبد الله التمايشي وينفضه ولا ينفذ له ارادة
 مع ما كان فيه التمايشي من سمو المنزلة عند المهدي لان أحمد سليمان كان يرى
 نفسه عند المهدي في منزلة اسمي وأرفع من منزلة عبد الله التمايشي مهما بلغ هذا
 من القرب منه

وفي إبان اقامة المهدي بكر دقان وقع خلاف بين التمايشي وبين أحمد سليمان
 فامر التمايشي بسجن أحمد سليمان فسجن واتصل الخبر بالمهدي فكد يفقد
 صوابه لشدة ما لحقه من الغضب فارسل الي السجن وأطلق أحمد سليمان
 وعنف التمايشي على اقدمه على مثل هذا الامر حتى ظن بعضهم انه سيعزله
 من الخلافة ويقصيه من بين يديه

وقد تنال المهدي في الثناء على أحمد سليمان حتى قال انه رأى مكتوباً على
 ساق عرش الرحمن جل شأنه ان أحمد سليمان أمين المهدي عليه السلام
 وقد قلنا انه كان يكرم ذوي قرابة المهدي ويخصهم بالنصيب الا وفر من
 المال ولا يعطى التمايشي اكثر من مائة ريال في كل شهر. أما أقارب التمايشي
 فلا نصيب لهم ألبتة حتى ان يعقوب أخا التمايشي ووكيل رايته كان يتردد
 على باب أحمد سليمان شهرين أو ثلاثة فلا يمنحه بعدها اكثر من خمسة ريالات
 وقد رأته مراراً واقفاً على باب أحمد سليمان موقف اذلاء السؤال فلا
 يؤذن له بالدخول الي حضرته

وجملة القول ان من ينظر بعين الامعان يتحقق ان أحمد سليمان كان أقرب مقرب للمهدي وأصدق صدق له وأعظم مستشار أمين عنده حتى ان أولاد المهدي ونسائه لا يجسر أحدهم ان يقول أمامه كلمة تمس أحمد سليمان

ويظهر جليا من هذا ان أحمد سليمان كان لا يأتي أبداً أسراً يوجب انحراف المهدي عنه ولهذا أرجح صدق ماسمعه من الواقفين على كنهه سيرة المهدي من ان أحمد سليمان كان لا يضع خيطا في إبرة بنيران يكون المهدي الأمر له بوضعه وهو كثير الاختلاء به وكان لا يحجب عنه حتى لو كانت المهدي محتليا بأحدى نسائه وغرفته مفلقة وطرقها أحمد سليمان أجابه من الداخل وأذنه بالولوج عليه وهذا متهى القربي ونهاية الزلفي ولما توفي المهدي كان التعاشي ينتظر من أحمد سليمان ان يتقرب منه ويخدمه بمثل ما كان يخدم به المهدي ويقود دابته حافيا كما كان يقود دابة المهدي فلم يفعل بل غاية الامر انه زاد في احترامه للتعاشي رعاية لمنصبه وزاد في مرتبته وخص ذوي قرابته بنصيب أقل من القليل من بيت المال وعكف على البذل والاتفاق على أقارب المهدي وزاد أعطية نسائه وأولاده وأمهاتهم

وكان أحمد سليمان يتوقع شرا يصيبه من التعاشي على أثر إفضاء الخلافة اليه وقد ذكرنا كتابه الى محمد خالد زقل وبمسد ان سجن أبو عنجة زقل انتدب التعاشي من بطائه أناسا ضبطوا بيت المال وكلفوا أحمد سليمان بتأدية الحساب عن الدخل والخرج منذ ولي علي بيت المال فخر من هذا الاقتراح واحتج بأن المهدي لم يأمره بضبط الحساب في دفاتر ولذلك لا يمكنه

أداء مثل هذا الحساب فاصدر أمرا بعزله وزجه في السجن فبقي فيه أكثر من سنة ثم أطلقه وعهد بإمارة بيت المال بعده الى رجل من أهالي جزيرة الحرطوم كان تاجرا في الأبيض اسمه ابراهيم بن عدلان وسنمود الى ذكر بقية أعماله وما كان بعد ذلك من صلبه

الإشاعة بعودة الانكليز الى دنقلة

لما أخلت الحملة الانكليزية دنقلة احتلها محمد الخير أمير بربر في أوائل سنة ١٣٠٣ وصرح مقاتلته الى جهة الشمال حتى بلغوا جنوب حلما التي كانت يومئذ مقر الحملة الانكليزية التي تقدمت منها بمض طواير وحاربت جنود محمد الخير وانتصرت عليهم فاستتج محمد الخير من تقدم الانكليز الى جنوب حلما انهم يقصدون التقدم الى دنقلة لاختضاع السودان كله حيث سمعوا بمهلك المهدي فاسرع ببلاغ الخبر الى عبدالله التعايشي فانقض هذا الخبر عليه انقضاض الصاعقة وارتاع روعا أفقده السواب لان تقدم الانكليز يقضي على آماله التي شرع في تأسيسها وهي استبداده بالملك وانفراده بالسلطان اذ يصير ارضاء الخليفة ومنحه بعض السلطة واجبين لتوحيد الكلمة فجمع أهل شورا وكتب الى محمد الخير يأمره بالتقهقر أمام الانكليز وتركهم حتى يبلغوا أم درمان وفي اليوم التالي أعلن خبر تقدم الانكليز وأمر المقاتلة ان يسكروا شمال أم درمان فخرجت معهم وفي أصيل النهار لحق بنا التعايشي والخليفتان على حلو ومحمد شريف

ولما مالت الشمس للغروب توضحا لنا من النهر وصلي بنا التعايشي صلاة المغرب على ضفة النهر ووجوهنا متجهة الى النهرو بعد أداء الصلاة برز القمر

وقرصه مستدير ولونه أحمر كهيئته في مثل ليلته عند بروزه إذ كانت
 ليلة السادس عشر من شهر ربيع الآخرة سنة ١٣٠٣ فوقف واحد من
 الدراويش بجانب التمايشي وهو جالس ورفع صوته قائلاً (السلام عليكم
 يا أصحاب المهدي عليه السلام) فردوا التحية فقال حولوا نظركم الى جهة الشرق
 وانظروا الى القمر كيف برزولونه أحمر قان هل رأيتوه بهذا اللون فط
 فاجابه الخليفة على حلق قائلاً لا . لا . لم ننظره أبداً بهذا اللون فقال اني سمعت
 المهدي عليه السلام يقول ونحن في قدير « اذا فتحنا الخرطوم فان الله يجعل
 لاصحابي آية يمرقون بها النصر المبين الذي يصاحبهم الى الابد فقلنا ياسيدنا
 المهدي وما هي تلك الآية فقال هي خروج القمر في لون أحمر ، فوقف
 التمايشي وقال للرجل صدقت يا صاحب المهدي فما أنا ذا أقرأ كتابة على
 صفحة القمر وهي « هذا نصر المهدي وأصحابه الى الابد » فضج الناس
 بالهليل والتكبير حتى خلت السماء فد انطبقت على الارض ثم بعد اداء صلاة
 العشاء عدنا الى أم درمان وقضيت ليالي متعجبا من جهالة دراويش المهدي
 الذين يعلمون ان التمايشي لا يقرأ ما يكتب على القرطاس فكيف يصدقون انه يقرأ
 ما يكتب على صفحة القمر وأخيراً كذبت الاشاعة وعاد الانكياز الى حلقنا
 اذ هم في الحقيقة لم يقصدوا التقدم الى دنقلة بل كانوا يقصدون طرد الدراويش
 من جنوب حلقنا ففازوا عليهم وأبعدوهم عن جنوبها
 أما تلك الوقائع فان تفاصيلها لم تصل الينا من مصادر نثق بروايتها وغاية
 الامر ان التمايشي لما علم بمسدم صحة النبأ ذهب مخاوفه ولم ينشر شيئاً من
 تلك الوقائع التي عدتها تافهة لا تستحق الذكر

ذكر انفاذ عبد الرحمن النجومي الي دنقلة

في أوائل سنة ٣٠٣ ١٣ انفذ التتعايشي عبد الرحمن النجومي الي بربر ومنها الي دنقلة ومعه جميع المقاتلة التتابعين لراية الخليفة شريف فوصل الي دنقلة في أواخر السنة وأخذ مدينة (المرضى) قاعدة إفليم دنقلة مركزا لمسكره العام ووصلت طلائع جيشه الي جنوب حلقا وسنعود الي ذكر بقية أخباره الي قتله في واقعة (طوشكى) والله الموفق



انتفاض دارفور علي التتعايشي واخضاعها

لما غادر محمد خالد زقل دارفور هبّ رجل اسمه يوسف من ذراري سلاطين دارفور واستخلص البلاد من ايدي الدراويش الذين تركهم بها زقل ونودي به سلطانا علي اقاليم دارفور كما كان اسلافه فكتب التتعايشي الي عثمان آدم جانو يأمره بمحشد أهالي كردفان والتقدم بهم الي دارفور لاخضاعها فحشد جيشا يربو علي الخمسين الف مقاتل منهم نحو عشرة آلاف كانوا مسلحين بالاسلحة النارية وهجم بهم علي (الفاشر) عاصمة دارفور فقابله السلطان يوسف في جمع كثيف ودافعوا دفاع الأبطال وانجبت الحرب عن هزيمة أهل دارفور وقتل السلطان يوسف ودانت البلاد بطاعة المهديوية فاستولي عليها عثمان آدم وأخذ يوالي الغارة علي الجبال التي حول دارفور فاجتمع لديه من الارقاء زهاء عشرين الف مقاتل سلّحهم بالاسلحة النارية وأرسل عثمان آدم بما غنمه من دارفور الي التتعايشي علي مألوف العادة وأرسل اكثر من ثلاثمائة فتاة من فتيات دارفور سبايا الي التتعايشي الذي سر

من عمله وكتب اليه بالولاية على إقليم دارفور وكردفان وجعله قائد جيوشها
وسياتي ذكر بقية أعماله وحروبه مع أبي جيزة مدعي المهديونية

ذكر محاق قبيلة الشكرية بالحبشة وقتل زعمائها

في أوائل سنة ١٣٠٤ كتب التمايشي الي قبيلة الشكرية يدعوها الي
الشخص الي أم درمان ماشيتها وكانت وقتئذ نازلة في باديتها بصحراء (ريره)
بين نهري (اتبره) والنيل الارزق فايقتت ان دعوتها الي أم درمان لم تكن
لغير نهب ماشيتها ومصادرتها فعولت على الالتجاء الي بلاد الاحباش وكان
زعيمها عوض الكريم بن أبي سن الذي ذكرنا أخباره مع المأسوف عليه
غردون وقدمه على المهدي تائبا نادما مقبيا يومئذ في أم دره ان

وبعد أيام قلائل من دعوة التمايشي لقبيلة الشكرية جاءته لاخبار
بمصادرتها ديارها وخالقها ببلاد الاحباش فاحتدم غيظا وأمر بالقاء القبض على
عوض الكريم بن أبي سن وسائر أفراد أسرته الذين هم من قبيلة الشكرية فقبض
على نحو مائتي رجل من خيارهم وكبلوا بالحديد وزجوا في السجن حتى
أمر التمايشي بقتلهم صبرا فقتلوا جميعا ولم ينج منهم أحد

أما الذين هاجروا الي الحبشة فلم يكونوا أسعد حالا من الذين قضى
عليهم في السجن لان رداءة هواء بلاد الحبشة استأصلت إبلهم التي كانت
تمد بمئات الالوف وأبادت نفوسهم التي يقرب عددها من ثلاثمائة الف
نسمة. وبالجملة فان تلك القبيلة التي كانت من اكبر قبائل السودان واكثرها
ماشية وأشدّها بطشا وقوة هالكت عن بكرة أبيها وذهبت ماشيتها ولم يبق
منها غير بضعة آلاف نسمة متفرقين في البلاد وهم في نهاية القعر المدقع

ذكر قبيلة الضباينة والقبض على زعيمها في الجهات الجنوبية في نهر (اتره) قبيله تسمى الضباينة يربو عدد نفوسها على اربمائة الف نسمة رطمان الماشية من نوع الابل والبقر ما يربو على ماشية قبيلة الشكرية وهي رحالة وزعيمها محمود عيسى زائد الشامي وهو من أسرة تولت زعامة تلك القبيلة منذ قرون وتؤكد هذه الاسرة ان جدها شامي قدم السودان من الديار الشامية منذ قرون أيضا وكان محمد زائد هذا ذا ثروة واسعة وله من الموالى والارقاء مالا يدخل تحت حصر حتى انك ترى قري مملوءة بارقاؤه وكان كريما جودا يقري الضيوف ويمطى المال بالآلاف الريالات وكانت له قصعة من الخشب يحملها خمسون رجلا . وقد أخبرني واحد من الذين حضروا مصادرة أمواله انهم أحصوا النوق الموسومة بالنار على نغذها الايمن اشارة الى انها معدة لركوبه خاصة لا يسوغ لاحد من مواليه أو أسرته ركوبها اجلالا لمقامه فكانت نحو أربعة آلاف راس من اكرم أنواع النوق والهجن

وكان محمود عيسى زائد يفض المهدوية ويبطن ولاء الحكومة وان كان يمالئ المهدوية ويتظاهر بطاعتها حتى ان عثمان دقنة كان يكتب له قبل سقوط كسلة محرصا على وجوب شن الغارة على حامية (الجيرة) قبل سحبها لانها قريبة من قرية (التومات) محل اقامته فلا يفعل وبعد أن سقطت كسلة أرسل عثمان دقنة نحو أربعة آلاف مقاتل تحت قيادة عوض الكريم كافوت الجملي فقبضوا على محمود عيسى زائد على غرة وصادروا أمواله وحملوها

الى الخليفة التمايشي ومن جلتها (القصة) التي جعلها التمايشي اثناء تقدم فيه شياً من تافه الطعام الى المدعوين في أيام المواسم والاعياد ولكن محمود زائد كان يقرى ضيوفه بمثلها صباحاً ومساءً طعاماً نفيساً هو خليط من قمح ولحم ولبن وسكر أو عسل مصفى وسيق. محمود زائد الى التمايشي يرسف في القيود والاعلال فطرحه في السجن وفي سنة ١٣٠٧ اسأصل الزاكي طمل قبيلة الضباينة وأطلق الخليفة محمود زائد فوات غمابه ان أصابه من عذاب السجن وفقدان القوة ما برح به خمس سنوات متواليات

ذكر انتفاض قبيلة جهينة

ذكرنا بعض اخلاق وعادات قبيلة جهينة التي تسكن جنوب سنار وقانا ان زعيمها المهدي اباروف شخص الى المهدي في جبل (قدير) وعاد من عنده داعياً له في قومه الذين جمعهم وظل يحارب بهم مدينة سنار حتى سقطت ثم عاد الى بلاده فيما وراء سنار

وفي أوائل سنة ١٣٠٣ أرسل التمايشي جابيا بقاريا اسمه أبو ام فضالي لجباية الحراج من قبيلة جهينة وسائر البلاد الواقعة جنوب سنار فحلمهم من أنواع المظالم وضروب الحيف ما عجزوا عن تحمله فرفعوا شكواهم الى التمايشي الذي عنفهم واتهمهم بالبروق من الدين لأنهم شكوا اليه أصحاب المهدي فهبت قبيلة جهينة وزعيمها وأخرجت ابا أم فضالي قسراً من بين ظهرانيها واعلنت خروجها على التمايشي الذي لما اتصل به هذا النبا أسرع بانفاذ نحو خمسة آلاف مقاتل جاهم مسلح بالاسلحة النارية فعاردوا قبيلة جهينة وقتلوا زعيمها المهدي اباروف واسرته وأصدر التمايشي أمراً بمصادرة أموال هذه

القبيلة وانفذ الامراء الى الجهات التي بها مساكنهم فكنت ترى الابل والبقر قد ضاقت بها الارض على وسعها ونزلت اثمان النوق حتى صار ثمن الواحدة خمسة قروش مصرية وزاد الطين بلة مصادرة ماشية قبيلة الكبايش في نفس الوقت الذي صودرت فيه اموال جهينة وماشية الكبايش تربو على ماشية جهينة كما سنوضحه فيما سيأتي

والحاصل ان قبيلة جهينة بادت كلها وذهبت ماشيتها ولم يبق منها ولاؤها للمهدي وقيامها ضد الحكومة

ذكر حرب قبيلة الكبايش

ذكرنا قتل ابن زعيم قبيلة الكبايش في الابيض لما كان المهدي نازلا بها وعلى اثر قتله جاهرتم قبيلة الكبايش بالعصيان على المهدي وابتعدت من المناهل والمراعي القريبة من كردفان وتوغلت في الصحراء التي بين كردفان ودنقلة

ولما استولت المهديوية على الخرطوم والسحب الانكليز من دنقلة كتب التمايشي الى الشيخ صالح زعيم الكبايش يدعوهم الى الطاعة ويعدده ناراً ويتوعدده اخري فلم يلتفت الي وعده ولم يرهب من وعيده بل توغل في الصحراء حتى صار على مقربة من الواحات الجنوبية فانتدب التمايشي محمد نوباوي شيخ قبيلة بني جرار التي هي بطن من بطون قبيلة الكبايش وهو الذي دخل على الطيب الاثر اجنرال غردون وقتله

وانتدب التمايشي معه عدداً كبيراً من الفرسان فساروا من أم درمان مخترقين الصحراء حتى بلغوا منهل (أم بدر) وكان الشيخ صالح نازلاً به

ومعه نحو مائتي رجل من أسرته ومواليه وبقية القبيلة متفرقة في المراعي
والمناهل فاحاط محمد نوباري بخيام الشيخ صالح في الفلج فانتبه من في
الخيام مذعورين وركب الشيخ صالح فرسه وكذلك بقية من معه وأخذوا
يطلقون الرصاص على الدراويش حتى نفذت ذخيرتهم فالتوا سوفهم وهجموا
على صفوف الدراويش فاخترقوها وزحزحهم عن مواقعهم وأصيب الشيخ
صالح برصاصة في ذراعه فخر صريعا عن جواده فتقدم اليه محمد نوباري ليشد
وثاقه فابتدره بالشتم ولعن المهدي وخليفته وقال له أمثلي يساق أسيرا فامتنع
محمد نوباري عن قتله احتراما لما بينهما من صلوات النسب فتقدم أحد
الدراويش وقتله وحز رأسه ورؤس اخويه ورجال أسرته الذين سقطوا
قتلى بمد اصابته وحملت الرؤس الى التعالشي فسر بها وخرسا جدا على ما أوتيه
من النصر وانتدب الزاكي عثمان ومعه كتبة وجنود ووجههم الى محل الواقعة
كي يجمعوا الغنائم وبلغني من أولئك الكتبة ن عدد لرؤس من الابل كان
يربو على مليون ويقرب عدد البقر من الخمسمائة الف رأس أما الماشية
الصغيرة فانهم لم يمتنوا بتعدادها لكثرتها وأرسلت هاته الماشية وبيعت مع
غنائم جهينة في أم درمان وقد ذكرنا أن ثمن الناقة المنخفض الى خمسة قروش مصرية
وجي بالجماعات من النساء سبايا وبالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
وكانت قبيلة الكبايش هذه أعظم قبائل السودان والثرهن ماشية وثروة
وزعيمها أغني زعماء القبائل في السودان وكان قد وفد نذ خمسة وعشرين عاما على
المغفور له الخديوي اسماعيل باشا وقدم له هدايا وتحفا فاكرم وفادته وأعادته الى بلاده
بالمز والاكرام ومن أعجب ما شاهدته ان اكبر بنات الشيخ صالح هذا كانت تحمل
على رأسها في أم درمان اناء تبيع فيه الماء لتحصيل قوتها وقد كانت هذه المرأة

وسار نساء أسرتها يلبسن نعلا من خالص التبر وإذا خرجت احدها من دار الى أخرى مشى حولها مائة من الجوارى وعلى كل واحدة من الخلى مالا يقل من مائة أقية من التبر يظللن على مولاتهن بالاردية الحريرية وقد شاهدت اكثر هاته المقيلات تسولات في الاسواق فسبحان المعز المذل

وفي ذات يوم كنت جالسا بالقرب من مقصورة التعايشي فقال له أحد جلسائه ان بنت صالح زعيم الكبايش تبيع الماء لنوت يومها فظهر الأسف وقال من الواجب علينا اكرامها وأرسل في طلبها فبعت نفسها لها عن حالها فاجابته واكثرت من الثناء والاطراء عليه فامر أحد غلمانه باعطائها شيئا من النقود ضمته في كفها وخرج الناس وراءها ليملوا مقدار جارتها فاذا هي سبعة ريات من عملة النحاس تقدر قيمتها بسبعة قروش مصرية فقالت المرأة انظروا لجائزة الخليفة ومبلغ اكرامه لمثل

هذا وجمة القول ان قبيلة الكبايش بادت ولحقت بنيرها من القبائل

والدوام لله وحده

ذكر القبض علي شارل نيوفيلد

شارل نيوفيلد ألماني اتوطن اصوان مزاولة مهنة الاتجار بتقديم لوازم الجيش في الحدود فاحرز من هذه الحرفة ثروة واقتنى عقارا وزاد في ثروته انه منذ بداية أمره كان يحسن معاشرة الوطنيين ويتشبه بهم في الاخلاق والعادات حتى كانه واحد منهم ولم يظهر على ملامحه انه متكلف لهذا التشبه حتى نال حظوة عظيمة عند جميع السكان زادت في نجاحه وفتحت في وجهه

أبواب الكسب وساعده على احراز الثروة

وفي أواخر سنة ١٣٠٣ انفذ الشيخ صالح زعيم قبيلة الكبايش الذي تقدم لنا خبر قتله وفداً الى الحكومة الحديوية يسألها امداده بالاسلحة والذخيرة ليقوى على دفع غارة المهديين من نفسه فاعطت الحكومة رجال الوفد مائتي بندقية من طرز رامنجتون بذخيرتها وأخذوا في الاهبة والاستعداد لاختراق صحراء الجعب من حلقا الى منارل فيبيتهم وفي إبان ذلك اجتمع شارل نيوفيلد بتاجر من أهل كردفان اسمه خوجال أم برير فقال له التاجر ان لدى كيه وافرة من الصمغ والماج وريش النعام فانفقا على ان يذهب نيوفيلد صحبة وفد الكبايش وبواسطة نفوذ زعيمهم يخرق بقية الصحراء الى الابيض ومن هناك يحمل الصمغ والماج وريش النعام بنسير ان يشعر به أحد من دروايش المهديوية وقد جعل له خوجال نصيباً وافراً من تلك السلع نظير مخاطرته التي يتعذر معها نجاحه ووصوله الى مقصده

وقد عرض نيوفيلد أمره على ولاية الامور في الحدود فلم يمانوه فنادر حلقا صحبة الوفد ومعه محظية حبشية وان دليل الوفد ميالا لجهة المهديوين فابلغ عبد الرحمن النجومي الذي كان وقتئذ في دنقلة وأطلعه على خطة سيره وارشده الى المكان الذي يقابلهم فيه المبعوثون من عنده فصار شارل نيوفيلد مع الوفد وهو لا يعلم شيئاً من القدر المخبوء له فسار بهم الدليل في بادية معطشة حتى وفقدوا الماء مدة أربع وعشرين ساعة

وكان النجومي قد انفذ وراءهم خمسمائة راكب تحت قيادة محمد حمزة الانقريابي وبينما كانت القافلة سائرة والظما قد بلغ غايته من رجالها والدليل يمدهم بقرب الوصول الى الماء اذ داهمهم العدو على غرة وتمكن من ثقتهم فانحاز

الرجال الى ربوة مرشمة واطلقوا النيران دفاعا عن انفسهم فهلك من هلك
وأخذ الباقون اسرى وسعدنيوفيلد على مكان آخر مفضلا الموت على الوقوع
في اسر أولئك الطغاة المتوحشين فامسك المدو محظيته وجعلها بمضهم كترس
تفي به مقدوفات مولاها الذي شلت يمينه عند ماتحقق انه يقتل محظيته
اذا أصر على عزه الاول فاسلم نفسه ووقع أسيراً في يد المدو الذي جرده
من ملابسه ووضع الاغلال في عنقه وساقه ماشياً على قدميه حتى لمخ دقة
بعد مسيرة عدة ايام فامر عبد الرحمن الحجى بصلب اسرى الكبابيش وارسال
شارل يوفيلد الى الطاغية النعاشي بام درمان

ولما أوقف بين يدي النعاشي صاح قائلاً هذه صفة الكار التي وصفها
لنا المهدي ثم عرض عليه اعتناق الاسلام فاني فامر بصلبه فسبق الى
محل (المشنقة) ثم رجعوه الى النعاشي وهكذا فعلوا ثلاث مرات وبعد ايام
رضى باعتناق الاسلام دينا ونطق بالشهادتين واذ ذاك أمر النعاشي بزجه في
السجن حتى اطلقه اللورد كتنشر باشاوسنمود الي ذكر بقية حوادثه والله الهادي

ذكر حروب الاحباش الي قتل النعاشي يوحنا

تقدم لنا ذكر ول واقعة جرت بين المهديين والاحباش التي انتصر فيها الرأس
الولا على عثمان دقنة في كوفيت وقبل الكلام على هذه الحروب نذكر طرفاً يتعلق
(بالقلابات) وما يتبها من بلاد (القضارف) مواطن تلك الحروب الهائلة فنقول
القلابات اسم لبلدة على شاطئ نهر (اتبره) جنوب القضارف وهي آخر
حدود الحكومة الحديوية في بلاد الاحباش من جهة الجنوب بالنسبة لموقع
بلاد القضارف

وكان سكانها الاقدمون من دكروور السودان الغربي ولا نعلم كيف جاؤا
من بلادهم واخترقوا السودان من الغرب منى وساء الآخر نقطة من
شرقه الجنوى وكان أولئك السكان يؤمنون بجزبه لما كان له ابنة
ولما احتلت الحكومة المملوكية البلاد وانشأت الممالك من أهم
المواقع التي حصنها لدفع غارة الاحباش من بلادها وكان آخر زعيم من
أولئك الدكرووريين صالح شنقه الذي نال من الحكومة الخديوية لقب بك
واستمر على دفع الجزية للاباش كما كان اسلافه

أما القصارف فانها بلاد لودية شرق افريقيا يحيط بها سمر
(اتبره) من حتمى انوب واترف وهي باقية جدها ونجارتها واسمه
وفيها من النباتات مالابوج في السودان كله وثمن ما يحمله لجل من
الذرة من نوع اسمه (الكرفى) يخالف الذرة الرفيعة بمظم حبه وبياض له
الذى يستخرج منه مواد نشوية نشبه ما يستخرج من الارز بضمه فروش
مصرية وفي بلاد القصارف غلة تشبه الحلبة في اللون الا ان طعمها كالكشيدى
الحلاوة اسمها (الشمشم) تنلى على النار بالماء فتتحول الى حلاوة الشهد
فياكلونها ويشربون ماءها

وعاصمة هذه البلاد تدعى (ولدأوسن) وهي مدينة كبيرة
فيها منازل مشيدة بالابن الاحمر والآجر وقصور شامخة مشيدة بالاحجار
وأصحابها تجار مصريون وسوريون ويونان وبعض من الفرنسويين ولارمن
وحول هذه المدينة حديد غناء وفواكه لذيذة كالعنب والتين
والقشطة والموز والمان والبورتقال ومن أعجب ما علمته عن القصارف ان
النخل ثمر فيها مرتين في السنة كذلك العنب ليس ثمرتين في السنة

صرة في الشتاء واخري في الصيف موجود فيها وفي الخرطوم
 وفي القضارف مدن أخرى غير عاصمتها يسكنها اترك ومصريون
 ويونان وأرمن وهي لا تقل عن عاصمتها وأشهرها (عصار) و (دوكه)
 وسكان القضارف فثمان سكان القرى وسكان البوادي الذين جلبهم من قبيلة
 (الضباينة) التي تقدم لنا ذكر زعيمها محمود عيسى زائد وكتلتها متوفرة لديها
 أسباب المعيشة ومتحصلة على نعومة الميش من أسهل الطرق وأقربها
 وسيأتي ذكر خراب تلك البلاد وانها الآن قفر ليس فيها عشرة آلاف
 ساكن بعد ان كان تعداد سكانها يربو على مليون نسمة

وكان لعوض الكريم أبي سن زعيم قبيلة الشكرية الذي قتله التمايشي
 صبرا ابن اسمه عبد الله أمه من قبيلة الجميلين مال الي اخواله ورجب عن
 خطة ولده وقومه الشكرية وعدوهم عن قبول دعوة المهدي وقدم على
 المهدي الذي ولاه الدعوة له في القضارف فقام بها وأدخل البلاد في دعوة المهدي
 وكان في منزل صالح شنفه زعيم دكربري القلابات رجل يعلم الصية
 القرآن الشريف فلحق بالمهدي وعاد من عنده يحمل أوامره بالدعوة له في القلابات
 فانسحبت حامية القلابات لي بلاد الحبشة انفاذا للمعاهدة التي أبرمت بين
 الاحباش والحكومة الحوية فاحتل ذلك الداعية القلابات باسم المهدي ومنع
 اداء الجزية للاحباش الذين كانوا وقتئذ مشتغلين بدفع غارة الايطاليين عن
 بلادهم في الجهاد التي تلي ساحل مصوع واسم هذا الداعية محمد بن ارباب وغادر
 صالح شنفه القلابات مع الغامية ولم يشأ البقاء فيها

هذا وقد كانت دعوة المهدي قد دخلت في بلاد الحبشة على يد رجل
 من أمراء الاحباش المسلمين اسمه محمد جبريل وقد على المهدي قبيل وفاته

بأيام قلائل فأعادته إلى بلاده بمنشور دعا الاحباش فيه إلى اعتناق الإسلام
وطرح النصرانية والاجتماع على طاعة محمد جبريل لقنال الكفار وهامى صورة
المنشور نقلا عن كتاب المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله مع التسليم
وبعد فمن البعد المفتقر إلى الله محمد المهدي بن عبد الله إلى أهالي (قبراقوما
وقا وحما ولما والنارية بلد البن وليكاونونوا ولي بن وهروسي وفبا وكناه
وكونت وكوشاوشتا وقونه ولا مواوا بايروكوا ونبسوا وسوروا) وفقهم الله
لطاعته وأنحفهم بمرضاته آمين بعد السلام عليكم أعلموا وفقكم الله لما يحبه
ويرضاه وجعلكم من الفائزين إن الدنيا قد ولت مدبرة وإن الآخرة قد
ترتبت مقبلة ومع ذلك فأنما في الدنيا خسيس جدا وما في الآخرة نفس
جدا وعلى العاقل إن يسي انفس دائم ويمرض عن خسيس فان وكثيرا
ما حل ببناء الدنيا من الدمار والحسرات وكثيرا ما اجتبي الله ابناء الآخرة
ورفعهم اعلا الدرجات وأنزل لهم السمات وأنوع السمات ون الله له لي
قد أظهرني رحمة للمؤمنين وبنيهم للأصالحين وسيد قطب رحمه الله حين فرغ من
الله سعادته ونجاته من خزي الدنيا والآخرة لباني. أجب دعائي وصرني
وآواني ومن غلبت عليه شقوته أعرض ونأي ركذب وعصى فن لباني فاز ونال
من الخير العميم ما لا يعد ولا يحصى ومن عرض قدومه هانت به خذلانا
مبيناه حيث نمته انما اليمانه اني من سب ه لداقة سمات لك
اللطان محمد جبريل عاملا عبيكته من يري ان الله به نال
سلوك سبيل الرشاد فينبغي بوصور هذا عندهم ان وزروه ون تشد

عضده وتسموا أمره ونهيه مادام على الحق والصدق وان تحاربوا معه كل من ضل واعرض عن الاتباع. وسلك طريق الغواية والابتداع. ولا تركنوا الى الراحة والبطالة فان الجهاد فضل عميم. وثواب جسيم. منوه عليه بسواطع أدلة القرآن العظيم. وأحاديث النبي الكريم. وكفى من ذلك قوله تعالى «الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنت لهم فيها نعيم مقيم» الآية وقوله صلى الله عليه وسلم «رب غدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها» أو كما قال وحيث كان كذلك فاذا وصلكم جوابي هذا فشمروا في طاعة الله ورسوله وابدلوا أرواحكم في نصرة دين ربكم بحيث من كان منكم على دين النصرانية يرفضه ويدخل الاسلام ويبادر بالتسليم والانخراط في سلك المهديّة قال تعالى «ان الدين عند الله الاسلام» «وانيبوا الي ربكم وأسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم المذاب بفتنة وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين تري المذاب لو أن لي كرة فاكون من المحسنين» فرد الله على من هذا حاله بقوله «بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ويوم القيامة تري الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة» الآية فهذه الآيات وما مثلها مما يرغب في دين الاسلام والتسليم لامر المهديّة ويفر عما سواه وأما من كانوا منكم على دين الاسلام فتأييده وتشييده هو غايه مقصودهم فليشمروا في نصرتنا ابتغاء مرضات الله ادام الله توفيقكم وجعلكم من

عباده المؤمنين آمين وفي هذا كفاية لمن له قلب والسلام ١١ شعبان سنة ١٣٠٢
 وأنت أيها الأمير محمد جبريل أوصيك بتقوى الله في شرك وعلايتك وإيثار
 آخرتك على دنياك وأن لا تقدم على أمر مالم تعلم حكم الله فيه فان الامارة
 خطرهما عظيم وخطبها جسيم ولا بد لصاحبها من الخلود في النعيم المقيم أو
 العذاب الاليم قال تعالى «فاما من ظني وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى
 وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى» ونظرا
 لذلك فان امارتنا لك معلقة على شرط اتباع الكتاب والسنة فان غيرت أو
 بدلت فلا امارة لك فافهم ذلك واسترشد به ولكمال المملومية لزممت التحشية
 في تاريخه

هذا ولما دخت دعوة المهدي في بلاد الاحباش ادرك النجاشي يوحنا خشونة
 مركبه ومغبة أمره حيال هذه الدعوة التي هاله انتشارها فلم ير وسيلة لدفع
 شرها غير التدرع بالجبروت ومقاومة دعائها بضروب القوة والقهر بيد أنه
 تعالى في هذا السبيل حتي فقد الروية والنظر القصي للمواقب فانشب مخالب
 الاضطهاد الديني في مسلمي رعيته وخالف تقاليد اسلافه حيث اكره نحو
 مائة الف من أهل القبلة على اعتناق النصرانية وعذبهم عذابا اليما
 على ان حرية الاديان في بلاد الحبشة كانت لا تزال بالغة حد الكمال
 حتى ان شقيقة النجاشي يوحنا اعتنقت الاسلام وتزوجت باحد الامراء المسلمين
 فلم يمنعها أخوها ولم ينقصها شيأ من الاحترام الواجب لثالثها
 وقد قام كثير من أمراء الاحباش المسيحيين و«نصو» النجاشي النصيح بالمدول
 عن هذا الاكراه فلم يكثرث بنصحهم وظل على رأيه التمثال وكان منليك
 نجاشي الحبشة الحالي أول معترض على عمل النجاشي يوحنا

وعلى أثر ذلك نزع كثير من مسلمي الاحباش وحقوا بالتعايشي فولى عليهم رجلا منهم اسمه (محمد فقرا) وعسكروا في الشمال الشرقي من القلابات عند نهر (ابره) بالقرب من جهة (العرايب) وسما معسكرهم (تبارك الله)

وفي أواخر سنة ١٣٠٣ وفد على التعايشي محمد أرباب أمير القلابات فأكرم وفادته وأعطاه أسلحة نارية وخيولا وأعادته الى القلابات وأوصاه بالنارة على اطراف بلاد الاحباش فاغار عليها في تلك السنة وخرب عدة قري وأحرق الكنائس واتف ما فيها من التمايل وكذلك أغار محمد فقرا على القري التي هي حيال معسكر (تبارك الله) وانحن في أهلها

وكان في جهة (غبته) اعرابي اسمه عجيل الحراني في السودان الشرقي فر باكثر قبيلته من وجه المهديين ورجأ الى بلاد الاحباش فامدوه بالاسلحة ووكلوا به الدفاع عن حدودهم في جهة (غبته) فكان يوالي النارة على القري التي على ضفة نهر (ابره) وكانت غاراته لا يلحق المهديين منها اقل ضرر بل كان شرها واقما على الضعفاء سكان تلك القري الذين دخلوا في طاعة المهديين قسراً وفي أوائل سنة ١٣٠٤ تواترت الاخبار بتقدم الاحباش الى معسكر القلابات و (تبارك الله)

وفي أوائل شهر ربيع الآخر سنة ١٣٠٤ هجم الراس عذار على محمد أرباب في القلابات وقتله واكثر مقاتلته وفر الباقون الي (القصارف) وهجم جيش حبشي على محمد فقرا في (تبارك الله) ففر بجميع مقاتلته عند تروأى الجمين وحق بالقصارف أيضا وطارت الاخبار بذلك الى التعايشي في أم درمان فانتدب يونس بن الدكيم في عشرين الف مقاتل فسار من أم درمان الي

القلابات فوصلها في شهر رجب وانسحب الاحباش منها بغير قتال
ولما استقر يونس بجيشه في القلابات بذل الامان لتجار الاحباش بخاؤوا
اليها بسلمهم فوثب عليهم وصادر أموالهم وساقهم اسرى يرسفون في القيود
والاغلال الي أم درمان فاذاغ التمايشي بين الناس ان يونس غزا بلاد الحبشة
وخرّب عدة مدن واستولي عليها وأن هؤلاء اسري تلك الوقائع ولم تمض أيام
حتى ظهرت الحقيقة وعلم الكل ان أولئك الاسرى كانوا تجارا أمهم يونس ثم غدر
بهم ونهب أموالهم وساقهم اسرى الي التمايشي

أما يونس الديكيم هذا فانه تمايشي من قبيلة التمايشة وكان فقيراً لا يملك
شروى نقيير وهو أحد أزواج والدة التمايشي قدم على المهدي في الابيض
وبقى مع التمايشي يقاسى من شظف الميش أمره حتى توفي المهدي فجعله
التمايشي قائداً على نحو عشرين الف مقاتل وله نوادر مضحكة تدل على سخافة
عقله. منها ان الناس كانوا يأتونه فاذا وقفوا بين يديه صوبوا نظرهم الي الارض
فيقول لهم لماذا لا ترفعون ابصاركم نحوي فيقولون وهل يستطيع أحد النظر
الي وجهك الذي يفوق وجه السبع فيرتاح الي ذلك ويأمر بعزف الطبول
ويركب جواده ويأمر مقاتلته باطلاق النيران في الهواء. ومنها انه اذا جلس بين
اتباعه فلا كلام له غير الثناء على نفسه ومنها انه كان يقول اذا التقينا بجيوش الترك
نقتل في الدقيقة مئات منهم ونحترق صفوفهم ونزحزحهم عن مواقفهم الي غير
ذلك من الاكاذيب فقد علم الخاص والعام ان يونس هذا من أجهن خلق الله وانه
يفر من مواطن القتال كما تفر النعامة من صفيير الصافر

ومن أعجب خرافاته انه كثيراً ما كان يقول انه سيفتح لوندرة عاصمة
الانكيز وانه سيتزوج باكرم عقيلاتها

وصلى بالناس مرة صلاة الظهر ثماني زكّات فقال له أحد الحاضرين
اسجد للسوء فغضب وقال وهل أنا جاهل حتى يرشدني مثلك فان سجود
السهو لا يكون للزيادة بل للنقص لان العبد اذا أمره مولاه بحراثة أربعة
أفدنة مثلاً من أرضه ثم رأى نفسه قادراً على حراثة ثمانية أفدنة فحرق
موجياً رضى مولاه عنه بخلاف ما لو أمره بحراثة أربعة أفدنة فحرق
ثلاثة أو اثنين فان هذا النقص يكون موجياً لغضب مولاه عليه وحينئذ
يجب ان يقدم المندرة وهذان المثالان ينطبقان على الصلاة ثم أمر بالرجل
فجلد بالسياط حتى مزق جسمه وسيق الى السجن وخزعات يونس كثيرة
يضيق المقام دون سرد القليل منها والحاصل انه كان جاهلاً سخيف العقل
ظلوماً غشوماً قاتله الله

وفي أوائل سنة ١٣٠٤ استقدم التمايشي حمدان أبو عنجة من الجبال
فقدم في جيش عرمرم ومكث بام درمان بضعة شهور ثم انفذه التمايشي
الى القلابات لتعزيز الحامية التي بها حتى تصبح قادرة على أخذ الثار من الاحباش
فسار أبو عنجة قاصداً القلابات وبينما كان سائراً في الطريق بلغه ظهور رجل
فيها ادعى انه المسيح عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه
ولما وصل أبو عنجة الى القلابات وعرض على يونس أوامر التمايشي
بتوليته القيادة العامة على الحامية أرسل يونس يبلغ التمايشي ذلك الخبر فأمره ان
يسير حياً هذه المسألة بماضى عزيمته المعروفة مطيعاً لابن عنجة
أما ذلك المتنبى فانه من أهل دكرور وله معرفة بضروب السيمياء
والشعوذة حتى انه كان يصنع امام الملائم اشياء من تلك الخزعبلات يخالفها
الرأي حقيقة لا ريب فيها

وأصل ذلك المذكور من جيش يونس الدكيم غادر أم درمان معه
 وكانت أمحق طائشا حدثته نفسه بأنه سيبلغ أربه من اتعال دعوي انه
 عيسي روح الله لما اشتهر من ان نزول المسيح عليه السلام يعقب
 ظهور المهدي المنتظر فجهر بدعواه وصنع امام الناس خيالات من السيمياء
 ظننها دراويش المهدي الاغبياء من أعظم المعجزات فآمنوا بذلك الكذاب
 وبايعوه علي الطاعة العمياء وبايعه سبعة عشر قائدا من اكبر فواد جيش
 المهديونية الذين مع يونس ولم يداخلهم ادنى شك في صدق ما ادعاه

ومن العجب ان بين أولئك القواد ابن بقارى وهو فقيه من عائلة بقارى
 التي لها مدرسة يؤمها طلاب العلم في جزيرة السودان

وعرض السبعة عشر قائدا أمر تلك النبوة على قائدهم العام يونس
 فرافقهم الي محل الرجل ورأى من خزعبلاته ماراج تلى عقله الذي هو اكثر
 سخافة من عقول قواده السبعة عشر الا انه خاف عاقبة الاسترسال في هذا الامر
 فارسل يبلغ التعاشي بتفصيل المسألة سرا

ولما وصل أبو حنجة الي القلابات ومعه اكثر من أربعين الف مقاتل
 وكثير من المدافع والسواربخ وبضعة آلاف فارس أحاط بالمعسكر احاطة السوار
 بالمعصم واستدعي يونس ووضع يده على مخازق الذخيرة واستولي على الجبه خاتة
 ثم قبض على المتنبى وسأله عن دعواه فقال انه جاء بعد المهدي وان الله أرسله
 لشد عضد التعاشي فقال له ألت فلان بن فلان ولا تزل امرأتك
 وبنوك بام درمان فاجاب بالسلب فامر بصلبه فصلب ثم قبض على السبعة
 عشر قائدا الذين صدقوه وقال لهم ها هو صاحبكم مصلوب فقالوا كلاً بل
 شبه لكم وقرؤا قوله تعالى «وما قتلوه وما صابوه» الآية فامر بهم فصلبوا

وعادت المياه الى مجاريها وتبددت غياهب الفتنة التي كنا نظن انها تأتي بانقلاب
يكون من ورائه فرج قريب وما ذلك الا لانا كنا كالغريق يتشبث بسفينة
تقاذفها الامواج

ثم استدعى المتعاشي يونس الديلمي الي أم درمان وعنفه علي
ما ظهر من خوره وضعف عزيمته حيال دعوى ذلك الكذاب وسيأتي ذكر
تعيينه علي دنقلة

ولما اتصل بالمتعاشي نبأ مهلك ذلك الكذاب خرج ذات يوم ويده
منشور فرقي المنبر الذي أعده للخطابة وكان منبر المسجد العام في الخرطوم
فنقله الي أم درمان وأعدده للخطابة وقص علي الناس أمر ذلك المتنبئ ثم دفع
المنشور الي من يقرأه وفيه بعد البسمة والحمدلة مانصه

وبعد فيقول عبدربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن
السيد محمد خليفة الصديق وأمير جيش المهدي لما أتى الخبر بصلب الشخص
المدعي كذبا انه نبي الله عيسى وصلب أعوانه الذين صدقوه داخلتي شفقة شديدة
علي هؤلاء لانهم من أصحاب المهدي عليه السلام الاقدمين فاستغفرت الله لهم
فانكشف لي حالهم انكشافا روحيا فرأيتهم بعيني في طبقات جهنم وابن بقاري
في الطبقة الاخيرة منها وقد شفعت فيهم فجاء النبي صلي الله عليه وسلم
والمهدي عليه السلام فقالا لي انهم ماتوا وهم كفار ولا شفاعة فيمن يكفر
بالرحمن اه ملخصا

علي اننا نستدرك هنا تفصيل شيء من الشعوذة التي أثرت علي عقول
أولئك الاغبياء فنقول ان هذا الرجل كان يدعو الاشجار فتسمى اليه واذا
سألوه المطر في غير أوانه جادت السماء بمطر كأفواه القرب ولكن لا يتجاوز

دائرة جلوسه وانتفعت جثته مرة فلات غرفة كان فيها وخرجت من نوافذها وأراهم مرة اشباحاً في الفضاء لم يشكوا في انها ملائكة السماء زلوا لخدمته وموازرتة وبالجملة فان هذا الرجل كان بارعاً في الشعوذة متضلماً من علم السيمياء بكيفية لا يدرك كنهها أولئك الاغبياء

ذكر فتح قندير بالحبيسة

لما استقر حمدان ابو عنجة في القلابات سار الى (قندير) عاصمة مملكة الاحباش القديمة في أنى فارس وأنى مسلح ببنادق راجتوتون فالتقى بشو عشرة آلاف فارس من الاحباش في ضواحي المدينة ورفعت الحرب اوزارها بضع ساعات ثم انجلى القتال عن هزيمة الاحباش وتمزق جيشهم شذراً وسقط منهم ستة آلاف قتيل في ساحة النزال

ودخل ابو عنجة المدينة ونهبها جنوده وهشم منها شيئاً كثيراً من الذهب والفضة وعدداً ينيف على العشرة آلاف رأس من الخيول والبغال ونحو ثلاثة آلاف نسمة من النساء والعلمان بيعوا أرقاء والنساء بينهن فتيات في منتهى الحسن والجمال ألوانهن تكاد تضارع ألوان المصريات خدافاً لما عرف من ألوان الاحباش الذين كانوا يجلبون فيما مضى من الازمنة الى مصر والسودان ثم دخل الكنيسة وهشم ما فيها من التماثيل وقتل القسيس واحتمل ما فيها من الآنية ذات القيمة واضرم النار في المدينة كلها وفقل راجماً الى القلابات

وأرسل للتعايشى بعدد عظيم من العلمان والشيوخ ونحو ألف رأس من البغال وخمسين حماراً وقسم بقية الغنائم على رجاله بعد ان أخذ ما اشتبه منها

وأرسل مقداراً عظيماً أيضاً من التبر والفضة الى يعقوب اخي التمايشي
وبذل أبو عنجة الامان لتجار الاحباش وماهدم على ان لا يأخذ منهم غير
خمس سلمهم فهرعوا الى القلايات بتجارة البن والعسل والسمن والقمح وغيرها
من محصولات بلاد الحبشة فكان يحصل من هذه الضريبة ما يقرب من
نفقات أبي عنجة وحاميته

وفاة ابي عنجة وولاية الزاكي طمل

في رجب سنة ١٣٠٦ توفى حمدان أبو عنجة على أثر تناوله مسهلاً ودفن
بالقلايات وتبادل الناس اشاعة ان احدي محظياته واحبهن اليه دست له السم
في ذلك المسهل فاستدعاها التمايشي اليه وكانت ذات جمال باهر فدهش لدى
وقوع بصره عليها وتلمم لسانه عن استنطاقها عن الجناية التي اتهمت بها
فامر بادخالها الى منزله ولم يجسر بعد على مؤاها عن شيء كيلا يسوءها سماعه
ولم يكتف بذلك بل حظر على الناس الكلام في هذا الصدد
ولما اتصل بالتمايشي نبأ وفاة أبي عنجة جزع جزعاً شديداً وظهرت عليه
علامات الحزن والسكابة فانتدب قاضي الاسلام أحمد علي ومعه أربعة قضاة
ليسافروا الى القلايات ويحملوا الاوامر بتولية الزاكي طمل بدل حمدان أبي عنجة
والزاكي طمل هذا تمايشي أحد أبويه من عبيد (البنضلة) وكان خادماً
في إحدى شركات النخاسة في النيل الابيض وكان جباراً قاسياً ظالماً سفاكاً
للدماء وسيأتي ذكر خبر قتله

واقعة القلايات وقتل النجاشي يوحنا

ما فتى النجاشي يوحنا منذ واقعة (قندر) يتأهب لاخذ النار وجلاء

المار وجواسيس التعاشي يرفعون اليه في كل يوم أخبار تأهب النجاشي
للمبارة على القلايات فلذا صار يوالى ارسال الامداد وأمر بتحصين
القلايات بزريبة من الشوك حصينة لا يمكن تسورها تبلغ مساحتها عشرة
آلاف متر تقريبا

وأعلن النجاشي قومه انه زاحف الى القلايات في وقت عينه قبل أوان
الزحف بالفعل ببضعة شهور فعلم التعاشي بالامر وقبل حلول الاجل هلك
حمدان أبو عنجة فارس التعاشي أحمد على القاضي ومعه أربعة من القضاة حاملين
أوامر تولية الزاكي طمل وقد أسر اليهم ان يراقبوا الحركات الحربية حيث
اقترب ميماد زحف الاحباش على القلايات

ولما وصل أولئك القضاة الى القلايات تلقاهم الزاكي طمل بالاكرام واغدق
عليهم العطاء الوافر من أصناف الرقيق والنقود

وفي شهر شعبان سنة ١٣٠٦ هجرية هجم النجاشي يوحنا على (القلايات)
في مائتي الف مقاتل تقريبا جلهم من الفرسان واحاطوا بالقلايات وضربوا
خيامهم حولها وجلس النجاشي امام خيمته يحيط به خدهه وحشمه ووزاؤه
وهجمت جيوش الحبشة على القلايات هجمة الاسود على فرانسها واضرموا
النار في الزريبة فتقهقر الدراويش الى الجنوب واستولى الاحباش على نسايم
وأولادهم ونهبوا دورهم

وبينما كان الاحباش مشتغلين بالنهب وصل الى الدراويش مدد من جهة
الشمال تحت قيادة فرج الله باشا السوداني الذي كان قومندان نقطة أم درمان
الذي جمعه المهدي قائدا من قواده بعد ان سلم له وقد تقدم ذكر ذلك
وكان هذا المدد بضعة آلاف من الجهادية المسلحين بالاسلحة النارية

وهم من جنود الحكومة القدماء فتقدم فرج الله باشا بجنوده وأطلق النار على الاحباش فاصيب النجاشي يوحنا برصاصة وهو جالس امام خيسته فقضت على حياته في الحال وانتشر خبر موته في عسكره فولوا منهزمين وساقوا السبي امامهم فتأثرهم ازاكى طمل حتي ارخى الليل سدوله فالتقوا عصا التسيار انما سالا لراحة فداهمم الزاكي في الفللس على غرة ووضع السيف في رقابهم فاتهبوا من نومهم مذعورين وقتل منهم خلق كثير وفر الباقون واستخلص السبي من أيديهم وأرشدهم أحد الرواد الى تابوت وضعت فيه جثة النجاشي ففتحوه وحزوا رأسه وفضوا على سائر اسلابه ومن بينها تاج مرصع بالاحجار الكريمة وخاتمه وملابسه وعاد الزاكي الي القلابات مسرورا وغادر أحمد علي ومن معه من القضاة (القلابات) يحملون بشرى الانتصار الي التعايشي ومعهم رأس النجاشي وسائر الاسلاب

أما سرور التعايشي بهذا الانتصار فانه مما يعجز القلم عن وصفه حيث مكث أربعين يوما يذبح البدن ويدعو الناس الى تناول الطعام على قصعته المعلومة ولا حديث له غير هذا الانتصار وقد سمعته مرة يقول لمن حوله هل في الدنيا دولة تضارع الحبشة فيقولون كلا فيقول ان فتح مصر لا يكلفنا ما تكلفناه في الانتصار على الاحباش فيجيبونه بان حرب أوروبا برمتها أسهل من حرب الاحباش ثم أخذ يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بهذا الانتصار قبل وقوعه بيضع سنوات ثم قال ان المهدي عليه السلام أخبره بان ترك الحبشة الذي أشير اليه في الحديث الشريف مني بزمن الخليفة عبد الله للتعايشي

ولما نصبت رأس النجاشي يوحنا في السوق ووضع تاجه وسائر اسلابه

في مقصورة المسجد هرع الناس لرؤيتها وهم يشكون في صحة هذا النبا
ويقولون ان هذه الاسلاب قد سرقتها بعض الجواسيس من معسكر النجاشي
وأوصلوها الي التمايشي

هذا وقد كنت أنا وسائر الدين يترقبون الخلاص من نير المهديونية نود
من صميم افئدتنا انتصار الاحباش وفوزهم على الدراويش في القلايات عساهم
يتقدمون منها للاستيلاء على بقية السودان ولذا جاءت أخبارهم عنهم بعكس
ما كانوا فسيحان من بؤتى النصر من يشاء

شان خط الاستواء والمهدويين

أورد تحت هذا العنوان حوادث خط الاستواء مع المهديين فاقول
ذكرت في أوائل الجزء الاول الاسباب التي حملت الطيب الاثر غردون
باشا على فصلي عن ولاية أقاليم خط الاستواء وبينت باسباب المساعي السافلة
التي بذلها أمين أفندي طيب الحامية وقتئذ لنيل أمنيته من لولاية على أقاليم
خط الاستواء وكيف دفع السائح (ينكر) على لوشاية بي عند غردون
باشا حتى عاملني بالمعاملة القاسية التي شرحتها ثم ما كان من أمر ظهور
براهتي عنده بارشاد الضابطين اللذين كشفاه حقيقة المسألة
وعلى أثر هاته الحادثة امتلاً غردون باشا غيظاً من أمين أفندي وتبدلت
نفته ومحبه فيه بوصفه بالخيانة والكرامية

ثم لما عدت مع غردون الى الخرطوم في المرة الثانية وتحادثنا في شؤون
كثيرة عن خط الاستواء علمت من حديثه انه حاقد على أمين بك حاكم خط
الاستواء سي الظن به

ولما استولى كركساوي على أقاليم (بحر النزال وشكا وحفرة النحاس)
غزا حدود خط الاستواء وعاد دون ان يظفر بشيء منها

وفي سنة ١٣٠٥ كان بام درمان رجل اسمه عبد الله الطريفي وهو عم
الحاج الزبير الذي ذكرنا في أول خلافة التعايشي انه أرشده الى سلوك
الطريق الذي سار عليه وكان عبد الله الطريفي هذا جابياً من قبل المهديوية
في إقليم القصارف فاغزال منه مالا جزيلاً بآتماده مع ابن أخيه الحاج الزبير
وفي سنة ١٣٠٤ أرسل التعايشي الى (القصارف) من أوقفه علي خيانة الحاج
الزبير وعمه عبد الله الطريفي فقبض عليهما واستصفي ما اغتلاه من المال
وزجهما في السجن وبعد بضعة شهور أطلقهما وجعلهما تحت المراقبة النظرية
فعمدا الى وسيلة يتقربان بها اليه فدخل الحاج الزبير علي التعايشي وأخبره ان
عمه عبد الله الطريفي كان نخاسا في جهات خط الاستواء وله معرفة جيدة
بأخلاق وعوائد أهالي تلك البلاد وأبان له الثمرات التي تعود من فتح خط
الاستواء من جلب العاج وريش النعام والارقاء من تلك الديار فعول التعايشي
علي انفاذ عبد الله الطريفي لفتح تلك الاقاليم

وعبد الله الطريفي هذا كان نخاسا وفي بداية ظهور دعوى المهديوية
قبضت عليه الحكومة وسجنته لآياته أمرا من انواع الخيل وذلك انه كتب
علي بيض الدجاج لفظ الشهادتين وبمدهما ذكر اسم المهدي الذي عد هذا التزوير
من كراماته وكان عبد الله الطريفي هذا ذا دهاء وحيل ومكر سيء
ولما صمم التعايشي علي انفاذ حملة لفتح خط الاستواء استدعاني الي داره
فذهبت اليه وانا في وجل شديد من هذه الدعوة فدخلت عليه فالفيتة جالسا
وحده فلما وقع بصره علي هش وبش فقبلت يده وجلست علي الارض

أمامه وقد ذهب روعي لما أنست من بشاشته فطابني بما يأتي .
 يا ابراهيم فوزي اني عزمت علي انه ذ حملة لفتح اقاليم خط الاستواء
 وبما انك كنت حاكما عليها فاني اود انفاذك اليها لتكون مرشداً صادقاً
 ومستشاراً أميناً لقائد الحملة واني اود ان تكون راضياً بالقيام بهذه المهمة
 التي أعهد اليك القيام بها لانني عالم بانك صرت من أخلص المخلصين لنا .
 فاجبته بأني أشكر مولاي على ثقته بي واعاهده على القيام بما عهدت لي
 بالصدق والوفاء . فسرر هذا الجواب واعطاني عشرة ريات وتناوت معه
 الغداء على قصعة الضيوف وانصرفت الي منزلي مملوء الجوارح لسرور ووقه
 رايت اني استطع النجاة من اسر هؤلاء البرابرة المتوحشين لدى وصولي
 الي خط الاستواء فقضيت ليلتي لانزور الكرى جفني اشعة مده خاني من
 السرور الذي تلاه الترح حيث استدعاني التعاشي . مجلس حافل بالقضاة
 والحلفاء وارباب الشورى وبعد ان شكرني علي قبولى القيام بمهمة الدلالة لفائدة
 حملة خط الاستواء عبد الله الطريفي قال لي اني اخشى عليك متاعب السفر
 واود ان تكون قريبا مني ولذا أفلمك من مأمورية مرافقة عبد الله الطريفي
 ولكن اكلفك بوضع رسم مشفوع بالعمليات التي يجب العمل بها اذا وجدت
 بواخرنا النهر مسدوداً فوعده باحضار الرسم في الغد وبعد خروجي علمت
 ان سبب تاخيري ان عبد الله الطريفي وابن اخيه احاج الزبير وشيبي عنده
 حيث قال له ان ابراهيم فوزي كان حاكماً لاقاليم خط الاستواء وقد
 شهد وقائع فتحها مع غردون باشا وانه من أعرف الناس باخلاق وعوائد
 أهلها وانا نخشى من منبة وصوله الي تلك البلاد اذ بذلك يمكنه ان يأتي أي
 عمل يريد من ضروب الاضرار بنا انه اذا لم يستطع ذلك فانه يستطيع

الفرار الى ماوراء بحيرة فيكتوريا نيازاً فأثرت وشايتها على التعاشي وعدل عن
انفاذي مع تلك الحملة

هنا وقد اشتغلت ليلاني بعمل الرسم وتدوين التعليمات وفي اليوم التالي
قصدت دار التعاشي فالتقيته جالسا ومعه الذين كانوا معه بالامس وغيرهم من
الامراء وهو يلقى التعليمات على عبد الله الطريفي قائد الحملة فقدمت له الرسم
فتناوله كاتبه واوقفه على كل ما فيه فالتفت اليّ وشكرني وقال اني عزمتم علي
انفاذ الحملة ووجهتها كيت وكيت فهل عندك نصيحة فقلت نعم يا مولاي وقد
مالت نفسي للانتقام من عبد الله الطريفي وابن أخيه الحاج ازبير لوشايتها
التي سدت في وجهي بابا كنت أرجو الخلاص بولوجه

فقال التعاشي هات ما عندك فقلت ان عبد الله الطريفي وسائر الذين
انتدبتهم لهذه الحملة كانوا نخاسين وقد ذاق أهالي خط الاستواء من مظالمهم
ما جعلهم يبغضونهم أشد البغض وهم قوم لا اخلاق لهم اذ كانوا يقتلون النفس
التي حرم الله قتلها الا بالحق ليكتسبوا من وراء قتلها دجاجة فلذلك تري
أهالي تلك البلاد يبغضونهم ويفرون من وجوههم كما يفر الانسان من
الضواري فاذا ذهب هؤلاء النخاسون الى تلك البلاد جاءت النتيجة بمكس
رغائبك حيث يلجأ الاهلون الى حاكم خط الاستواء ليكونوا معه على الدين
ذاقوا مرارة سيطرتهم فيما مضى ورزحوا تحت نيرهم زمنا والاولى عندي ان
يمهد مولاي قيادة الحملة الى أحد آل بيتيه ويشد أزره بجيش من الجهادية
ليكون قادراً على كبح جماح هؤلاء النخاسين الذين بمجرد ان تطأ أقدامهم أرض
تلك الارحاء يعودون الى أعمالهم السيئة التي تاباها عدالة مولاي وما وصلت
الى آخر هذه المباراة حتى بدت علامات السرور على وجه التعاشي والتفت اليّ

وبالغ في الثناء على وشكرني قائلا إن ما قلته حل في أبي جكرة مملوءة بماء
الشهد وعملا بنصيحتك ساعين احدآل بيتي لقيادة الحملة وقد ارجأت أمر سفرها
الذي كنت مزه ما انفاذه في القصد ريثما اختار القائد الجديد الذي لا بد من
امهاله اياما ياخذ في خلالها اهتبه للسفر

وكان من جملة الحاضرين عبد الله الطريفي وابن أخيه الحاج الزبير نخرجا
يتعثران في أذيال الفشل ووجوههما مكفورة والله أعلم بما في قلوبهما من
النِيظ والاحنة على

ولدي خروجهما قابلا أحد اصدقائي المصيين وقال له أليق من فلان
ان يأتي ما أتاه امام الخليفة فقال لهما الجزء من جنس العمل لانكما بداتما
بالوشاية عليه فنجعتهما في الاضرار به وهكذا يكون جزاؤكما

وعلى أثر هذه الحادثة انتدب التماشي احد اقاربه المسمى عمر صالح ومعه
نحو الخمائة جهادي وجملة قائدا للحملة وجمال عبدالله الطريفي كدابل له ويبلغ
مجموع رجال الحملة نحو ستة آلاف رجل جاہم مسلحون بالاسلحة النارية

وفي اواسط سنة ١٣٠٥ غادرت الحملة أم درمان على اربع بوآخر ولما
وصلت الي اماكن السدود وجدتها متراكمة بها فتمذرع عليها متابعة السير الى جهة
الجنوب فمكثت بقية سنتها تعالج فتح السدود فهلك من رجالها كثير وهلك
أيضا عبدالله الطريفي مع من هلك وقوبلت الحملة من أهالي البلاد بنفور عظيم
وامتنع الاهلون من تقديم الاغذية للرجال الذين انقسموا شطرين أحدهما
اشتغل بتحصيل القوت بالسلب والنهب من القبائل القريبة من شاطئ النهر
والآخر اشتغل بفتح السدود

هكذا وقد رايت ان اورد هنا شذرة من وصف السدود اتماما للمائدة التي

ربما تشوف اليها القارىء فاقول

يبتدىء خط السير في النيل الابيض من الخرطوم قبل ان يختلط مع
النيل الازرق وهذا النهر هاديء وضفتاه متراميتان عن بعضهما حتى يتعذر
في بعض الامكنة رؤية من بالشاطيء الشرقى الشاطيء الغربى مشلا ولو بالنظارة
المعظمة وذلك من بعد بركة السنيورة فاذا غادرت بحر النزال متجها الى
الجنوب عند حدود الاقاليم الاستوائية كان الامر بمكس ذلك فتشاهد ضفتى
النهر متقاربتين والماء مندفع بقوة حتى ان خريره يصم الآذان
وتربة تلك البلاد من طينة لوجة تكاد تضارع المواد الغروية الشديدة
للزوجة كالصنع ونحوه

وينبت على ضفتى النهر حشيش في طول قصب السكر والناظر اليه
لا يشك انه قصب السكر ولكنه مملوء بشوك صغير يتطاير على من يدنو
منه وتحدث منه قروح قل ان يبرأ من تعلق به ولشدة اندفاع ماء النهر
تنقطع من الجزر قطع من الطين عليها اجزاء من هذه الحشيشة التي يطلق
عليها اسم (ابو صوفه) فتراكم عند مضيق النهر وتمتع سير السفن وطريقة
ازالتها هي ان تقطع اجزاء صغيرة يدفعها التيار الى المتسع من النهر
هذا ما كان من امر حملة المهديين واما امين باشا حاكم خط الاستواء
فانه غادر (اللادوه) عاصمة الاقاليم الاستوائية الى الجهات الجنوبية على اثر
ما اصاب جنوده من الفشل منذ عامين امام (كرم الله كرقساوى) داعية المهدي
في (شكا وبحر النزال) وقد تقدم ذكر غارته على حدود خط الاستواء
والا وصل عمر صالح الى (اللادوه) ووجدها خالية علم ان الحامية لحقت
(بالر جاف) جنوب اللادوه فتقدم نحوها وشن عليها الغارة وذبح بعض من بها من

الجنود وفر البعض فاجتمعت الحامية في مكان اسمه (الالبورية) وهاجموا
الدرائش فدارت الدائرة على الحامية وقتل كثير من جنودها وفر الباقون
الي (الدفليه) فاعاد الدراويش الكرة عليهم واستولوا على خطوط النار عنوة
وتقهقرت الجنود ثم كرت على الدراويش وقتلت منهم خلقاً كثيراً واجتهدت
عن الدفليه فنادروها منهزمين لايلون على شيء ولحقوا بواخرهم في
(اللادوه)

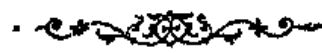
وفي غضون اشتغال الحامية بدفع غارة الدراويش وصل المسترستاني
الرحالة الذي كلفته الحكومة الحديدية بسحب حامية خط الاستواء عن
طريق زنجبار

ولما سمعت الجنود بأمر هذا الانسحاب وعلمت ان طريقها الي جهة
زنجبار مملوءة بالمخاطر والصعوبات ولادواب للحمل في تلك الارحاء واشيع
بينهم ان مسافة الطريق تبلغ مسيرة سنة تمرد السودانيون منهم على امين باشا
وقبضوا عليه وسجنوه وعينوا حاكما مضابطاً من صغار الضباط السود كما قبضوا
على سائر الضباط المصريين والموظفين الملكيين وزجروهم في السجن

ثم نهي الى اولئك الجنود المتمردين ان الدراويش متقدمون نحوهم فهرعوا
الي لقائهم في جهات جبال (الدفليه) فقام ضابط سوداني يدعي سليم مطرو وهجم
على السجن واطلق امين باشا وساروا الي جهة قريبة من بحيرة فيكتوريا نياترا
وقابلوا المسترستاني هناك فهدد المسترستاني الي سليم مطر تسكين نأثرى
الحامية واستمالهم لرافقته فتوجه الي (الدفليه) وحاول اقناع الجنود بوجوب امثال
أمر الحديد الذي يحمله ستانلي فلم يفلح ورموه بالحيانة وكادوا يبطشون به وظل
المسترستاني ينتظر عودته نحو شهرين ثم اجتاز النهر وابتدأ مسيره الي زنجبار

ثم حفته في الطريق كتب من الضابط سليم اغا مطر يخبره فيها بمحبوط مسماه فتابع
المسترساتالي سيره حتي وصل زنجبار بعد مسيرة تسعة شهور هلك فيها اكثر
من نصف الذين رافقوه من متاعب السفر حيث كانوا يسرون على الاقدام
ولولا سوء تصرف امين باشا وذبحه الافيال الهندية والثيران المروضة
لكانت رحلة ستانلي الي زنجبار من اسر الاسفار اذ الذين رافقوه لا يبلغون
التي نسمة والثيران المروضة التي ذبحها تقرب من ثلاثة آلاف راس عدا
بضعة افيال

وعلى اثر ذلك صفا الجو للمهديين في خط الاستواء وانطلقت ايديهم
فيه يجلبون منه العاج والريش وسائر محصولاته ولله الامر من قبل
ومن بعد



ذكر عزل محمد الخير من بربر وموته

ذكرنا ما كان من امر محمد الخير وقيامه بدعوة المهدي في بربر واحتلاله
دقلة بعد جلاء الحملة الانكليزية عنها

وفي اوائل سنة ١٣٠٤ حين استتب السلطان للتعايشي على البلاد ووجه
اهتمامه الي عزل الامراء الذين ولاهم المهدي واستبداهم بذوى قرابته او عن
يعقوب اخو التعايشي الي الحاج علي سعد امير الجميلين الذين يسكنون القرى التي بين
بربر وام درمان ان يكثر من الشكوى الي التعايشي ويتدصر من أعمال محمد
الخير ويقبح سيرته فيهم ويرميه بكل منكر وفضيحة وكان محمد الخير قد
احتكر وظائف الجباية والقضاء لاقاربه واتباعه ووعده يعقوب الحاج علي
سعد بالولاية بدل محمد الخير فاغتر بوعده واسترسل في الطعن على محمد الخير

ونسب له أموراً هو براء منها وتعالى في تقييح سيرته وتشديد النكير عليه
فارسل التمايشي يستدعي محمد الخير الى أم درمان فقدم عليه وعند ذلك عقد
التمايشي مجلساً عاماً جمع فيه بين محمد الخير والحاج علي سعد فسمع هذا الأخير
محمد الخير مطاعته فيه فبكى واتحب ورفع يديه الى السماء قائلاً اللهم اني أشهدك
اني برىء من هذا كله وكانت هذه المطاعن مما يتجاني القلم عن ذكره ومن
جملتها رمي محمد الخير بارتكابه الزنا وقد ذكرنا انه كتب للمهدى على اثر فتح
بربر يقبح له استباحة اعراض المصريين بضروب السبي التي سار عليها من مسا
منه الكف عن ذلك فاجاب التماسه وهذه الحسنة ادل دليل على أن الحاج علي
سعد كاذب في مطاعنه على محمد الخير لانه لو كان فاسقاً كما ادعى لما رغب عن
سنة السبي السيئة ولما رأى وجوب الكف عن هتك اعراض المصريين في بربر
على أن هذه الاذكايب مدبرة بين التمايشي واخيه يعقوب يقصدان
بها ابعاد محمد الخير عن بربر ليخلفه في وظيفته شخص بقارى ولما كان محمد الخير له
شهرة بين اهالى السودان رأوا أنه لا يحسن الاقدام على عزله بدون اسناد
فظائع اليه مثل التي فاه بها الحاج علي سعد

وفي ذلك اليوم أصدر التمايشي أمره بمنزل محمد الخير وتواية عثمان الديكيم
بدله فسار الى بربر في خمسمائة فارس ونهب القرى التي في طريقه واتلف
الزرع قبل ان يحصد وكان هذا العمل من مقدمات القحط الذي ضرب اطنابه
في السودان وستري تفصيله فيما سيأتي

أماعثمان الديكيم هذا فهو شقيق يونس الديكيم واعماله واخبار جهاته تفوق
الذي ذكرناه عن شقيقه

هذا وقد بقي محمد الخير في أم درمان بضعة شهور ثم سجن بتهمة انه

فاه بكلام يمس شرق التمايشي ثم أطلق والحق بدقلة كأحد صغار القواد
وتوفي بها في سنة ١٣٠٧

وحدث أناس من الذين حضروا وفاته انه لما احتضر جزع وقال اني
كنت اظن أن دعوة المهديّة لله ورسوله فدعوت الناس اليها وأما الآن
فقد علمت انها دعوة الشيطان اراد بالاسلام والمسلمين شرا بظهورها وان الله
تمالي سيواخذني على ما جنته يداي ان لم يرحمني ويعف عن سيأتي ثم نطق بالشهادتين
وفاضت نفسه

النور ابراهيم الجريفاوي وتجار المصريين في بربر
النور ابراهيم الجريفاوي ذكروري استوطن ابوه أوجده قرية (الجريف)
التي تبعد عن الخرطوم جهة النيل الازرق ببضعة اميال وكان مشغلا بصناعة
اللبن وحرقه وبيعه لسكان الخرطوم لتشييد المنازل
وقد ذكرنا انه اغتال قدراً من المال دفعته له الحكومة ليورد لها به الفلال
فسرّب المال الي جيبه وكان اذ ذلك من أعضاء مجلس السودان حائزاً للرتبة
الرابعة ثم لحق بدعاة المهدي
ولما عزل الخليفة التمايشي محمد الخير من بربرولي النور الجريفاوي هذا
امانة بيت مالها وكان النور هذا مشهوراً لدى سكان الخرطوم ابان اشتغاله بصناعة
اللبن بالورع والتدين ودمائة الاخلاق وحسن المعاملة مع الحقير والمظيم
والصغير والكبير

ولما دخل في سلك موظفي المهديّة انسلخ عن هذه الصفات وانقلبت
كلها الى ضدها وصرت لا ترى منه غير رجل ظالم فاشم خرب الذمة قد نبذ

الورع . القوي وراء ظره شرس الاخلاق سيئ المعاملة لا يقول الا سوا
والويل ثم الويل لمن كانت له حاجة عنده والفويل له ان كان مصريا فانه
لا يسمع منه غير الشتائم المؤلمة ولا يرى منه الا سائر ضروب الاهانة وحاجته
لا تقضي ولو كانت على طرف التمام وبالجملة نه قد صفا له الجلو حتي خلتنا شخصا
غير ذلك الذي كان يبع الابن ولاغرو فان الظلم كين في النفوس تظهره القوة
ويخفيه الضعف

وفي ابان اسناد امانة بيت مال : بر اليه كان يفد اليها ألوف من التجار
المصريين من أهالي مدبرة اصوان ولم يكن غرضهم اختيق الاتجار بل كانوا
ميالين الى دعوة المهديية وانما تذرعوا بالتجارة لقضاء ما آربهم من المباينة وحمل
تعليم المهديية الى بلادهم ونقل اخبار الحكومة لالتعايشي فكتب النور الى
التعايشي يقول له ان هؤلاء التجار رواد للحكومة الخديوية وهم يتسترون
بالتجارة وعندهم من المال ما يجب ان يكون حقائيت المال فكتب التعايشي الى النور
يا امره بمصادرة أموال اولئك التجار مع انه لا يجهل انهم معه على الحكومة
وليسوا مع الحكومة عليه ولكن طمعت في أموالهم أحادى في سلبها

وعلى اثر ذلك وثب النور الجريفاوى على تجر المصريين وقبض على بضعة
آلاف منهم وعذبهم ومزق اجسامهم بالسياط كي يدلوه على أموالهم التي
بلغت قدراً طائلاً ثم اطلقهم وهم لا يصدقون بالنجاة بعد ان وردوا موارد
الموت فعادوا الى بلادهم بقلوب مملوءة ببنفس المهديين وحب الفرار من دعوتهم

السودان الشرقي

بعد أن دارت الدائرة على عثمان دقته في (كوفيت) وفر من وجه الراس

الولا عاد الى كسله ثم استخاب عليها ابن أخيه وغادرها الى (طوكر) ولم تمض سنة حتى نقلت وطأة عثمان دقنه على الاهلين فارتفعت أصواتهم بالتذمر من مظالمه الفادحة التي أحسوا بثقل وطأتها عليهم فهرعوا الى الخليفة يشكون مالا قوا فلم يجدوا منه غير التسويف والمطل والاتهام بالانحراف عن جادة الصراط المستقيم فثاروا على عثمان دقنه عدة ثورات وفي أواخر سنة ١٣٠٣ كتب التعايشي الى عثمان دقنه يستقدمه وكانت أول مرة استقدمه فيها بعد ان قبض على زمام الملك فشنخص من (طوكر) الى بربرومنها الى أم درمان فاستقبله التعايشي بصنوف الاكرام وبعد انقضاء أيام عيد الاضحى أعطاه خمسة آلاف مقاتل من البقارة فسار بهم الى كسله عن طريق (القضارف) ثم سير خلفه الحاج محمد أبا قرجة في عشرة آلاف مقاتل وسلمه أمرا بانه امير شرق السودان بدل عثمان دقنه الذي عزل من الامارة وجعل كواحد من القواد فسار أبو قرجة على طريق القضارف أيضا قاصدا كسله ولدى وصوله اليها أعلن عزل عثمان دقنه وولايته بدله فسكنت الاضطرابات وأمنت السبل وفتح طريق الاتجار بين مصوع وكسله . وبعد بضعة شهور أصدر التعايشي أمرا الى أبي قرجة بمغادرة كسله الى (طوكر) واستخلاف حامد على أحد أقارب التعايشي على كسله فسار أبو قرجه الى (طوكر) وعسكر فيها وجرت بينه وبين الحكومة في سواكن مخابرات سلمية أوجبت ارتياب التعايشي في الثقة به فمزله عن الامارة وأعادها الى عثمان دقنه وفي غصون ولاية أبي قرجة تقدمت جيوش الدراويش الى (هندوب) وضيق الحصار على سواكن فخرجت حاميتها عليهم وفرقت جموعهم فعادوا الى (طوكر) وعسكروا فيها

أما أبو قرجة فقد ولاء التعايشي على بربر فكث بها ثلاثة شهور ثم
عزله وولى بدله الزاكي عثمان البقاري ونفي أبو قرجة الى خط الاستواء
وسعود الى ذكر هزيمة عثمان دقنه من (طوكر) والقضاء على نفوذه في
السودان الشرقي



ظهور المهدي ابو جيزة في دارفور

لما رسخت قدم عثمان آدم في دارفور اتخن في القبائل منها ولبأو خرب
المدن وحمل الالهين نيراً ثقيلاً حتى باتوا ولاهم لهم غير الخلاص من ذلك
النير فقام بين ظهرانيهم رجل من المشايخ اسمه محمد كان يجلس تحت شجرة
من الجيز حتى كنى باسم (أبي جيزه) وادعى انه المهدي المنتظر وكان مشعوذاً
ذا قدرة على عمل خيالات يخالها الناظر حقائق فأتبعه أهل دارفور كلهم
وترامت أخباره الى الممالك المجاورة لها فنسل اليه كثير من سكانها ولحقوا به
واجتمع حوله جيش كثيف عسكريه في الجهات الغربية وكتب الي عثمان آدم
يدعوه الى التسليم فارسل له جيشاً تحت قيادة (الختيم موسى) التعايشي فهزمه
شرهزيمة وبعد اللتيا والتي وجد القائد الى النجاة سييلاً
فارسل عثمان آدم الي التعايشي يملمه ياصر أبي جيزة ويطلب منه الامداد
فارتاع التعايشي لهذا النبا وأرسل الامداد الي عثمان آدم الذي أرسل لحرب
أبي جيزة جيشاً آخر تحت قيادة (محمد بشاره) التعايشي فلم يكن نصيبه غير
نصيب القائد الختيم موسى ثم توالى الحروب بين أبي جيزه وعثمان آدم
فكانت الدائرة تدور على دراويش عثمان في جميعها وخضعت بلاد دارفور
الغربية كلها لآبي جيزة وشمرت معه على مرعب عثمان آدم لندي ضاقت لندنيا

في وجهه كما ضاقت في وجه التعاشي الذي أصدر أمرا الي عثمان آدم بالتقهقر
من دارفور الي كردقان

وبينما كان عثمان آدم يتأهب للتقهقر زحف عليه أبو جيزة في جيش
عمر مرم ولكنه في غضون سيره أصيب بمرض الجدري ثم توفي بعد أيام
يسيرة فتابع أصحابه مسيرهم قاصدين (الفاشر) محل اقامة عثمان آدم
الذي قسم جيشه قسمين جعل أحدهما كينا وتربص هو مع الآخر فتقدم
جيش أبو جيزة حتى اجتازوا موقع الكمين والتقوا مع عثمان آدم فخرج عليهم
الكمين من الخلف وصاروا بين نارين فسقط منهم عدد كبير وتمسك الباقيون
بأذيال الفرار فأثرهم عثمان آدم وقتل منهم خلقا كثيرين وما زال عثمان آدم
متأثرا للمنهزمين حتى اجتازوا حدود دارفور ولحقوا بمملكة (أبي ريشه) وحملت
الي التعاشي رؤس جماعة من وزراء أبي جيزة وهجر أهالي دارفور ديارهم
الي ممالك الغرب كي يمتصموا بها من انتقام الدراويش فتخربت البلاد وصارت
بلقا ليس فيها ساكن ولا مساكن وانقطعت جباية الخراج وأصبح عثمان آدم
وجيشه في حاجة عظيمة الي النفقات فوجه اهتمامه الي الغزو في الجبال التي
حوالي دارفور ليتحصل منها على قوته وقوة حاميته

شأن التعاشي وقبيلة التعاشية

لما تغلب التعاشي على مناظريه وسلب من أقارب المهدي القوة التي
كانت في أيديهم استبد هو بالملك وانفرد بالسلطان على كل بلاد السودان
وأضعف نفوذ الخليفين علي حلو ومحمد شريف حتى صارا لا يعبأ بهما خصوصا
محمد شريف فقد وصلت حاله الي فقدان الضرورى من القوت وانحط شأن

أقارب المهدي حتي صاروا في حالة يرثى لها ولا سيما أولاد المهدي فانهم صاروا يقاسون من شظف العيش وصرارة الفقر مايمجز القلم عن وصفه وفي أواسط سنة ١٣٠٥ اتجهت عزيمة التمايشي الى استنفار قبيلة التمايشة من ديارها في جنوب دارفور ليشدد بها عضده ويكون فاعصبة امام الافوام الخاضعة لجبروته وكان قبل ذلك يتألف قبائل البقارة لينال منهم مزايا العصبية والموازرة اذ لم يكن معه من أقاربه التمايشة الا نحو ثلاثين رجلا احتكر لهم الوظائف وولام الاعمال الخطيرة واستوزر أخاه لاييه يعقوب وأشركه في سلطانه حتي صار ذا نفوذ كبير وأصبح يضارع أخاه التمايشي في كل خواص الملك والسلطان وصار يعقوب هذا القائد العام للجيش والمدير المطلق لامور مملكة أخيه

وكتب التمايشي الى عثمان آدم في دارفور يأمره باستنفار قبيلة التمايشة كما كتب الى رؤساء هذه القبيلة يخبرها بأنه صار ملكا عظيما وسلطانا فخما على جميع الاقطار السودانية وانه في حاجة شديدة لماضتهم فانقسمت قبيلة التمايشة الى قسمين، أحدهما رأي وجوب المبادرة لتلبية نداء التمايشي والآخر أظهر بفضه قائلا لا يرجي خير من سفل نال ملكا من طريق المصادفة صملوك كان متسولا بين ظهرائنا بالامس واليوم نذهب لننزل على حكمه ونضع أنفسنا بين يدي جبروته ثم هجر هؤلاء ديارهم ونزحوا الى مملكة (وداي) مفضلين النأي عن الديار على اللحاق بالتمايشي وانصاع القسم الآخر لمطالب التمايشي ونزحوا من ديارهم الى دارفور ومنها الى أم درمان وكانوا زهاء مائة ألف نسمة أو يزيدون

وقد أنفق التمايشي على استفادتهم أموالا طائلة حتي بلغوا أم درمان فقتلهم

بالخفاوة والاكرام ووزع عليهم الاقوات والملابس
وكان بين هؤلاء القادمين (الغزالي احمد خوف) زعيم التمايشي وكان حائزاً
لدرجة الثالثة من الحكومة وكان التمايشي يمدّه بالهيل والهيلان لدى وصوله
أم درمان فلم يوف له بوعده وسنعود الى ذكر بقية أخبار عثمان آدم وموته
هذا وقد كانت قبيلة التمايشة تحب السكر والتمر وطريقة تناولهم السكر
أن يكسروه قطعاً صغيرة ويأكلوه كما يأكلون الخبز
ومن النكات المضحكة ما نوردّه عن أحد المصريين الذين يشتغلون في
مامل الذخيرة للتمايشي وذلك ان الزاكي عثمان الذي كان أمير بربر كلفه بتعبئة
خرطوش لعدارة صغيرة فأتى المصري العمل وذهب الى منزل الزاكي
ليدفع له الخرطوش فتلقاه بالاكرام وقدم له طبقاً كبيراً مملواً بقطع السكر
الصغيرة وجاءه بناء فيه نحو خمسة أرطال من اللبن الحليب فأخذها يأكلان من
السكر ويشربان من اللبن ثم قال صاحبنا المصري لمضيفه لما ذال تضع
السكر في اللبن فقال وهل يوضع السكر في اللبن فقال نعم وتناول المصري
السكر وألقاه في اناء اللبن فصاح به مضيفه فدألتفت السكر واللبن معاً فقال
له المصري لا تمجل فسكت الزاكي ثم هز كتفيه ورأسه علامة على
اليأس فقدم له المصري اناء اللبن وقال له ذقه فقال له والغضب باد على وجهه
لاذوقه حتى تذوقه قبلي فشرّب المصري وناوله الاناء فشرّب منه ثم وضع الاناء
من يده قائلاً (قاتلکم الله يا مشر المصريين انکم خيرون باتقان كل شيء) أما نحن
فلا نعرف ان مزج السكر باللبن يصيره حسناً مثل هذا ولم نعود منذ
خلقنا الله إذابة السكر في اللبن ثم سأل المصري وهل يكون السكر لذيذاً كهذا اذا
القيناه في الماء فقال نعم فظهر الارتياح ثم دخل الى بيته وعاد منه بسكر وقال

له آتفه في الماء لندوق طعمه فالتقاء المصري في الماء وأمره ان يشرب منه
قبله كما شرب في المرة الاولى ثم عاد فشرب منه واخذ في ابداء الاستغراب
فساله المصري عن سبب امتناعه عن الشرب قبله فقال اني كنت اظن ان طرح
السكر في اللبن ربما تولد منه ضرر واخذ المصري يصف له الاطعمة التي يصلحها
السكر ثم انصرف عنه

ولقد اطلعت على منشور كتبه التمايشي الى قبيلة التمايشة يجب اليها
القدوم عليه وفيه اني ملكت بلاداً فيها جبال من السكر وشجر التمر وان أهالي
هذه البلاد الذين هم (الجلابة) صاروا عبيدي فسارعوا بالقدوم الى لناخذوا
النصيب الاوفر من جبال السكر وشجر التمر وتفضوا وطركم من نساء
الجلابة وتركبو الخيول والحمير والهجن

ولما وصلوا الى كردقان كانوا يسألون من لاقاهم عن جبال السكر وشجر
التمر ومدوا ايديهم ونهبوا ساثر قري كردقان وقتلوا مئات من الاهلين الذين
رفعوا ظلامتهم الى التمايشي فكان جوابه لهم لا تتأثروا من فعل المهاجرين
لانهم اخوانكم وشاهدوا ما حل بكم من الله تعالى ولا تنسبوه الي هؤلاء
المهاجرين اذ الفاعل الحقيقي هو الله

ذكر ضرب بخانة التمايشي

اسلفنا ذكر ضرب بخانة المهدي وما ضرب فيها من المسكوكات من نوع
الجنيه المصري والريال الذي نقش عليه (في الهجرة) وفي الطغراء (باسم المهدي)
ولما عزل التمايشي أحمد سليمان أمين بيت المال وخلفه ابراهيم عدلان
كانت مسألة الضرب بخانة من الاور التي احتج بها التمايشي على سوء ادارة

أحمد سليمان وشدد التكرير عليه مدعيان اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينفش في النقود ولا أنشئت دار للمسكوكات على عهد صلي الله عليه وسلم فامر بجمع النقود التي ضربت في عهد المهدي فجمعت وأنشأ ضرب مخانة لسك النقود من نوع الريال وجعل نصفه من الفضة والآخر من النحاس وضرب على أحد وجهيه (ضرب في أم درمان) وعلى الآخر طغرا مكتوب فيها (مقبول) فسمى الريال المقبول وكان في كل سنة يأمر بتخفيض الجزء الفضي حتى صار الريال كله من النحاس الا الطلاء الذي يغيرون به حمرة النحاس ولقد هبطت قيمة هذا الريال الى حد أن صار لا يساوي اكثر من ملليم اما المسكوكات الذهبية فقد منع اعادة ضربها كل ذلك ليحتكر لنفسه الذهب والفضة ولا يدع للناس ما يتعاملون به غير النحاس على ان التمايشي لم يكن يجهل ان ضرب المسكوكات وانشاء الضرب مخانة كان بامر المهدي الذي ذكرنا ان أحمد سليمان كان لا يضع خيطا في خياط الابعد صدور أمره له بوضعه والحاصل ان التمايشي لم يترك شيئا وضعه المهدي الا نقضه

ذكر انشاء دار للذخيرة والبارود

لما سقطت الخرطوم جمع المهديون رجالا من المصريين كانوا عمالا في الجبه خانات وجملوا لهم رواتب طفيفة ليشتغلوا بتعبئة الخرطوش ووضع المواد المفرقة فيه ثم أدرك التمايشي ان البارود والذخيرة التي عنده لا بد من نقادها فاخذ يسعى الى التوصل الى طريقة استخراج البارود فعهد الى يواني اسمه (ديمتري، بردغاجي) استخراج البارود وأنشأ دارا لهذا العمل

جلبها تحت نظر أخيه يعقوب وانفق أموالا طائلة لا تمام هذا العمل ورتب
لعماله رواتب كبيرة فنجمت تجارب بردغاجي واستخرج شيئا من صنف
البارود وعرضه على التمايشي الذي سر بهذا النجاح وسجد شكرا لله على
ما منحه من النعم ومكث بردغاجي مشغولا باستخراج البارود بضع سنوات
وبينما كان ذات يوم يباشر عمله اذ التهب جزؤه من البارود وتفرقع فامات
بردغاجي وعمله واحرق الدار ونسف جدرانها فاستاء التمايشي وأظهر الحزن
وركب الى محل الحادثة وأمر بجمع الاشلاء ودفنها

وكان التمايشي يتغالي في استرضاء بردغاجي ولدى شروعه في عمل
البارود منحه خمسمائة ريال ومحظية من محظياته وجواري وغلانا للخدمة
وجعل راتبه الشهري مائة ريال عدا رواتب عماله

أما المواد التي يستخرج البارود منها فانها فحم شجر الصنصاف وملح
البارود وكبريت الامود وكان يستخرج في كل شهر عشرة فناطير من البارود
وانشأ دار الاستخراج ملح البارود وكلف أحد الصيادلة المصريين
بالعمل فيها

وكذلك انشئت دار لعمل المادة المفرقة التي توضع في الكبسون المسماة
(عجينة الكبسون) واسند العمل فيها الى (لبنت بك) مدير بحر النزال
وحسن افندي زكي أحد أطباء الحامية في الخرطوم
وانشئت أيضا دار لعمل الخرطوش وأطلق على الجميع اسم (الورش
الحربية) وكان المشرف عليها كلهما يعقوب اخو التمايشي
وشيدت دار لحفظ الاسلحة وسميت (بيت الامانة) وكانت رواتب رؤساء

السل مائة ريال شهريا من ريبالات التمايشي لكل واحد منهم واقل راتب
لاصغر حامل عشرة ريبالات

ذكر موت لبتن بك مدير بحر الغزال

ذكرنا أخبار لبتن بك وسجنه قبل سقوط الخرطوم
ولما سقطت الخرطوم أمر المهدي باطلاقه نخرج من السجن في حالة
يرثي لها من الفقر والحاجة ولما اشتدت به الحال قدم نفسه للخليفة التمايشي وقال
له انني أعرف صناعة تجهيز عيينة الكبسون فاثني عليه وأمر له بمجازة
وفي سنة ١٣٠٥ مرض لبتن بك ولما حضرته الوفاة أوصي سلاطين
باشا على بنتيه وامراته التي أصلها سودانية نصرت بدعوة الآباء الكاثوليك
ثم تزوجت لبتن بك ورزقت منه بنتين
وبعد وفاة لبتن بك زوج سلاطين باشا امراته بحسن أفندي زكي
الذي كان يساعد زوجها في عمل عيينة الكبسون
واعتنى سلاطين باشا بامر البنيتين اعتناء عظيما حتى غادر أم درمان

المقدم عمر الجعلي واستخراج الرصاص

لما نفذ ما في مخازن التمايشي من الرصاص جاءه ذات يوم رجل من
الجليين اسمه المقدم عمر مشهور بالشعوذة يختلف على مدينة الخرطوم
ويحتال على ضمفاء العقول ويطلب منهم المال لشراء الادوات كي يحول النحاس
والرصاص ذهباً

وقد عرفه الناس فصاروا لا يخذعون باكاذيبه فقال للتمايشي انني أقدر

على استخراج الرصاص من احجار ام درمان فاعطاه التعايشي عشرة من
 المال وامر باعداد مايلزمه من آلات النخج وعدد العمل ومنحه قدرا من
 المال فاخذ يوصي اقرابه بشراء الرصاص فاذا اجتمع لديه بضع اقات وضعها في
 التنور ووضع حوله الحجارة ثم اضرم النار حتى يذوب الرصاص وتمترق الحجارة
 فحينئذ يستدعي يعقوب اخا التعايشي لمشاهدة نتيجة العمل فياتي يعقوب
 ويرى الرصاص مذابا وسط الحجارة فيعتقد انه تحلل من الاحجار فيبلغ اخاه
 التعايشي فيامر للمقدم صهر بالمطايا من الجواري والمال

وفي ذات يوم صعد التعايشي المنبر وتكرف الناس حوله فقال لهم ان
 النبي صلى الله عليه وسلم اخبره بان المقدم عمر الجملي يستخرج له من الحجارة
 رصاصا يكفيه لتمتع الدنيا كلها وان الحضرة عليه السلام اخبره بان وجود الرصاص
 في جوف الحجارة من كرامات المهدي عليه السلام

ولكن لم تمض بضعة شهور حتى فقد المقدم عمر الرصاص الذي كان
 يشموذبه عليهم واتقطع عن العمل مدعيا ان اوات النخج قد ضاعت فصنعوا
 له غيرها فلم يات بشيء ثم وكل التعايشي مراقبته الى اثنين من جواسيسه فعلم انه
 كان يتتبع الرصاص من الخارج لان الناس الذين كانوا يبيعونه له كانوا
 يلتقطونه من حول متاريس الخرطوم وغيرها من مواقع الحروب ثم يذيه
 وسط الاحجار فاستدعي التعايشي المقدم عمر وعدد له سياته وما ارتكبه من
 الفس فاجابه المقدم عمر بان ما قيل عنه من الفس ليس بصحيح ثم قال له
 اأنت قلت ان النبي صلى الله عليه وسلم والحضرة عليه السلام اخبراك بكيت
 وكيت مذكرا له ما فاه به على المنبر وزاد ان قال له ان دعوى المهديية قامت اركانها
 بمثل هذه الاخبار فان كذب هذا الخبر فالمهديية كلها كذب في كذب فاغتاظ

التعاشي واستفتى القضاة فافتوا كما أوعز إليهم بقطع يده ورجله من خلاف
فقطعا في السوق وفي اليوم التالي توفي المقدم عمر وانقضى الأمر

ذكر احراق كمال الدين عظام قتلى الخرطوم ونبش القبور
لما توفي لبتن بك واستمر حسن زكي في عمل عجينة الكبسون ونفذت
المواد الكيماوية التي تستخرج منها هذه المادة اهتم التعاشي لهذا الامر
فقام رجل يدعي كمال الدين من المنود الذين ذكرنا نبأ قدومهم على المهديين
وقال للتعاشي اني اقدر على استخراج عجينة الكبسون بغير احتياج الى المواد
الكيماوية التي نفذت فسر التعاشي هذا القول وقال له من أي شيء نستخرجها
فقال من عظام الاموات فقال له هاهي عظام كفار الخرطوم وأمر باعداد
ما يلزم لاجار العمل بجمع كمال الدين عظام قتلى الخرطوم واحرقها بالنار ثم
سحقها في الاهوان ووضعها في اوض كبيرة يصب عليها الماء ثم نبش
ببور فدماء اموات الخرطوم وصنع في عظامهم مثل ما صنع في عظام القتلى ثم
أقفلت الابواب على الاحواض وتركت ستة شهور فتولدت منها الديدان
وتصاعدت الروائح الكريهة منها

وبعد اسبوعين شهور جاء يعقوب شقيق التعاشي ومعه جمع من الامراء
وفتحوا الابواب فراوا الديدان تولدت والروائح الكريهة تتصاعد منها فسألوا
كمال الدين فقال ان تولد الديدان وتصاعد الروائح علانا نجاح العمل فاذا أقفلت
الابواب ثلاثة اشهر انما تصعد الروائح وتولد الديدان من الاحواض مملوءة
بعجينة الكبسون التي نؤخذ بها لرضعها في الخرطوم فلم يصب منه شيء
وعاء ام هو ان وخبر اخاه ان كمال الدين كاذب محتل فاحتمت التعاشي

فبيظاً على كمال الدين ولكنه لم يباقيه بمقوبة
وبلغت نفقات هذا العمل أكثر من أربعة آلاف ريال انفق كمال الدين
جلها في حاجاته الخصوصية عندما أخذ من الجوارى والركائب
وبعد وقوف الخليفة على حيلة كمال الدين أصدر أمره له وللنود
الذين قدموا معه بأخذ الأهبة للمودة إلى بلادهم وأعطاهم كتباً بالدعوة للمهدية
وخرج لوداعهم فقال له كمال الدين اني أريد منك أن تعطيني شيئاً على سبيل
التذكير فأعطاه التمايشي نعله فأخذ يقبلها ووضعها في جيبه فطلب منه القاضي
احمد على رد النعل إلى صاحبها فلم يفعل حتى أعطاه أربع جوار وحماراً
ثم قال القاضي لمن حوله لو طلب مني كمال الدين كل ما أملكه من حطام
الدنيا لافتديت به نعل الخليفة وقصد القاضي من هذه الأقوال أن يبلغها
الحاضرون للخليفة فزاد ثقته به وسار كمال الدين ورفقاؤه إلى سواكن ومنها
إلى الاقطار الهندية

تخريب بلاد الجزيرة

(وحشد أهلها بأم درمان)

في أواخر سنة ١٣٠٤ هجرية أصدر التمايشي أمراً عاماً إلى جميع سكان
الجزيرة من الخرطوم إلى حدود الحبشة وإلى حدود مديرية بربر من جهة
الشمال وحدود مديرية فشوده من جهة الجنوب بالوفادة إلى أم درمان وتوعد
من بقي في داره ولم يهدم منزله بيده ويأت إلى أم درمان وضرب لذلك أجلاً
هو أواخر شهر رجب من السنة المذكورة ومن لم يصدع بالامر في ذلك
الاجل عد عاصياً محارباً للمهدوية

وما اقترب الاجل حتى خربت جميع القرى والمدن التي في الجزيرة
وقدم سكانها الي أم درمان وتركوا غلالهم وحاصلات أرضهم في البلاد مودعة
في بطون الارض فمنهم الذين ساروا في البر حتى اجتازوا النهر الي أم درمان
باجرة باهظة فرضها عليهم أصحاب الزوارق ومن سار في السفن الشرعية
أدي أجرة لا تقل عن عشرة أضعاف الاجرة الاصلية لكاب السفن الشرعية
وبعد اجتماع سكان هاته البلاد في أم درمان وهم سكان مديريات الخرطوم
وسنار وفيزوغلي أنزلهم التعاشي في أم درمان في أماكن متفرقة حيث جعل
سكان كل قرية أو مدينة وحدهم فهلكت ماشيتهم التي لم تجد مرعى بام
درمان وانتدب التعاشي سرية من رجاله تحت قيادة (أبو أم فضالي) ليرواعي
القرى ويقبضوا على من تخلف عن امتثال ما أمر به التعاشي فخربت هذه
السرية ما بقي من القرى ومد رجالها أيديهم الي الحاصلات المخبوءة تحت الارض
فنهبوا ولم يبقوا على شيء منها

وكان سكان الجزيرة اكثر أهالي السودان دعة وسكونا وثروة
وبسبب هذا الانتقال فقدوا ماشيتهم و ثروتهم وجاء هذا العمل من اكبر اسباب
تفشي المجاعة في السودان وهي مجاعة ستي ١٣٠٦ و ١٣٠٧ اللتان أبادتا النفوس
وخربتا البلاد

وبعد استقرار هذه الحلائق في تلك المنازل استعرضها التعاشي في أم درمان
مرات عديدة ثم بعد مضي بضعة شهور أذن للمزارعين بمغادرة أم درمان لمزاولة
الزراعة فمادوا وقد عم الدمار بلادهم ولم يجدوا حاصلاتهم التي أودعوها
في بطن الارض فساءت حالتهم وأقاموا موسم الزراعة ولم يهودوا الي

أم درمان وسعود الى وصف تلك المجاعة وفشت أمراض الجدري والحميات
بين أهالي الجزيرة وصارت الوفيات في كل يوم تعد بالآلاف والماصل ان أهالي
الجزيرة هلك نحو نصفهم بالأمراض التي تفشت فيهم وذهب الباقون الى
مزارعهم بالحالة التي وصفناها

ذكر تخريب الخرطوم

ذكرنا ما كان من أمر التعايشي مع اسرى الخرطوم يوم جمعنا في المقرن
وأمرنا بمغادرة الخرطوم و سكني بام درمان وبقي بعض الامراء ساكنين
في الخرطوم ولما عزم التعايشي على تخريب مدن الجزيرة أصدر أمراً لـ راويش
الذين كانوا ساكنين في الخرطوم بهدم المنازل التي يسكنونها وحمل الاخشاب
لتشييد منازل بام درمان فكانوا يهدون الدور ويأخذون لآلة اضيق بدونها
منازلهم في أم درمان وهكذا تم خراب الخرطوم حتى لم يبق من المنازل
غير بضعة دور حوالى (الترسانة) أقيمت لسكني عمال الترسانة وبقيت الحائض
التي على ضفة النهر عامرة يبيع يات المالح ولايتها وتجلب منها القماكة
والخضراوات الى أم درمان واحتكر التعايشي لنفسه مدينة سراي الحكمادارية
وكان المهدي وهب أحمد شرفي احدي حائض الخرطوم الكبيرة واختص
الخليفة شريف بحديقة كنيسة الكاثوليك والماصل ان الخرطوم صارت
خرابا بلقما ومنازلها وقصورها تلالا والدوام لله

ذكر فرار المولود - وارجائه الى أم درمان

في أول سنة ١٣٠٥ هـ قرية باتة لـ شهر ١٠٠٠٠ نسمة في باشا مايتي جنبه

انكازى مع شخص اسمه الحاج صالح على من قبيلة العبايدة فدفعت لي منها مائة جنيه واقتال المائة الثانية فاخذت المائة جنيه ولم أطلع أحدا على أمرها وفي غضون ذلك جاءني اعرابيان من قبيلة الكبايش واخبراني ان محمد ماهر باشا محافظ القاهرة الآن ووكيل محافظة الحدود وقتئذ أوصاهم بمساعدتي على الفرار ووعدهما بمكافأة قدرها مائتا جنيه لدى وصولي الى الحدود المصرية وبعد ان تداولنا في كيفية الفرار قالوا لي ان المسافر من أم درمان على احدى السفن الشراعية قاصدين (الترعة الخضراء) التي تبعد عن أم درمان مسيرة ثمانى مراحل جهة الجنوب على النيل الايض ثم تقصد جهة (شركيله) في الجنوب الشرقي من إقليم كردفان ثم تمتطي الجمال من هناك وتخترق اقليم كردفان من الجنوب الى الشمال حيث تكون في جنوب (صحراء بوضه) التي نخترقها الى الشمال وينتهي سيرنا بالوصول الى حلفا

على ان اختراق الصحراء كان يستدعى مسيرة ثلاثين مرحلة بسير الهجن الحثيث عدا مسافة السير من الترعة الخضراء الى (شركيله) وجهات كردفان الشمالية وقد كانت هذه الرحلة على ما فيها من الشقة كافلة لنجاتي وخلاصي من الاسر اذ المسافر فيها يأمن ان يدركه رجال التعاشي الذين لا يعرفون هذه الطريق وغاية ما يفعلونه ان يتأثروا الفارين في الطريق التي تمر على بربر والصحاري التي حولها

ولما اجتمعت أمري على الفرار مع ذينك الاعرابيين اللذين تعهدا لي بأنهما لا يأخذان شيئا من النقود قبل ان نصل الى الحدود المصرية تركت لعائلتي خمسين جنيها من المائة جنيه ودفعت نحو عشرين جنيها كنت مدينا بها لبعض التجار ولم أهرأ أحد. بامر الله وقتئذ وقتئذ اتي ذاهب الى جهة

قرية في البحر الابيض لاعدود منها بشيء من الذرة تقتاتون به وتزودت
بشيء من خبز الذرة المجفف وأخذت قليلا من البصل وركبنا السفينة ومعي
الاعرايان وقد أوصياني بالابتعاد عنهما والتظاهر بعدم معرفتهما مادنا
في السفينة فغادرنا أم درمان وكان الفصل شتاء وليس معي غير الوطاء
الذي فيه خبز الذرة وملاءة من الانسجة الخفيفة المسماة (مرمر) ومعي
ثلاثون جنيا انكازيا وضعتها في منطقة من الجلد تمنطقت بهأتحت الملابس
وبعد مسيرة أربع ليال رست بنا السفينة في ساحل الترعة الخضراء فحملت
وعاء الزاد ونزات من السفينة والماء يكاد يبلغ تراقي والشاطئ بعيد عنا بنحو
خمسائة متر وتبني الاعرايان كأنهما لا يعرفان من امرى شيئا فخرجت من
الماء وقد جمد الدم في عروقي من شدة البرد فلجأنا الى غابة مظلمة
تزار فيها الاسد وتتوابع فيها الثمور والذئاب وسائر الضواري فقضينا تلك
الليلة حول نار أوقدناها للاصطلاء بها واتقاء السباع لأن صاحبي قال لي ان
السباع تفر ولا تقترب منها وقضينا مدة الليل لم يزر الكرى لنا اجفانا ولم
نضطجع على الثري

وفي الغداة سرنا نحن الثلاثة على اقدامنا نحترق الغابة متجهين الى جهة
الجنوب الغربي وقضينا مدة النهار في السير حتى أرخي الليل سدوله فسمعنا
نباح الكلاب حيث وصلنا الى قرية (الترعة الخضراء) وهي قرية كبيرة
سكانها زهاء خمسة آلاف نسمة ثم غادرناها وانتهينا الى اكواخ خربة فدخلت
انا وواحد منها في أحدها وذهب الآخر الى القرية كي يعود منها بالجمال
فذهب بعد ما قطع غصنا من الشوك ووضع على باب الكوخ فاضطجعت حتى
كان الثلث الاخير من الليل جاء صاحبنا الذي ذهب الى القرية بجملين فامتطياهما

واردني أحدهما خلفه وما سرنا نحو عشرين ميلاً وسط الفلاة ووجهتنا الجنوب
 الغربي حتى اسفر الفجر وهكذا ظللنا سائر نهار كله حتى مضى الثلث
 الأول من الليل حيث بلغنا (شركيله) في حدود كردقان الجنوبية وهناك
 نزلنا ضيوفاً على اعراب حلقاء لصاحبيّ فقدموا لنا جانباً من اللبن الحامض
 وخبزاً من الذرة وفي الغد قلت لصاحبي هيا بنا نتابع سيرنا فقالا اننا منتظران
 شخصين تركناهما في أم درمان لياً تياً باناس فارين مثلك فضقت ذرعاً من هذا الكلام
 وأخذت في حثها على السفر وأظهرت تخوفي من اقتضاح الامر اذا عثر بنا الدر او يش
 فلم يصغياً لقولي وأقننا في (شركيله) سبعة أيام ننتظر القادمين من أم درمان فلم يأتيا
 وفي صبيحة اليوم الثامن جلست أمام الكوخ فاذا انا بشخص راكب على حمار وخلفه
 عبد فأمعت النظر فيه فاذا هو قبطي من كتبة جيش يعقوب أخى
 التعايشي فتقدمت للسلام عليه فترجل عن دابته وحياتي وصالخي وعلامات
 الدهشة بادية على وجهه ثم ابتدوني بالكلام قائلاً ان الخليفة قدك وقد
 سير الركبان الى كل الجهات في طلبك فقلت له اتي قصدت هذه الجهة لان
 لي بها صديقاً قديماً أرجو أن أنال من رفته دريهات ثم استحلقتة على أن
 يكتم خبر رؤيته اياي في ذلك المكان خلف أن لا يذكر شيئاً من هذا الامر ثم
 انصرفت وتابع هو سيره قاصداً كردقان وعدت الى صاحبيّ فاخبرتها بما
 أنبأني به القبطي وقلت لها إما أن تسير بي في هذه الليلة واما أن ترجعاني الى
 التربة الخضراء فقالا لا سبيل الي السير ما لم يحىء صاحبانا فألححت عليها
 بارجاعي الى التربة الخضراء وقضيت ذلك النهار وفي الاصيل رضيا باعادتي
 الي التربة الخضراء فركبنا هجينيهما وأردفني أحدهما خلفه وابتدأنا السير من أول
 النهار وفي الغلس وصلنا الي ضفة النيل الابيض عند المسكان الذي رست فيه

السفينة فأراد صاحبها أن يرجعها على أعقابها فألححت عليهما بالبقاء ريثما يتبلج
الصباح ولما بدأت طلائع الصباح وولت جيوش الغلام ودعائي وعاداني
طريقهما إلى (شريكه) والسباع تزجر حولي فحلت وعاء الزاد وسرت على
ضفة النهر فوق بصرى على زورق يشبه قوارب الصيادين فدوت منه
صناتي أجد عنده أنيسا فلم أجد قتلت في نفسي لا بد لهذا القارب من صاحب
يأتي إليه فكثت نحو ساعتين ولما لم يأت احد وأدركني بأس عظيم هون على
حياتي التي سئمتها دخلت في الزورق وقدنفته في لجة البحر ووضعت وعاء
الزاد تحت رأسي واضطجعت في الزورق الذي توسط لجة النهر وسار به التيار
إلى جهة الشمال وظل هكذا حتى إذا كان الاصيل أبصرت قرية على ضفة
النهر الغربية فرسا الزورق عند هذه القرية فوثبت للنزول إلى البر فأمسك
بملاسي شخص وقال لي (يا ولد الريف ياسارق) ولطمني على وجهي عدة
لطمات فأخذت أذبحر له وكنت أود أن أعطيه جنيها من الثلاثين التي معي
ولكنه مديده وسلب مني ملاءتي وماءتي ومنتظني ثم انصرف فذلت
القرية وسألت هل بها مصري فقيل لي ان فيها مصريا اسمه عبد الفتاح
فتمصت محله فاذا هو ضابط برتبة ملازم ثان كان بحامية الخرطوم فتلقاني
بالاكرام وأخبرني بان رسل الخليفة قصدت جميع الجهات في الدلي فأخرجت
بضع جنيهات وقلت له أدركني بشراء عشرة أرادب من الذرة لاضنها على ضفة
النهر وأجلس بجانبها حتى إذا أدركتني رسل الخليفة وجدتي على هذه الحال
فأسرع عبد الفتاح بشراء عشرة أرادب من الذرة ووضعها على شاطئ النهر
وجلست بجانبها وفي ضحوة الفهد بينا كنت مضطجا أبصره راكبين فد
أناها هجينهما بالقرب مني وبصرهما مصوب نحوى نعترا جلاما . وتقدا

نحوى فوقفتم لها وصاحقتها جلوسا بين يدي بأدب ووقار فقلت لهما أئتما قادمان
من البقعة المنورة فقالا نعم فقلت لعل خليفة المهدي عليه السلام بخير فقالا نعم بخير
وهو يقرأ عليك السلام فوقفتم على قدمي أجلا لا لذكر الخليفة وقد طار قلبي فزعا
من هذا الكلام ثم قال لي ان الخليفة يدعو لك للحضور عنده فقلت ولماذا لم تخبراني
بذلك قبل التحية لان أوامر الخليفة يجب انفاذها في الحال فسالاني أين عمامتك
ومنطقتك فقلت سرقهما اللصوص مني في هذا المكان فقالا وما الذي جاء بك
الي هذا المكان فقلت قصدت بمض معارفنا هنا فاحسنوا علي بهذه الذرة
وها أنا مقيم لأجل حراستها ريثما تمر سفينة أحمله عليها وأقصد اذ ذاك أم درمان فقالا
انا نريد إشخاصك معنا الي أم درمان فكيف تقابل الخليفة بلا عمامة ومنطقة
فارسلت في طلب عبد الفتاح فاسرع بالحضور وقال للرسولين انه جاء الي هذا
المكان بقصد أن يتحصل على شئ من الذرة يناله من أولى البر والاحسان فجمع
هذا القدر من الذرة وأخيرا أعطاني عبد الفتاح عمامته ومنطقته وترك الذرة
وديمة عنده ريثما يجد سفينة يرسلها بها الي بام درمان ثم قننا للسفر فاردفني أحد
الرسولين خلفه وغادرنا قرية (ولد الزاكي) قاصدين أم درمان وبعد مسيرة
ثلاثة أيام وصلناها قبيل المصير وانحننا لجمال امام باب دار التعايشي الذي خرج
علينا فقال له يوسف منصور هاهو عبدك ابراهيم فوزي فالتفت الي وقال الي
أين ذهبت يا ابراهيم فوزي فقلت يا مولاي اني شخصت الي احدى قرى
النيل الابيض لانال شيئا من احسان أولى البر فجمعت عشرة أرادب من
الذره فلم أجد سفينة شرعية تحملني فاقت في حراسة الذرة حتى جاءني هذان
الرسولان وهنا قص عليه الرسولان ماراياه من حالتي فسكن جاشه وقال
من الذي أذنتك بالسفر فقلت أخذت اذنا من المقدم وهو قائد عشرين

مقاتلا في ترتيب جيش الدراويش فقال لي أمثلك يكون اذنه بيد المقدم فقلت
 كلاً ولكنني اضطررت لهذا السفر بسبب ما لحقني من الجوع وضيق العيش
 فصاح التعاشي قائلاً أين القاضي أحمد على بغيء به فقال له أسلم هذا وأشار
 الى واحد الاعراب المواظين على الصلاة بالمسجد ليكون رقيباً عليه فاسلمني
 القاضي الى بقارى كان أول كلمة سمعتها منه قوله لي (يا ولد الريف لماذا أنت
 ضخم هكذا) فاحنيت رأسي تذلاً له وقلت (هكذا خلقني الله) وبعد انقضاء
 صلاة العصر قال لي (يا بوي) وهي كلمة يقولها البقارة لكل انسان لم يكن
 بقارياً من جنسهم وهي تدل على ان المنادى بها رقيق الى أين تذهب فقلت
 الى منزلي فقال أذهب معك لأتمشى معك فقلت لا بأس فذهب معي وتناول
 الطعام وسأعود الى ذكر بقية أخباري مع هذا البقارى الذي ظلت أربع
 سنوات في اسره وتحت مراقبته

أما نبأ غيابي فقد وصل الى الخليفة بعد غيابي ببضعة ايام من يوسف
 منصور الذي كان موكلاً بحراستي منذ سقوط الخرطوم وهو من ضباط
 الحكومة وقد هال التعاشي امر غيابي حيث أيقن اني فررت الى الديار المصرية
 وفي مساء يوم وصولي لام درمان أظهر التعاشي من الفرح والسرور
 ما حمله على أن دعا نفاخي الابواق وعازفي الطبول فقضوا ثلاث ساعات في
 اللهو والطرب ولم يخرج التعاشي لصلاة العشاء الا بعد منتصف الليل والحاصل
 أني أنفقت في بضعة شهور نحو عشرين جنياً من الثلاثين جنياً التي كانت
 معي في سبيل مداراة الاعرابي الموكل بي ولولا ان الله لطف بي ووصلت الى
 نقود مرسله من صديقي الحميم محمد ماهر باشا محافظ القاهرة الآن لأوقعت ذلك
 الرقيب في مهاوى الهلاك وسيأتي ذكر الرسائل والله الموفق

ذكر حرف المؤلف

ذكرت اتي كنت مقيماً بجوار منزل يوسف منصور وبجوارى ضابط
 برتبة يوزباشى اسمه على خير الدين كان بحامية سنار
 وفي ذات يوم زارني أحد معارفى من أهالى السودان فأعطاني
 خمسين ريالاً مجيدياً وأعطى جاري على خير الدين عشرة ريالاً ثم
 انصرف فقال لى جاري أرى اننا فى حاجة شديدة الى حرفة نوزق منها فقلت
 ماهى الحرفة الذى ترى اننا قادران على القيام بها فقال نفتح حانوتاً نبيع فيه
 (القهوة) فى ساحل الموردة فقلت لا بأس وذهبنا الى ذلك الساحل واشترينا
 بوصاً وأخشاباً واستأجرنا أناساً عاونونا على تشييد كوخ فرشناه (بالابراش)
 وهى نوع من الحصر يصنع من الخوص وفى اليوم التالي فتحنا الحانوت وما
 مضت ساعتان على فتحه حتى جاءنا الحاج خالد العمرانى محتسب ساحل الموردة
 وقتئذ وأمرنا بهدم الكوخ فأخذنا نتصرع له ونستعطفه فلم يجاوبنا بتعبير
 الشتام القبيحة ومنها يا كفار يا أولاد الريف يا أسرى وأخيراً أمر أعوانه بهدم
 الكوخ فهدموا ونهبوا أدوات القهوة وأخذوا الحصر والاشباب ولم يتركوا
 لنا شيئاً من البوص وكانت نفقات تشييد هذا الكوخ قد بلغت عشرين ريالاً
 مجيدياً عدا ثمن أدوات القهوة فقلت لصاحبي على خير الدين ماذا نعمل فقال نبتعد
 عن ساحل الموردة ونشيد كوخاً آخر نبيع فيه القهوة أيضاً فقلت ان مابق
 لدينا من المال لا يكفي لتشييد كوخ آخر فقال نفق مابق عندنا من النقود
 أما ثمن البن فقد اتفقت مع تاجر مصري يبيع البن على أن نشدين منه
 ما يكفيننا من البن فابتعدنا عن دائرة نفوذ الحاج خالد العمرانى وشيدنا كوخاً

آخر وياشرنا بيع القهوة فيه

ولما أبصر من حولنا من الدراويش حائوشا صاروا يترددون علينا لشرب
القهوة وإذا طلبنا منهم ثمنها أهانونا وضربونا وانصرفوا وبعضهم يقول لنا
أتركوا عن القهوة (في شان الله) اى لوجه الله فاذا قلنا لهم لا تركه يضربونا
ويقولون انكم ما زلتكم كفاراً

ومكثنا نحو شهر مباشر هذه المهنة وقد بلغ ما تدايناه من التاجر عشرين
ريالا لم تحصل منها على اكثر من ستين قرشا وما بقى ذهب بين (في شان
الله) وبين ديون على بعض دراويش لا تقوي على مطالبتهم بسدادها لاننا
موقنون أننا لو ذهبنا الى مطالبتهم لقينا مانكره وربما رمونا بهمة
الكفر وساقونا الى موقف يستحيل عودتنا منه سالمين فهدمنا الكوخ
وبعنا أخشابه وحصره وأدوات القهوة وذهبنا الى التاجر لنوفيه حقه فتنازل
عن النصف ودفعنا له النصف الآخر ثم زين لصاحبي عقله أن نحترف بمهنة
شراء البطيخ من المزارع وبيعه فاستحضرنا ثلاثين ريالا مجيديا جعلناها
رأس مالنا وذهب صاحبي الى قرية (الميلقون) واشترى بطيخا شحن به مركبا
صغيرة وعاد الى أم درمان في مصر وكان ذلك في شهر رمضان فأخرجنا
البطيخ من المركب ووضعناه على شاطئ النهر ريثما نبيعه للبيعة وذهبت الى
منزلي وتركت صاحبي يحرس البطيخ وبيننا كنت عائدا من المنزل رأيت
موكب التعاشي ماراً فأبصرت الدراويش الذين خلقه قد اختطفوا البطيخ
وبعد ان اجتاز الموكب ذهبت الى صاحبي على خير الدين فالفيتة جايا على
ركبتيه واضعاً يديه على رأسه شاخصاً بصره الى الارض ووجدت
عنده بعض بطيخ مهشم فمظم على نهب البطيخ ولصكتني أخذت في

تسليته وتهوين المصيبة ومازلت به حتى أخذته وذهبنا الى منازلنا وكان التعاشي ذاهبا بموكبه الى منزل له بالقرب من هذه الجهة وبعد ان اوصلت رفيقي الى منزله ذهبت خلف التعاشي فوجدته جالسا في المسجد فقال له أحد الحاضرين ان ابراهيم فوزي ورفيقا له كانا يبيعان البطيخ فداهمم الانصار ونهبوا البطيخ فقال (في شأن الله) ثم قال لمخاطبه من هو ابراهيم فوزي كأنه لا يعرفني فوففت بين يديه فقال هل البطيخ الذي أخذه الاخوان لك فقلت نعم فقال ومن أين لك رأس المال فقلت تداينته من بعض الناس على شرط ان يكون الرمح بيننا فقال وماذا قلت لما أخذه الانصار فقلت لم أقل غير (في شأن الله وفي حب سيدنا الخليفة) فتبسم وقال أهكذا قلت مع ان رأس المال دين فقلت لم أقل غير ذلك ثم حان وقت الافطار فدخل التعاشي داره وذهبت الى منزلي للافطار أيضا ثم عدت وأنا لا أشك في انه سيعطيني تمويضا فقضيت الليل حول مقصورته حتى انتهت صلاة القيام ودخل الى منزله وبعد أيام قلائل ارسل لي مع أحد خدامه أربعين ريالاً من الريال المسمى (مقبول) الذي تقدر قيمته وقتئذ بخمسة قروش

وفي اليوم التالي قال لي صاحبي على خير الدين ان كثيراً من الذين يتبايعون البقر والنم يرغبون ان يكتبوا عقوداً بين البائع والمشتري يضمنونها أوصاف البهيمة المشتراة وان أجرة تحرير عقد بيع الراس من المعز أو الضأن قرش ومن البقر قرشان وكذا الابل فذهبت مع صاحبي الى السوق واستأجرنا مظلة من البوص وجلسنا تحتها وجاء أصحاب الماشية للبيع فاخذنا نكتب العقود فاجتمع لدينا نحو أربعين قرشا قبل ان ينتصف النهار ثم أذن لصلاة الظهر فجاء الدراويش بالسياط وأوسعوني وصاحبي ضربا وأخذوا ما جمناه

وقالوا اذهبوا الى الصلاة ومن المادة المتبعة عند الدراويش انهم يضربون الباعة
وأصحاب الحوانيت بالسياط ليذهبوا لاداء الصلاة في المسجد والحقيقة انهم انما
يفعلون ذلك ليهبوا ما في الحوانيت من السلع فسرنا مع الدراويش الى المسجد
ونحن تلج في الضراعة ونلتمس الاحسان علينا بشيء من القروش التي أخذت
منا وبمدا اللثيا والتي اعطونا خمسة قروش بعد ان اشترطوا علينا عدم مباشرة هذه
الحرفة لما فيها من كثرة الايراد وحيث اننا مصريون وكفار بزعمهم فلا يصح
ان نحصل على شيء يزيد على ثمن الخبز بلا اذام
هذا وقد استطاع صاحبي على خير الدين المهرب واللاحاق بمصر بعد هذه
الكوارث بنحو عامين



ذكر عثمان الملقب بشيخ الدين بن عبد الله التمايشي
لما أفضت خلافة المهديوية الى التمايشي كان سن ابنه عثمان لا يتجاوز
عشر سنين تقريبا

ولما كان التمايشي ذا طموح لجعل الملك وراثياً في آل بيته مهد كل الصعوبات
التي تترض هذا السبيل وحط من قدر انجال المهدي وسائر ذوى قرابته
وأخذ يعيهم في مجالسه الخصوصية بانهم ذناقلة أسافل لا يصلحون لشيء غير
حراسة الابواب

وفي أواخر سنة ١٣٠٥ دعا ابنه عثمان وعمره لا يتجاوز اذ ذلك ثلاثة
عشر عاماً وقال على رؤس الملائكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقبه بلقب
(شيخ الدين) وانه مرشح ليكون خليفة رابعاً ويجلس على كرسي عثمان بن
عقان عليه سحائب الرضوان

وبعد ان أعلن التعايشي بين أهله ترشيح ابنه عثمان للخلافة ماد فسكت عن هذه المسألة ولم يتكلم عنها بعد لان اخاه يعقوب حذره من ولوج هذا الباب وقال له انك ان فتحت باب الكلام في أمر الخلافة أوجبت على نفسك السير على حسب ترتيب الخلفاء وإذا ذلك يجب تقديم علي حلو خليفة الفاروق على ابنك الذي تريد جعله خليفة لعثمان ولا يبعد ان الخليفة على حلو يحول بين الخلافة وبين ابنك ويجعلها وراثه لأولاده اذا قدر له ان يخلقك فعدل التعايشي عن تولية ابنه الخلافة واخذ في أسباب تناسي الناس ذكرى الخلافة واهمية الخلفاء فجلس ذات يوم والناس حوله وقال لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم والحضر والمهدي اخبروه بان لا خلافة بعده وان الملك والسلطان سيكونان بيد اقرب الناس اليه وقال مرة ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبره بعبارة مبهمه حيث قال له انت اربعون فلم يفهم معنى الاربعين اهي اربعون عاماً ام اربعون شهراً أم اربعون يوماً فاخذ من حوله من المتعلقين في البكاء وكان ابن النجومي حاضراً فقال لما اذا تكون فقالوا لقد ساءنا ان سنى حكم سيدنا اربعون سنة فقال لهم التعايشي سواء كانت سنو حكي اربعين سنة أو اربعين شهراً أو اربعين يوماً فانه لا يبق بعدى على وجه الارض مؤمن وان الساعة لم يبق عليها غير ما هو باق من اجلى وفي هذه السنة أى سنة ١٣٠٥ زوج التعايشي ابنه عثمان بنت عمه يعقوب وبالرغم عن التقاليد التي سنها المهدي بتخفيض مهر البكر الى عشر ريالات والثيب الى خمس ريالات وتحذيره من الاحتفالات في ليالى الاعراس وتوعده من خالف هذه القواعد بالعقوبة الصارمة تعالى التعايشي في إظهار الابهة في الاحتفال بقران ابنه حيث اقيمت الافراح وادبت نحو خمسين مأدبة حضر كل واحدة نحو الالفين من المدعوين ومع بساطة الأطعمة في هذه المآدب

التي كانت قاصرة على اللحوم والتمر وبعض الخضراوات قد بلغت نفقاتها
قدراً طائلاً من المال

وكان لحمدان أبي عنجة دار كبيرة شيدها بالآجر واللبن الأحمر فاخذها
التعايشي وأسكن فيها ابنه عثمان ومن ثم ظهر عثمان بن التعايشي بمظهر الامارة
وحاول أبوه ان يوليه قيادة الجيوش ويستورزه بدل أخيه يعقوب الذي اضمر
لعثمان الكراهة وأوجس خيفة من ان يشرع أخوه التعايشي في اقصائه عن
منصبه ويستعيز عنه بابنه عثمان الذي أخذ يجاهر عمه يعقوب بالعداوة ويعيب
أعماله ويشدد النكير عليه حتى أفضى ذلك بينهما الى مناظرات شديدة ظهر بها
للتعايشي ان قبائل الاعراب البقارة سيما التعايشة شديداً التعلق بأخيه يعقوب
وانهم منقادون له انقياداً أعمى وكثير من القواد صنائه وفي الحقيقة ان صفات
يعقوب هي التي جذبت هؤلاء الاقوام وجمعت قلوبهم على ولائه والاخلاص
له لانه كان اكرم خلقاً من أخيه التعايشي وألين جانباً منه ولشدة دهائه وتفنته
في أساليب الخداع كان لا يباشر أحداً بسوء أما سياسة أخيه فكانت خرقاء ولذا
كان لا يظهر بنير مظهر القوة والجلبروت فامتلات الافئدة برهبتة وقزعت
من قهره ومالت الى جانب أخيه يعقوب الذي كان قابضاً على زمام أعطية الناس
وييده ارزاقهم فمن أرضاه منهم أمن غائلة أخيه التعايشي وتناول عطاءه وحصل
على رزقه وان كان من أولى الوظائف فانه يصير آمناً على وظيفته بمد ان يؤدي
الى يعقوب ما يفترضه عليه من المال وسيأتي أن ما كان يتناوله يعقوب من
رشا الوظائف وغيرها كان يدفعه الى أخيه التعايشي

هذا وقد ايقن التعايشي ان محاولة اقصاء يعقوب ستكون ذات
منفعة سيئة وكان يخشى أن يهب لمناواته حيث ان القوة في جانب أخيه

كانت ارجح منها في جانبه فضلا عما يعلمه من سير ابنه الذي شب ولاه له غير
 اللهو والتفاني في حضور ليالى الرقص وشرب الخمر مع ان المهدوية منذ ظهورها
 شددت النكير على الراقصات وسنت العقوبة الشديدة عليهن كاجلد بالسياط
 وحلق الرأس ومصادرة الاموال وفي الحقيقة ان المهدوية بسنها هذه الاحكام
 احسنت صنعا لان عادة الرقص سيما في الاعراس من اقبح عوائد السودان
 واشدها مساسا للآداب السومية اذ يجتمع في ليلة الزفاف عدد كبير من
 الشبان والفتيات يغنون بانغام مختلفة بين ثقيل ووسط وخفيف ويطنبرون
 بصوات مزججة كأنها حشرجة الصدور ثم ترقص الفتيات ومن ضمنهن
 العروس على هذه الانغام ويحنن ظهورهن حتى تكاد رؤسهن تمس الارض
 واجسامهن عارية ليس عليها غير الخلي وعلى عوراتهن سيور من جلد طولها
 أقل من عشرين سنتمرا تري من خلالها عودة الراقصة وتسمى هذه
 السيور (الرهط) ويظل الرقص والغناء مستمرا في منزل العروس مدة
 أربعين ليلة أولاهن ليلة الزفاف

هذا ولعمد الى ذكر عثمان الدين الذي طرح الوقار وتهتك في حب
 الراقصات ووالي السهر في ليالى الرقص وجمع حوله عددا كبيرا من المغنين المطنبرين
 وأخذ همه يعقوب يرفع الى والده التعاشي أخبار ما يقف عليه من قبيح سيره
 واسترساله في قضاء الشهوات وشرب الخمر ولم يترك بابا من أبواب الفسق الا
 ولجه وبالجملة انه ظهر في مسرح الخلاعة وضروب اللغو ظهور المهتكين وامسى ولاه
 له غير اغتصاب كل بنت تعجبه والتمتع بها بضع ليال وجمع حوله عددا كبيرا
 من الخنثين وصار الاعراء وسائر الناس يخفون اولادهم عنه حيث كان
 يأخذهم بصفة حراس وخدام له ولم يعمل أبوه لكبح جماحه عملا

سوى انه كان في بعض الاوقات يقبض على بعض ندمائه ويهدمهم الى جهات
خط الاستواء

هذا وقد مد عثمان يده الى الجبابة وامراء الجهات فكانوا يدارونه
بالهدايا اتقاء شره وكانوا في حيرة من أمره لان عمه يعقوب كان يحذرهم
من إعطائه شيئاً من بيت المال

وجمع التمايشي نحو أربعائة من غلمان الاحباش الذين أخذوا أمري في
حروب الاحباش واركبهم الخيول الكريمة وجعلهم حراساً لابنه

وقد حدا حدو عثمان شيخ الدين في جميع اخلاقه واطواره شبان البقارة
الذين شبوا في أم درمان وصرت تري دور أمراءهم وقوادهم غاسية بالمغنين
والمطربين وانغمسوا كلهم في الترف والمو وشرب الخمر حتي صاروا يتباهون
بذلك ويفاخر بعضهم بعضاً بهذه المنكرات وسيأتي الكلام على الخنثين وما
كانوا يعاملون به في أيام المهديين ثم ما صارت اليه حالتهم من الانقلاب
على عهد عثمان شيخ الدين واضرابه من شبان البقارة

والحاصل ان التمايشي رأى ان لا مناص له من ترك أخيه يعقوب يشاطره
التفوذ والسلطان في ملكه بالرغم عن طموحه لرفع شان ابنه وترشيحه لنيل
الملك من بعده ويهد الله كل شيء

الكلام علي الخراج والجبابة والعمال

عقدنا هذا الباب لنا في فيه على ذكر نظمات المهديين وعوآئدهم
في جباية الخراج وتعيين الجبابة والعمال اذ من هذا الباب يقف القارئ على
نظمات القوم ويعرف أساليب الخراج وتعيين الجبابة فنقول

تنقسم البلاد السودانية في كيفية جباية الخراج الي قسمين. القسم الاول
 أمراء البلاد الذين لهم شبه استقلال في اماراتهم ولاسلطة لأمين بيت
 المال عليهم وهؤلاء أمراء شرق السودان كعثمان دقنه وأمير دنقلة عبد الرحمن
 النجومي والذين خلفوه وأمير جيش السلابات حمدان أبي دنجة ومن خلفه
 وأمير دارفور وكردفان عثمان آدم ومحمود أحمد الذي خلفه بعد وفاته وكذلك أمير
 بربر فهؤلاء الامراء لهم شبه استقلال في أعمالهم بحيث يقتلون وينفون في دائرة
 نفوذهم لانهم يقودون جيوشا جرارة ويحكمون على عدة أقاليم ولكل واحد
 من هؤلاء الامراء بيت مال خاص وسجن وشرطي خاص بامارته وهو الذي
 يعين الجباة من طرفه وينفق ما يجتمع في بيت ماله على الحماية التي تحت إمرته
 وكانوا في ظاهر الحال غير مكافئين بارسال شئ من خراج بلادهم الي أم درمان
 ولكن الحقيقة انهم يؤدون اكثر من نصف ما يجمعونه من الخراج الي يعقوب
 أخي التماشي بصفة هدايا واذا صودرت أموال أحد الاغنياء فان القيمة
 التي صودرت ترسل برمتها للتماشي وأخيه وابنه وفي جميع الاحوال كان
 ما يرسل الي الخليفة من نوع الذهب والفضة الخالصة ونوعي الريال
 المجيدى والنساوى وان كان الذهب أحب هذه الاصناف الي التماشي .
 والقسم الثاني جباة سنار يمينهم أمين بيت مال أم درمان يبلغون عشرة
 جباة كل جاب لا تتجاوز دائرة نفوذه قسما من أقسام مديرتي الخرطوم
 وسنار وهذان الاقليمان هما اللذان بقيا تابعين لبيت مال أم درمان
 اما الخراج الذي يجبي فهو عبارة عن عشر الحبوب وزكاة الماشية من الغنم
 والبقر والابل حسب الفريضة الشرعية وزكاة القطن يأخذونها قهر آمن كل من
 صر بهم وليس بيده قسيمة بتوقيع أحد العمال تفيد انه أدى زكاة القطن وزكاة المال

تؤخذ قسراً من التجار ومن يظن انه ذو مال
هذه موارد خراج المهدويين ومقاديرها ظاهرة ولكن الحقيقة انهم كانوا
يأخذون اكثر من ثلث محصول الحبوب وهذا اذا لم يدعوا على المزكي انه
شرب خمرآ أو استعمل دخاناً ليتوصلوا بذلك الي مصادرة أمواله كلها
ويدفع الجابي قبل تعيينه الي يعقوب الف ريال من العملة القديمة
ونحو خمسمائة ريال الي أمين بيت المال ونحو خمسمائة ريال لكاتب يعقوب
وبيت المال وحجاب يعقوب فالجملة ثلاثة آلاف ريال ثم تصدر الاوامر من
التعاشي بتعيين أولئك الجباة فينادرون أم درمان في شهر محرم من كل سنة
ويمودون اليها في العشر الاولى من شهر ذي الحجة فيؤدي كل جاب اثنى
عشر الف ريال الي يعقوب ونحو خمسة آلاف أردب من الغلة عدا الماشية
من أنواع البقر والغنم وعدا الركائب الجيدة من الخيول والحمر الاهلية والمجن
وعدا هذا وذلك الجوارى الحسان
واذا صادر الجباة أموال أحد الناس أرسلوا المال كله الي يعقوب والويل
ثم الويل لمن اخفى ولو شيئاً تافها
وجملة القول ان ما يتناوله يعقوب كان يبلغ خمسة وعشرين الف ريال
ولا يحيص للجابي عن تقديم مثل هذا القدر الي بيت المال عدا ما يرشى
به أمين بيت المال فيكون المجموع نحو ستين الف ريال أما الفلأل فانها
لا تدخل تحت حصر لكثرتها ثم ان الجابي وكتبتسه واعوانه يتناولون
من المال ما لا يقل عن نصف هذه القيمة عدا نفقاتهم مدة العمل حيث الأهلون
مكلفون بتقديم الاغذية لهم والعلف لدوابهم
ولا يفوتن القارى ان ما كان يتناوله يعقوب من الرشوة كان يصل خزائن

التعايشي بحيث لا ينتفع يعقوب منه الا بالطقيف
وكثير من كبار أمراء البقارة يرسلون المال رأساً الي التعايشي بدون
وساطة يعقوب وللأسباب التي سردناها تحولت ثروة السودان الي خزان
التعايشي وأخيه وابنه وقبيلته ويات الاهلون يقاسون الفقر المدقع ليس
لديهم من المال غير ما يحرثونه وليت المهدوية كانت تترك لهم من ثمار أرضهم
ما يقوم بحوائجهم الضرورية ولا حول ولا قوة الا بالله

ذكر المخنثين

يوجد في بلاد السودان مخنثون يتشبهون بالنساء في ملابسهم وربما
سدلوا شعورهم مثلن وهم يأوون الى اماكن المومسات ليقوموا بمهنة القيادة
اليهن ولا تخلو بلد من بلاد السودان من مومسات اكثرهن من الجوارى
التي يفرض عليهن مواليهن ضريبة يقمن باداؤها في كل شهر وقد جاء في كتاب
(السيف والنار) ذكر أولئك البنايا ومواليهن الذين هم وجود أهل السودان
واغنياؤهم ولا عيب عندهم في ارتكاب البنايا هذا الفعل الشنيع لما ان هذه
العادة قديمة متأصلة عند أهالي السودان ولذا لا يأتفون من أخذ المشاهرة
من هؤلاء الجوارى

ولما ظهرت المهدوية وأقيمت الحدود الشرعية على الزانى والزانية مد
المهديون أيديهم الى البنايا فاغتصبوهن من ملا كهن بصفة سبايا وبقى أمر
المخنثين على ما هو عليه حيث ظلوا قائمين بحرقهم في أمكنة الفجور السرية
وفي سنة ١٣٠٤ قبض التعايشي على مئات منهم وزجهم في ظلمات السجون
وعذبهم بالاشغال حتى اشرفوا على الهلاك ثم استتابهم وجعل عليهم حراساً

ورقباء وأمرهم بمواظبة الصلوات الخمس في المساجد فتركوا التشبه بالنساء وصاروا في وجل شديد ثم انه قبض على كثيرين منهم أيضا ونفاهم الى خط الاستواء فلقوا حتفهم في الطريق قبل أن يبلغوها

ولكن ما لبثنا بضع سنوات حتى رأينا لرقباء والمولكين بالختين قد زكروهم وشأنهم وصرنا نري أولئك الختئين فدأدوا الي ما كانوا فيه من التشبه بالنساء وارضاء الشعور وصار عدد ليس بقليل منهم يسكن دور عثمان شيخ الدين واضرابه من شبيبة البقارة ومنهم محمود احمد اسير وقمة ابيه وأخوه ابراهيم الخليل فتعلق الناس بالختين وبعد ان كانوا لا يسكنون في غير محلات الباغيات وأحياء المومسات صار مأواهم دور الامراء ومنازل القواد ولا غروقالناس على دين ملوكهم وكان محمود احمد قد تعالي في تعلقه بالختين الذين جمع منهم في منزله اكثر من عشرين واحدا منهم يرافقونه في الشخصوس الي دارفور ويودون معه لدى فقوله راجعاً الي أم درمان

والبقارة بطلقون على الخت اسم (عقيلط) ومن ثم صار الختئون أصحاب الكلمة النافذة عند عثمان شيخ الدين ومحمود احمد وسائر الامراء وبالجملة انهم صاروا شفعا لا ترد شفاعتهم عند عثمان وسائر الامراء حتى صار أولئك الامراء المقتونون يناظرون بعضهم بأولئك الختئين

وقد بلغ من تقرب عثمان شيخ الدين للختين والانتصار لهم ان أحد الرقباء الذين كانوا مولكين بمراقبة الختئين وكان شديد الوطأة عليهم حتى كان من أمرهم ما ذكرناه رماه بعضهم عنده بتهمة أنه يود اعادة المراقبة عليهم فقبض عليه وسجنه ولم يطلقه الا بعد عناء شديد

ويزعم أولئك الامراء انهم لم بأووا الختئين في منازلهم الا ليوكلوا اليهم

أمر تطيب نسايتهم وتدريبهن على أساليب الفتنج والدلال لانهم على زعمهم
أعرف من نسايتهم بهذه الاشياء وهو عذر ان صح نقله عنهم أقبح من الذنب
لانه لا يبعد أن يتمتع أولئك المختنون بالنساء ويشاطرون هؤلاء الامراء المغفلين
الخطوة بهم كما ان العقل يستبعد سلامة أولئك الامراء من التلطيخ باوضاع تهمة
اللوأط أعاذنا الله منها

حوادث دنقلة و قتل ابن النجومي

لم نذكر من حوادث دنقلة غير وصول عبدالرحمن النجومي وهنا نذكر
بقية حوادثها الي سفره منها ومهلكه بعد ان اجتاز حلقا فنقول
لما غادر عبد الرحمن النجومي ام درمان قاصدا بربر ومنها الي دنقلة كان عدد
مقاتله سبعين ألفا ولكنه لما وصل الي بربر تفر فواعنه ولحقوا ببلادهم
ولم يبق معه منهم الا عشرون ألف مقاتل عدا الجهادية الذين يبلغ عددهم نحو
عشرة آلاف مقاتل وكان قد ارسلهم من بربر الي دنقلة تحت قيادة مصطفى
جبارة وكيل الجيش وكان فواد أولئك الجهادية آدم كرامة وسرور أباعنجة اللذين
كانا في جنديّة الحكومة في الايام الساتفة ولما وطئت أقدامها أرض دنقلة
ورأوا أنفسهما قريين من حدود الحكومة اشتد ميلهما الي اللحاق بها
فتشاورا علي اضرار نار الثورة وشق عصا الطاعة علي المهديين فاجتمعا بصغار القواد
المرؤسين بهما وتحالفوا علي أن يباغتوا الدراويش ويأخذوهم علي غرة وعينوا
آدم كرامة قومنداناً عاما عليهم ولقبوه بآدم (باشا) كرامة ومنحوه رتبة
أمير اللواء ومنحو سرور أباعنجة رتبة (أمير الأي) وسموا لواءهم اللواء

الرابع وأحسن أمير اللواء على بقية الضباط بالرتب ومن بينهم واحد اسمه عبد الله محمد كان حائزاً لرتبة ملازم ثان من الحكومة الحديوية منحه رتبة الملازم فاستاء من ذلك وعده إهانة كبرى لشخصه ولكنه لم يخبرهم باستيائه . على انه لو أخبرهم بما داخله من الغيظ لمنحوه ما يشبهه من الرتب ولكنه سكت فقالوا سكوتة رضاء

وأجمع آدم كرامة واعوانه على الوثبة على الدراويش في الفليس ورسوموا كيفية الهجوم وانصرفوا الى منازلهم على ان يجتمعوا في وقت عينوه ولكن لم يتم لهم ما اردوا فقد ذهب عبد الله محمد الى مصطفى جباره واخبره بما دبره الجهادية فتمص الجدد وجمع حوله الف وخمسة مائة فارس وارسل خمسمائة مقاتل قبضوا على آدم كرامة وسرور أبي عنجة وبعد ان سئلا فانكرا استشهد بعبد الله محمد الذي قال لها انكما دبرتما كيت وكيت ثم ضربت اعناقها واعناق نحو عشرين من القواد الذين معهم وأرسل مصطفى جباره يخبر عبد الرحمن النجومي بهذه الحادثة وكان عبد الرحمن يبغضه فاتخذ هذه المسألة فريسة الى الانتقام منه فكتب الى التعايشي يبري الجهادية ممارماهم به مصطفى جباره وادعى انه ماقتلهم الا لقصد سي فرد التعايشي على عبد الرحمن النجومي قائلا ان الحضرة النبوية أخبرته بصحة ما قاله مصطفى جباره وان ما فعله لم يكن عن سوء قصد كما قال عبد الرحمن النجومي الذي غادر بربر على أثر هذه الحادثة ولحق بدثقة وتكاملت جيوشه بها

هذا وقد أئمننا الى ان النجومي كان من حزب الخليفة شريف الذي كان التعايشي يسمى في تلاشي أمره واضمحلاله وقد كان من أمر النجومي انه رغب عن الخليفة شريف واحتقره ومال الى التعايشي الذي قابل مياله بالفتور وعده

خيانة توجب الازدراء بمرتكبها وكان ابن النجومي ذا بساطة فطرية مع بله فلم يظن لهفوته هذه وبقي منزلاً للتعايشي

وبعد أن وصل ابن النجومي الي دنقلة انتدب التعايشي مساعد قيديم البقاري في بضعة آلاف مقاتل كلهم من البقارة وارسله الي دنقلة ليكون وكيلا لعيد الرحمن النجومي

ولما وصل مساعد الي دنقلة زاره النجومي ذات يوم بمنزله فقدم له شرابا من العسل دس له فيه زرنيخا فتناول منه النجومي جانبا فابتدأت فيه اعراض التسمم ولزم داره واشتدت به العلة حتي اشرف على الهلاك وبعد مدة عوفي وزال عنه الخطر واشتد النفور بينه وبين مساعد الذي كان يطالب أمين بيت المال بتفقات باهظة تمدل نفقات الجيش كله فشكاه ابن النجومي الي التعايشي الذي كان لا يجاوبه بنفي العبارات المهمة مثل أنت قائد الجيش ومساعد انما هو وكيلك والامر مشترك بينكما فاستحکم النفور بين مساعد وابن النجومي حتى خيف انشاب الحرب بينهما وتفرقت كلمتهما وصار كل واحد منهما يستعرض جنوده على حدة

وفي ابان ذلك نهي الي ابن النجومي ان السير غرانفيل باشا سردار الجيش المصري ينوي الهجوم على معسكر الدراويش في جنوب حلغا وهو معسكر (صرص) فارسل يبلغ التعايشي الخبر ويستأذنه في التقدم الي صرص فكتب له التعايشي يقول انك لن تزال في دور التقاهة فابث مساعداً بجميع فرسان الجيش وهم زهاء ثلاثة آلاف فارس فانفذ النجومي مساعدا الي صرص فالتقي قبل وصوله اليها بجواسيس المهديوية قادمين من حلغا فاخبروه بان السير غرانفيل معه قوة كبيرة وانه ربما كن لكم في الطريق فارتاع مساعد وكان

جياناً رعيدياً ثم تقدم الى صرص فلقية جواسيس أخر اخبروه بمثل ما خبره
 به الاولون فترك الجيش وعاد الي دنقلة واستخاف أحد أقاربه على الجيش فتابع
 سيره الي صرص ولم يصادف كيداً في طريقه ثم قفل راجعاً الي دنقلة ولم يلتق
 بالجيوش المصرية التي قصدت صحراء (المرات) لاكتشاف آبارها
 وفي سنة ١٣٠٥ استدعى التمايشي عبد الرحمن النجومي الي أم درمان
 واكثر من تأنيبه وتحقيره أمام الملائح حتى قال له انك رجل مغفل لا تصلح
 للولاية على امرأتك وأولادك فضلاً عن ولايتك على جيش جرار
 ولقد ذكرنا فيما مضى ان ابن النجومي كان من أعظم قواد المهدي
 الذين لهم عنده اكرام منزلة وقد كتب اليه مرات عديدة يقول ان الحضرة
 النبوية تقرأ عليك السلام وقال له يوم سقوط الخرطوم مفسراً الآية الشريفة
 (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم
 من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) ان الذي قضى نحبه هو عبد الله بن النور الذي
 ذكرنا خبر قتله في واقعة (الجريف) وان الذي ينتظر هو عبد الرحمن النجومي
 فانظر كيف كانت منزلة عبد الرحمن بن النجومي عند المهدي وكيف سقطت
 الي الحضيض عند التمايشي الذي أنبأت أفعاله انه لم يكن مصدقاً بشيء من
 دعوى المهدي وتخرصاته وانه كان واقفاً على كنهه اكاذيبه بل كان مشاركاً له في
 وضعها واختلاقتها

ثم أعيد ابن النجومي الي دنقلة في أواخر سنة ١٣٠٥ وأمر باخذ الالهبة
 لتفتح مصر فدخلت عليه سنة ١٣٠٦ ولم يتقدم اليها بل أخذ في مماطلة التمايشي
 وود الاستقالة من عمله

وفي أواسط سنة ١٣٠٦ فشيت الحجاعة في السودان واشتدت وطأته

على أهل دنقلة فاصدر التمايشي أمراً بمزل ابن النجومي وتعيين يونس الدكيم التمايشي بدله وأمر يونس المذكور باكرامه ابن النجومي على مغادرة دنقلة لفتح مصر

هذا وقد كان من الاسباب التي بعثت التمايشي لانهذا عبد الرحمن النجومي الى فتح مصر أن بمض الجمافرة سكان مديرية أصوان كانوا يبعثون الكتب تباعا الى التمايشي يظهرون فيها ولاءهم له وانهم ينتظرون بفروغ صبر تقدم جيش المهديوية الي بلادهم وانهم سيلة وانه في عدد عظيم من المقاومة ويقدمون له ما يحتاجه من الاقوات وتفشى الجماعة في السودان كله مع ما ظهر له من ان الاهلين يودون الخلاص من ظلمه سيما وقد تفرقت دراويشه من حوله وأمسي وليس معه منهم في أم درمان اكثر من بضعة آلاف فأشار عليه بعضهم بانفاذ جيش ابن النجومي الى حدود مصر ليظهر من الضعف قوة ومن همة أخري كان هلاك جيش النجومي مما يسعي اليه التمايشي لانه كما تقدم لنا من القول كان من حزب الخليفة شريف وكان ابن النجومي بعد ان عاد من أم درمان قد عاوده المرض وانكست صحته فكتب يونس لدكيم الي التمايشي يخبره بان ابن النجومي ملازم للفراس وان حالته منذرة بالخطر فاجابه بان يحملوه على نعش ويسيروا به امام الجيش لان الحضرة النبوية اخبرته بان فتح مصر سيكون على يده فخذل ابن النجومي على نعش سيروه امام الجيش كانه تابوت نبي اسرائيل وشخص من دنقلة ومعه اثنا عشر الف مقاتل وعشرون الفا من النساء والصبيان وأعطى لكل مقاتل من مقاتله كيلتين من الذرة وهو قدر لا يكفيه بضعة أيام

ولما اقتربت الدراويش من حدود الحكومة عند مكان اسمه (ارغين)

هاجمته الحامية هجوما عنيفا فسقط في ساحة القتال نحو نصف مقاتلته الذين صاروا لشدة فتك المجاعة بهم كغنم تساق الي الذبح

ومن المضحك ان أحد قبيلة الكنوز الذين كانوا مع ابن النجومي أرسل كتابا الي بعض أقاربه في أم درمان قبل مذبحه (أرغين) جاء فيه ما يأتي اني ذبحت فرسي في هذه الليلة وتمشيت من لحمها أنا ومن ممي وادخرت الباقي للتزود به حيث صرنا على مقربة من حدود الكفار واما قريب يأتيكم نبا فتح مصر اه فانظر هذه الفباوة واعجب لسخانة عقل من تمشى من لحم فرسه وتزود بالباقي كيف يفتح مصر

وبعد واقعة (ارغين) سار ابن النجومي بجيشه حتى التقى بالسير غراثيل باشا قائد الجيش في (طوشكي) حيث قتل ابن النجومي وتمزق جيشه كل ممزق

ولما كانت هذه الواقعة معلومة عند المصريين وقد وقفوا على تفاصيلها فلا حاجة لا يراد شى عنها زيادة عن هذا اما تأثير هذا الخذلان على التعايشى فكان سيئا ولكنه أظرب عدم الاكتراث به

ذكر زواج المؤلف باحدى نساء التعايشى

بعد أن أسلمنى التعايشى للبقارى الذي وكل اليه مراقبتي في الصلاة ببضعة شهور جلس في محراب المسجد بعد اداء صلاة الظهر وأخذ يكلم الناس بامور زعم انه أخبره بها النبي صلى الله عليه وسلم ومن جعلها انه قال لهم سيظهر كذاب يدعى انه المسيح عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه وان أوصافه

كيت وكيت فقال له من حوله ان ذلك الكذاب مصري وكنت مصنيا لاقواله
 فسمعتة يقول انه أبيض اللون قصير القامة ضخمة الجثة مستدير الوجه فقال
 لي بعض الحضور سرا يمازحني ان هذه الاوصاف تنطبق عليك فداخني
 وجل شديد وقلت في نفسي رب واش ألمع هذا الطائفة عني أني مزعم
 على ادعاء هذه الاكذوبة وانه قال مقالته هذه ليهد بها طريقا للقبض عليّ
 والايقاع بي . فتنحيت من موقعي وجلست في المسجد واستندت ظهري
 الي حائط وانا غارق في بحار الافكار فسمعت مناديا يقول يا فوزي فعلت
 ان التعاشي يدعوني فذهب عقلي وقت وانا لا أشك في تحقق ما وقع في روعي
 واني مدعو الآن للتكيسل بي فمشيت مسرعا حتى بلغت مقصورة التعاشي
 فلما رأي قام على قدميه وخرج منها وأمسك بيدي ومشينا الى باب داره فقال
 الناس لا ريب ان الذي أمسكه الخليفة هو الذي قال عنه انه سيدي انه المسيح
 عيسى بن مريم صلوات الله عليه وسلامه

ولما وصلنا عند الباب وقف ممي وقال مخاطبا لي يا فوزي فقلت نعم
 يا سيدي خليفة المهدي عليه السلام فقال اني أريد ان أزوجه امرأة مؤدبة
 مهذبة حسنة التربية حسنة الخلق متديتة متورعة وهي احدي نسائي فقلت له
 يا سيدي اني متزوج فقال أليس لك زوجة واحدة فقلت بلى فقال وما المانع من
 ان يكون لك ثلاث زوجات أو أربع فقلت لا مانع سوى أني فقير مدقع وليس
 لي كسب يماوتني على القيام بواجبات زوجتين فقال لا تلتفت الى ذلك لان الله
 متكفل بارزاق العباد ثم قال لي ما قولك قلت انا لا أرغب عما يختاره لي مولاي
 فقال بارك الله لك فيها ثم قال لي لا تخبر أحدا بشيء من هذا الحديث ثم
 تركني ودخل منزله فتسكأ الناس على يسألوني فكنت أصرفهم بالجمالة

وأقول لهم لم يقل لي الخليفة شيئاً تخشى منيته
وبعد بضعة أيام استدعاني التمايشي الي داره فوجدته جالسا ومعه
القاضي احمد على وقاضيان آخران وبعد ان قبلت يده أمرني بالجلوس
فجلست على الارض بجانب هؤلاء الثلاثة ثم قال لاحد غلماناه أحضر الطعام
فجاء بقصعة مملوءة بخبر الذرة ادامها من الطبيخ الذي يصنع من البامية
الجففة (الويكة) وعلى وجه القصعة خمس قطع من اللحم يبلغ وزن القطعة
منهار طلا فتناول التمايشي قطعة منها وقال خذ هذه يا فوزي ثم دفع لكل
واحد من القضاة الثلاثة قطعة واطي لنفسه قطعة فامسكت قطعتي بيدي
اليمنى ونهشت جزءاً منها فوجدتها غير ناضجة وعلمت انها من لحم الابل
فامسكتها بيدي اليسرى واخذت أكل بيدي اليمين ولما فرغنا من الاكل وجدت
ملايسي ملوثة بالطبيخ فصاح بي التمايشي ماهذه القطعة التي تحملها يا فوزي
فقلت له اني اكلت منها كفايتي واريد ان حمل الباقي الي آل بيتي ليتبركوا بقطعة
اللحم التي صنعت في بيت مولاي وناولني اياها بيده الشريفة فتبسم والتفت الي
القضاة وقال لهم لا ريب ان فوزي صار من خيرة انصار المهدي وانه نبذ
الرفاهية ولم يلتفت الي شيء من الدنيا والتفت اليّ وبلغ في الثناء عليّ ثم
تناول من القضاة ما بأيديهم من قطع اللحم وضماها الي قطعتي وناولني الاربع
قطع وقال اذهب بها الي آل بيتك فحملتها بي جبتي وخرجت من الدار
حتى اذا صرت في طريق خالية من المارين طرحت اللحم من جبتي على الارض
وذهبت الي منزلي واخبرتهم بما اتفق لي فاخذوا الجبة وغسلوها ومكثت
حتى جفت اذ لم يكن لي غيرها ثم لبستها وذهبت الي المسجد
وكان للتمايشي منزل في الجهة الجنوبية لام درمان عند حصن الحكومة

القديم فركب اليه ذات يوم بعد الظهر واستدعاني بعد وصوله اليه فقال اني
 ذاهب الي معسكر خارج المدينة وقد أمرت الخليفة على حلو بمباشرة عقد
 زواجك بالمرأة التي أخبرتك بامرها وقد أمرت الخصيان ان يتقواها الى
 دارك في هذه الليلة فشكرته ودعوت له وبعد غروب الشمس أرسل الخليفة
 على حلو خصيا الى داخل الحرم ليسأل المرأة عن توكله فمادقائلاله انت وكيلها
 وكنت انتظر ان تجري صينة العقد طبق الشرع فلم يفعل الخليفة على شيئا غير
 انه رفع يديه وقرأ فاتحة الكتاب ثم قال لي بارك الله لك فيها وانصرف فدهشت
 لهذا العقد الذي لم يكن فيه ايجاب ولا قبول ولا ذكر للمهر ألبتة ثم قال لي احد
 الخصيان أرسل حمالين لحمل متاع السيدة فاحضرت عشرة حمالين ليحملوا
 متاعها ولما اخرجوه اذا هو عبارة عن (عقرب) وحصير من الخوص (برش)
 وصندوق من الخشب فيه ملاءتان من القماش فتعجبت من هذا المتاع وانصرفت
 مع حمال واحد حمله وقصدنا منزلي

على اني أقول اني كنت خائفا من هذه الزوجة حاسبا لها الف حساب اذا
 كنت أظن انها ستكون عينا للخليفة في بيتي ورفقيا على أعمال في داخل منزلي
 ولذا امرت آل منزلي باخراج الدخان الذي أستعمله سرا في منزلي وايداعه بمنزل
 احد أصدقائي وبعد هنية جاءت العروس راكبة على حمار التمايشي يحيط
 بها خصيان وبعد دخولها في الدار استدعيت اربعة من جيراني المصريين وقدرنا
 المهر وجدنا عقد النكاح بما يطابق الشرع الشريف سرا

وقد اتفق ان منزلي كان في تلك الليلة خلوا من الطعام فقدم لي احد جيراني
 المصريين أطباقا مملوءة اداما وخبزا من الذرة فقدمته للخصيين فامتنعوا من
 الاكل حيث كانوا يريدان عطية من الدراهم التي لم أكن املك منها شيئا اعطيها اياه

فقاما وشماني وقال (يا ولد الريف) اسم ان هذه السيدة كانت حرم خليفة المهدي فافتح عينيك هكذا وحلقا بأصبعيهما الابهام والسبابة اشارة الى الريال فكنت أجابوهما بانني عارف بذلك ومقدر هذه النعمة حق قدرها وأخيراً انصرفا غاضبين وبعد نصف الليل دخلت منزلي كاني أساق الى الموت لشدة ما تولاني من التزع من هذه الزوجة التي مكثت معي بضعة أيام لم أعرف شيئاً من أمرها ومعاملي لها كانت بالحذر الشديد ولم أسألها عن عائلتها ولا عن بلدها

وفي ذات يوم جلست لتناول الطعام معها وكان رديتاً من خبز الذرة وادامه من ورق اللوبيا فرأيت الدموع تتساقط من عينيها فقلت لها ماذا يبكيك ف اشارت الى الطعام قائلة أما ترى هذا الطعام فقلت لها هذا طعام انصار المهدي تخفتها المبرة ورفعت صوتها قائلة لعن الله المهدي وخليفته الظالمين الباغيين أيساهما اللذان هتك عرضي وقتلا أهلي وسلبا نعمتي فاندحشت من كلامها ورفعت هي صوتها بالمويل والنحيب اللذين فتاكبدي فسألتها من هم أهلك وأين كان مقامك فقالت أنا بنت حسن أغا أرناؤد وكان مقامي في الخرطوم فنجبت من ذكرها هذا الاسم لاني اعرف أباهما وانه تركي من قواد الاتراك في الخرطوم استوطن بها وصار من وجهائها وكان له ابن اسمه علي كان موظفاً معي في خط الاستواء بوظيفة سامية فقلت لها ثم ماذا صار فقالت من يوم سقوط الخرطوم الى هذه الساعة مارأيت أهلي ولا أعلم هل هم أحياء أو أموات فداخني الريب في أمرها وظننت انها كاذبة في دعواها حيث انني أعرف والدها وأخاها ومالهما من الوجاهة وأعرف ان من أهلها من هم على قيد الحياة ومن حسن الحظ انهم كانوا يسكنون بالقرب

منا فارسلت اليهم في المال فجاءوا وما وقع نظرم عليها حتى عانقوها وارتفعت أصواتهم بالبكاء والنحيب ثم قصوا عليّ حديثها وأنها أخذت منهم مسية بعد سقوط الخرطوم فلم يقفوا لها على أثر ولم يعلموا إلى أين طوحت بها المقادير وقد قالت هي أنها أخذت إلى بيت الطاغية التعايشي وما زالت فيه حتى أراد الله خلاصها منه وقد رزقت منها بنت وهي في عصمتي إلى الآن

على انني كنت اخاف مستقبلا ربما كان مما يزيد في شقائي ويضاعف على أنواع الدل وعذاب الاسر حيث انه كان لي كما تقدم زوجة غيرها وكنت أخشي ان يتسع نطاق الخلف بينهما بسبب الغيرة فاقع بينهما في شقاء لا يذكر في جانبها ما أنا واقع فيه من شظف العيش وذل الاسر الذي سيأتي وصف كثير من ضروبه ولكن الله من فضله كفاني ما كنت اخشاه اذ صارت زوجتي كأنهما أختان لا أثر للغيرة عندهما ولا هم لها غير تخفيف ويلات حزني وتسليته خاطري من الاكدار التي تساورني فكانتا تقضيان النهار وشرآ من الليل في خياطة بعض الملابس للدرابيش باجرة طفيفه

وقد كانت حالتى الميشية تنتقل من ردى الى أردأ حتى سجت ومع ذلك بقيتا على ما كانتا عليه من الصفاء والوفاق الى أن من الله عليّ بالخروج من السجن الذي سيأتي الكلام عليه في مكانه

ذكر الميرالاي حسن البهنساوي بك

كان الميرالاي حسن البهنساوي بك ميرالاي اللواء المصري الخامس وأصله ضابط مصري قضى من عمره زهاء عشرين سنة في السودان وكان لوائه قائما بحراسة الخندق الجنوبي جهة المكان الذي دخل منه العدو يوم

سقوط المدينة وقد شرحنا كيفية دخوله وان الذين اطلعا المهدي على حورات الخندق هما الصنجان الحائنان عمر ابراهيم والعطا الدود ولم نعلم شيئاً يدعو الى اتهام الميرالاي حسن بك البهناوى بانه تواطأ مع المهدي على ادخال دراويشه من جهة الخندق الجنوبي اذ يستحيل وقوع مثل ذلك من مثل حسن بك البهناوى حيث هو من خلاصة من صدقوا في ولاء الحكومة

وبعد سقوط المدينة وقع حسن بك في الاسر وعذب عذاباً شديداً وصودرت امواله وأخذت بنته مسيبة وقدمها أمين بيت المال للمهدي وكانت له زوجة هي بنت رجل من مشاهير التجار اسمه عبد السلام أصله من مدينة حلب قدم السودان مشتغلاً بالتجارة فآثرى وكنت أنا متزوجاً باختها فاخذنا مسيبتين وماتت زوجتي غماً بعد ايام قلائل مضت بعد أخذها

وقد ذهبت يوماً مع حسن بك البهناوى الى المهدي وكلناه في أمر زوجتنا فامر أحد نوابه بردتينك لزوجتين فشكرناه وانصرفنا من حضرته وما كدنا نخرج من باب الدار حتى ابتدرنا جماعة من الدراويش الذين اغتصبوا هاتين المرأتين بالضرب والاهانة وتوعدونا بما نخشاه اذا عدنا الى الشكوى فانصرفنا واقنعنا النائب باستحالة رد المرأتين ثم ذهب الى المهدي وكله بما جري لنا فلم يكن لكلامه أثر ومكث البهناوى بك في الاسر زهاء سنة ثم فر الى بلاد الحبشة ماشياً على قدميه وما بلغها الا بعد ان نادى بروحه تزهق لشدة ما ناله من المشقة ثم غادر بلاد الحبشة ولحق بمصر وعلى أثر وصوله سمعنا خبراً ادهشنا وهو أن الحكومة اتهمت حسن بك البهناوى بالخيانة وانه ادخل الدراويش مدينة الخرطوم في حين اننا نعلم الحقيقة دون الكثيرين وقد كان الطيب الذكر غردون باشا الى الساعة الاخيرة من

اجتماعنا يقولون ان عورات الخندق لا بد ان يكون المهدي عليها من عمر ابراهيم والعطا الدود وأنهما هما اللذان اطعماه في الهجوم على الخرطوم بعد ان كان يتأهب للتقهقر الى كردفان على اثر ما أصاب دراويشه من الهزيمة والانكسار في واقعة (أبو طليح)

وبعد ان سقطت الخرطوم ووقفنا في الاسر تحققتنا من نفس قواد المهدي ومستشاريه انهم كانوا على وشك الزحف الى كردفان لولم يقيض الله عمر ابراهيم والعطا الدود لاطلاعهم على عورات المدينة. رجلة القول ان حسن بك البهناوى براء من هذه التهمة براءة الذئب من دم ابن يعقوب وقد ظهرت براءته امام المجلس العسكري العالي الذي عقد لمحاکمته وكفى بذلك حجة على ان الذين رموه بالخيانة كانوا ذوي قصد سيء به

وقد يحار الانسان من اقدام الحكومة على محاكمة البهناوي بك مع أنها عاملت كثيرا من الخوان الذين لا يختلف اثنان في صحة ما نسب اليهم من الخيانة بالاعزاز والاكرام حتى أنها قد اغدقت النماء على عمر ابراهيم ولم تترك وسيلة لاسترضائه الا فعلتها وقد أعجز الناس فهم مقاصدها ولم يفسره كثير من السودانيين الا بأنه من كرامات المهدي الذي تكافىء الحكومة الذين صدقوا في ولائه ولقد قال لي واحد من السودانيين انظر الى عمل حكومتكم كيف تصنع الجميل مع الذين ادوا خدما جليلة للمهدي مما يدل على صدق مهديته وكيف عاملتكم انتم الذين بقيتم على ولائها وناوآتم المهدي فأخفني هذا القائل ولم أحر جوابا أقنعه به لانني لم أفتحه كنه مقاصدها فلعلها أقصى نظراً مني

على ان الحكومة التي هدمت قبة المهدي لتقضى على الاعتقاد بهديته

قد أحسنت معاملة جميع الذين والوه ولم تقم ببعض من كل للذين والوها
وبهذا التصرف الغريب مهدت كرامة جديدة للمهدي يتمسك بها السخفاء
الذين يقولون ان جنة المهدي رفعت الي السماء من قبره قبل أن ينبش ببضع
سنوات وسيأتي ذكر ذلك في مكانه

ذكر ما لقيه المؤلف في مقابلته بعض الامراء

من أنواع الذل التي قاسيناها وضروب الاهانة التي كنا نعامل بها من
أتباع المهدي ما أورده هنا

وذلك اني كنت ذات يوم ماشيا مع يوسف منصور في الخرطوم فررنا بمنزل
أحد أتباع المهدي المسمى الحاج خالد العمراي الذي أصله من تجار الابيض
فدعاني يوسف منصور للدخول عليه لاجل زيارته فدخلنا عليه فأثنياه
جالسا على فروة فقام واقفا على قدميه واستقبل يوسف منصور بكل
احتراف وفرش له فروة أيضا أجلسه عليها فتقدمت للسلام عليه فانهزني وقال لي
اجلس هناك وأشار بيده الى أقصى مكان منه فجلست على الارض فجاء
بالقهوة فقدمها الغلام الى يوسف منصور فقال له قدمها لفوزي فقال له الحاج
خالد ولماذا تقدمه على نفسك فقال لانه ضابط عظيم وكان ضابطاً علي ولأنه
عزيز قوم يجب اكرامه فقال كان عزيز قوم كفره وانت سيده وأفضل منه
وهو رقيق بل من يخرج من صلبه من الاولاد أرقاء الى يوم القيامة وانه
كافر يجب على كل مؤمن ومؤمنة اهانتة واحتقاره واطهار كراهيته فقلت له
يا سيدي الحاج خالد اذا كنت كافراً فيما مضى من عمري فقد أسلمت على يد
المهدي فأجابني بالشم وقال بل لا تزال كافراً يحل بيعك واسترقاؤك أنت

وأولادك فقال له يوسف منصور مهلاً ان هذا الكلام غير لائق بك وان المهدي عليه السلام أوصانا بمراعاة الاسرى وعدم كسر خاطرهم واشتد اللجاج بينهما فقامت من بينهما وانصرفت لسبيلي ومن النوادر المضحكة اني كنت يوماً بحضرة محمد بن البصير الحلوي داعية المهدي في (الحلويين) وكان معي أيضاً يوسف منصور فقال ابن البصير إن أصحاب المهدي أفضل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والدليل على ذلك ان نبي الله الحضر شرب من هذه (الركوة) وهي إناء يصنع من الجلد ولم يشرب من ركوة أحد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمنا الى تلك الركوة وقتلناها وضمنناها الى صدورنا ووضعناها على رؤسنا التماساً لبركتها فقلت لاحد الحاضرين هل أنت مصدق بهذه لا كذوبة فالتفت اليّ وقال يزعم التعايشي ان الحضر جاسوس له وهذا يقول انه شرب من ركوته ونحن نقول لها صدقنا مادامنا لا تقدر على تكذيبها ثم قال لي وهل نستطيع تكذيبها لو ادعيا على جبريل أمين الوحي باضفاف ما ادعياه على الحضر فقلت واني لنا القدرة على تكذيبها فقال قبل وضم وضع واسكت والسلام

ذكر نفي عبد القادر بن أم مريوم

ذكرنا ماجري بن عبد القادر بن أم مريوم والمأسوف عليه غردون باشا ولما أفضت خلافة المهديين الى عبد الله التعايشي قرب اليه عبد القادر المذكور وأدخله في مداد النواب الذين يعاونون القاضي في نظر القضايا التي ترفع اليه مع بقائه في وظيفة قائد لرب (الكلاكله) الذين هم أقاربه فازداد نفوذه بين أولئك الاعراب حتي صاروا يحكمونه فيما شجر بينهم

وكانوا يقصدون داره زرافات لهذا الغرض ويقدمون له الهدايا وكانت أخباره
تصل الى التمايشي الذي كان يكره تزلف الناس الى غيره فيغض الطرف عنها
ولا يبدي لعبد القادر شيئاً يكرهه

وفي ذات يوم جاء رجل يحمل البريد للتمايشي من احدي الجهات
فقال له عبد القادر سلمني المظروف الذي باسم التمايشي لاسلمه له فدفعه له
فاخذه وذهب الى المسجد ووضع امامه مما يلي مقصورة التمايشي حتى اذا
فرغ من الصلاة ناوله له فتركه وذهب الى منزله بعد ان قضيت الصلاة فمثر
به احد حراس الخليفة وقرأ عنوانه وسلمه له فاستغرب التمايشي وجود ذلك
المظروف فاستدعى الذي جاء به فاخبره ان عبد القادر بن أم مريوم استلمه منه
ليدفعه اليه فاستاء من ذلك ولم يكاشف عبد القادر بشيء من أمر المظروف
ولكنه أعرض عنه كل الاعراض واقصاه من قربه فعمد عبد القادر الى طريقة
يستجلب بها رضي التمايشي فاشار عليه احد اصداقائه بتقديم ابنته هدية للخليفة
فقدمها له وكانت بارعة في الجمال فنالت حظوة عظيمة عند التمايشي ففرج
من منزله واستدعى عبد القادر واثى عليه و زاد في تقريبه والاحترام به بما أدهش
الناس اذ لم يكونوا عالمين بسبب الجفاء والابعاد الاولين كما انهم كانوا يجهلون
اسباب هذا التقريب الفجائي ولكن ظهرت الحقيقة بعد ايام قلائل وصار
عبد القادر بن أم مريوم أقرب مقربي الخليفة الذي آس هو منه شدة الميل الي
قضاء شهواته من الفتيات الحسنان فاخبره بوجود فتاة جميلة هي بنت رجل من
أهالي (الكلاكة) أقاربه فارسله الى ذويها يطلبها منهم فيمشوا بها اليه فراع
جمالها ولكنه لما اقترب منها وجد خفاضها ليس على طريق خفاض النساء
في السودان فسألها عن سبب ذلك فقالت ان عبد القادر بن أم مريوم أشار

على أهلها ان يعملوا بها هذا العمل فاحتدم التعاشي خيظاً وخرج من غرفته ليلاً وأمر عشرة من رجاله أن يحضروا قطعة من جلد بقر نيء ويقبضوا على عبد القادر ويضمو قطعة الجلد على عينيه ويتركوها عليها حتى تجف وينقلوا يديه ويسافروا به الى الابيض عاصمة كردفان واعطاهم أمرا الى عامل كردفان باستلام عبد القادر منهم وزجه في السجن فذهب الرجال الى منزله ليلاً وهجدوا عليه بصورة مزعجة وساقوه من بين أهله واولاده وانفذوا ما اشار به التعاشي وسافروا به ليلاً قاصدين كردفان واصبح الخبر شائماً في المدينة والناس لا يعلمون اين ذهب به الذين قبضوا عليه وخرج التعاشي علينا لصلاة الظهر والنضب ظاهر على وجهه والشرر يقدح من عينيه وبعد انقضاء الصلاة عاد فدخل الى منزله ولم يتكلم بشيء يختص بابن أم مريوم ولا بغيره ثم لزم السكوت ولم يتكلم بشيء ماعن هذه المسألة وبعد نحو ثمانية عشر شهراً جاء عبد القادر بن أم مريوم الذي ظل في سجن كردفان وعيناه معصوبتان لا يعرف في أي بلد هو ثم بعد ثمانية أشهر أمر التعاشي بازالة الجلد عن عينيه فازبل واكنه مكث اياماً لا تبصر عيناه شيئاً ومكث بعد ذلك نحو عشرة شهور في سجن كردفان ثم اعيد الي ام درمان وأطلق سراحه ولم يمده التعاشي الي سابق قربه

ولما اعاد التعاشي عبد القادر بن أم مريوم اعاده بيئته مزعجة حيث بلغت اظفاره منتهي الطول وشعر رأسه ولحيته يكاد يستر جسمه وكان مسجوناً في غرفة ليس فيها غير نافذة صغيرة يناولونه الماء والخبز منها ومن أمان ظالمًا سلط عليه



ذكر قصتي المرأتين

المرأتان هما حمزة عبد المولى صابون أمير الجماهيرية وشقيق حمدان أبي عنجة.
وقصة الاولى هي انها كانت امرأة أحد صنّاجق الشايقية ولها منه بنت ذات
جمال بارع أخذها المهديون سبية فأعطاهم التمايشي اميد المولى صابون الذي
تغالي في حبها وأقبل عليها وترك نساءه ولم يلتفت اليهن

وفي سنة ١٣٠٥ أصيب عبد المولى صابون بداء الجدّام ولزم الفراش
فجزع التمايشي عليه اذ كان يحبه وأخذ يتردد على داره ليموده فأغتم نساؤه
فرصة وجود التمايشي عنده للايقاع بالمرأة التي حازت منزلة عند سيدها اكثر
منهن حيث تركن كما قلنا ولم يلتفت اليهن فاجتمعن وقلبن للتمايشي ان مرض
عبد المولى صابون مسبب من كثرة أعمال السحر والشعوذة التي عملها له المرأة
الشايقية للاستئثار بحبته فصدقن التمايشي لانه كان يعتقد السحر والشعوذة
ويخاف على نفسه كثيراً منها فسأل المرأة فانكرت وقالت انها لا تخرج من
دارها وأنى لها بالدجالين والمشعوذين الذين يعملون هذه الاعمال فلم يصدقها
وعزم على القبض عليها فالح عليه زوجها وتضرع له ان يتركها فقبل له ان
انها هي التي تذهب الى خارج الدار وتروح الى الدجالين فاستنطقها فانكرت
وقالت له انني لم أصنع شيئاً من الاسحار والشعوذة البتة فقال لها ولماذا
أصيب عبد المولى بهذا المرض اليس ذلك نتيجة أعمالك السحرية وأمر بقطع
يدها فقطعت وتوفيت بعد بضع ليال

ولشدة جبن التمايشي خاف على نفسه من مثل ما أصيب به عبد المولى
معتقدا ان ذلك المرض لا يحدث الا من الشعوذة والاسحار وكانت له حمزة من

أهل دارفور بنتها من نساته الأول وقد رزقت منه بولد وكان يمنع أقارب نساته من رؤيتهن حتى ان المرأة كانت تظل عامين أو ثلاثة لا يؤذن لها بالدخول في بيته لرؤية بنتها وكان خصيان التمايشي يعضون هذه المرأة ويكرمونها نظرا لاحفادها أولاد التمايشي ولذا كانوا يدخلونها خلسة لرؤية بنتها وفي ذات يوم رآها التمايشي لابسة تمام كألوف عادة نساء السودان اللواتي يلبسن أحجية كبيرة فامر بالقبض عليها وتمزق أحجيتها التي جعل يتأمل فيها كأنه يقرأ ما فيها بادية عليه علامات الدهشة والاستغراب وبعد أن أمر بسجنها نفاها الى خط الاستواء فماتت جوعا في الطريق وعاقب الخصيان أشد العقاب وقطع يد الذي اذن لها منهم في الدخول فتأمل

ذكر رسالة محمد ماهر باشا للمؤلف

كنت قد عرفت محمد ماهر باشا محافظ القاهرة الآن منذ كنا تلميذين في المدارس واتصلت المحبة بيننا من ذلك العهد ولما وليت على مديريات خط الاستواء كان هو وكيلا لبراوت بك الامريكاني الذي كان حاكماً على تلك الاقاليم قبلي. وفي أوائل سنة ١٣٠٦ أمر التمايشي بهدم منزلي ومنازلي جيراني لتوسيع موردة أم درمان فوقعت في حيرة شديدة لما كنت فيه من الاعسار وزيادة علي ذلك انني كرهت المقام بجوار يوسف منصور فعزمت على الاقامة بجوار السوق في حي المسلمين واسكني كنت غير قادر على انفاذ هذا العزم لما كنت فيه من الفقر المدقع وبينما أنا في هذه الشدة طرق باب داري طارق بعد العشاء فسألته عن اسمه فلم يجاوبني فداخنتي الخوف وظننت أنه جاسوس وامتنعت من فتح الباب له

وأخيراً خفض صوته وقال لي اني آت اليك برسالة من مصر فطار عني ولم أشك في أنه عين علي فانهرت من داخل الباب وقلت له اذهب أيها الكاذب فاسرع الرجل بالانصراف خوفا علي نفسه أيضاً وبت ليلي وأنا خائف أترقب وفي ضحوة الغد جلست أمام بابي فجاءني رجل بزي التجار المصريين فسلم علي وقال لي اني جئتك البارحة لأدفع لك نقوداً وكتاباً من أخ لك في أصوان فقلت له اني أخاف أن تكون عيناً علي فان كنت صادقاً فأقسم لي علي المصحف الشريف أنك صادق فيا تقول وانك لست بجاسوس خلف لي علي المصحف فاطمأنت وسكن روعي ثم دفع الي كتاباً ففضضت غلافه فرأيت فيه توقيع محمد ماهر باشا فقرأته فاذا فيه السؤال عن صحتي وانه مرسل اليّ بأربعين جنيهاً انكليزياً ورجاني أن أخبره عن كل ما يلزمي ثم دفع اليّ الرسول الأربعة جنيهاً فأحببت مكافأته باعطائه خمسة جنيهاً فلم يقبل وقال لي ان الذي أرجوه منك هو أن تكتب لي كتاباً الي أخيك محمد ماهر محافظ أصوان بانني أسلمت اليك الأربعة جنيهاً تامة لتظهر أماني عنده فوعده بذلك ثم انصرف وعاد اليّ في المساء بهدية من السكر والصابون والبن والملابس فكتبت له الكتاب بما أراد وأودعته ذكر الهدية التي قدمها لي الرجل من نفسه. فجزى الله عنى الشهم الهام محمد ماهر باشا خير الجزاء وبلغه مأموله في الدنيا والآخرة آمين

وعلى اثر ذلك ذهبت الي حيّ المسلمين وبنيت فيه منزلاً انفقته عليه اكثر من مائة رطل فذهب يوسف منصور وأهله بمائة باي كنت في حي المسلمين وطالب منه اخلاءه عن المسؤولية اذا فررت فاستدعاني التماشي وأمرني بالعودة الي جوار يوسف منصور فبعت المنزل بربع قيمته

وعدت الى جوار يوسف المذكور

ومن الحوادث التي اتفقت لي بعد عودتي انه كان لي ابن اسمه محمد ولد بعد سقوط الخرطوم ببضعة شهور وكان عمره وقتئذ ثلاث سنوات وكان يراني اختبئ في قعر بيتي وأدخن السجاير وفي ذات يوم أخذ الورق الذي ألف فيه الدخان وقعد امام المنزل ولف فيه رملا على هيئة السجاير واتفق ان حسن ابن حسين أمير المصريين جاء لزيارتي وكان شديد التعلق بالمهدوية لكنه كان يحب بني جلدته المصريين ويغار عليهم ويدفع عنهم كثيرا من المصائب فخرجت للقاءه فرأى ابني محمدا وبين يديه سجاير الرمل فسأله قائلا ما هذه يا بني فقال له ان أبي يصنع مثل هذه ويشعلها بالنار فيخرج الدخان من انفه وفيه فقطن حسن حسين الكلامه وادرك اني أدخن في منزلي فهالني ذلك وانتهرت ابني فقال لي اذهب الى داخل البيت واتي بالسجاير التي تدخنها فاسكتته حسن حسين والتفت الى يحدرنى من وخامة العاقبة اذا شاع عنى ذلك ولم يثنني منه اقل مكروه لانه كان كما قدمنا مصريا لا يرضى لقومه ان ينالهم سوء من المهدوية بالرغم عن تعلقه بها وبعد انصراف الزائر أمسكت الغلام وأوجعته ضربا كيلا يعود الى مثلها

ذكر مسألة الشيخ محمد عبد الماجد وصلبه

كان في أحد أحياء أم درمان القريبة من سوقها رجل من اهالي مديرية بربر وكان ذا تدين وورع وكان ناقما على المهدوية منكرآكل أعمالها وكان الخليفة كما تقدم قد حذر الناس من الاجتماع لجمعة أو جماعة في غير مسجده وكان الشيخ محمد عبد الماجد ملازما لمنزله منقطعا عن شهود الجمعة مع المهديين

وجماعتهم وكان جيرانه وجلهم مصريون يجتمعون في منزله فيصلي بهم جماعة ثم يعظهم ويبين لهم فساد دعوي الهدوية ومخالفة مدعيها للشرعية الحمديّة الغراء حتى أفتى بوجوب قتال هذه الفئة الضالة فمني خبره الى الثعاشي الذي أرسل اثنين من خاصته حضرا مجلسه وسمعا ما يقوله وعادا اليه فاخبراه به فارسل اليه مائة رجل قبضوا عليه وعلى جارين له احدهما مصرى وطرحوه في السجن وكان الوقت ليلا وفي الندم عقد مجلس اجتمع فيه القضاة كلهم برئاسة الخليفة على حلو وقدم الرجل وجاراه للاستنطاق وكان المجلس هائلا اذ كانت القضاة والرئيس محاطين بألوف من الفرسان والمشاة والسيوف مسلولة على رؤسهم فلم يهب الشيخ محمد عبد الماجد هذا المنظر الهائل بل جلس ثابت الجنان ولما سئل اعترف بكل ما اسند اليه من التهم وسردها معززة بالادلة الشرعية وقال لهم هذا هو الحق واتم في ضلال وأنا أدعوكم الى التوبة والمدول عنه أما صاحباها فانكرا انهما يعرفانه وادعيا ان ليس بينهما وبينه علاقة وهما في ذلك صادقان اذا احدهما لم يكن ساكنا في هذا الحي بل جاء لزيارة الثاني الذي هو تاجر مشغول بتجارته لا علاقة له مع هذا الرجل الذي أخم من في المجلس بادلته حتى احتدم من فيه بالنيظ والحنق عليه فامسروا بالرجل وصاحبيه ان يصلبا فسيقوا يحيط بهم بضمة آلاف رجل حتى قدموا الى المشنقة فصب الشيخ محمد عبد الماجد الذي كان من أمره انه لما اقترب من المشنقة صعد الى الكرسي ساكن الجاش وفاه بكلام يدل على انه آثر الموت دفاعا عن الحق وانتصارا للملة الخنيفية فرحمه الله رحمة واسعة واكرمه بكرامة الشهداء أما صاحباها وهما عبد الحميد حسن ومحمد نور فاعيدا الى السجن وعوقبا من الصلب

ذكر تشييد قبة المهدي

سردنا كثيراً من أعمال التعاشي بعد وفاة سلفه المهدي ولما كان بعضها يدل دلالة صريحة على انه انما كان يظهر اعتقاد دعوي المهدي حرسا على سلطانه الذي ورثه من وراء هذه الدعوى ويدل على ذلك انه صادر أموال أقارب المهدي واضطهد أولاده وصار يحقرهم في مجالسه الخصوصية ويميرهم بانهم دقليون لا يصلحون الا لحراسة الابواب والاشتغال بعينة ملاحه السفن وتداولت الالسن هذه الاقوال وعدها الناس دليلا ساطعا على انه لم يكن مصدقا بالمهدي وانما كان يراى الناس عزم على تشييد قبة على قبر المهدي ليبرهن للناس على عكس ما خالج صدورهم فكلف مهندسا مصريا اسمه اسماعيل افندي فوضع رسما لهذه القبة ذا أربع زوايا يبلغ طول كل زاوية منها سبعة عشر ذراعا وجعل عرض الاساس اكثر من مترين وبمسد رفع البناء نحو خمسة امتار جعلوه مثنائهم مستديرا وفي يوم وضع الاساس اقيم احتفال كبير وذبحت البدن والثيران والحرفان وقدمت الاطعمة للالوف من الحاضرين وامسك التعاشي بيده معمولا وبدأ بحفر الاساس

أما الاحجار فانهم كانوا يجلبونها من انقاض منازل الخرطوم التي كانوا يهدمونها ومن انقاض ديوان الحكمدارية والمديرية والارصفة التي على ضفة نهر المقرن وانقاض ما هدم من الكنيسة الكاثوليكية. وجميع البنائين الذين بنوها مصريون أما الفعلة فهم متطوعون من الدراويش والامراء وكان البنائون يقضون اياما عديدة في العمل ولا يعطون شيئا ما وفي بعض الايام جلس التعاشي وكلم من حوله قائلا ان الذين يباشرون بناء قبة المهدي في الحقيقة هم الملائكة اما الذين

ترونيهم من البنائين والعملة فلا عمل لهم في الحقيقة بل هم متحركون بإرادة الملائكة فقال المهندس اسماعيل أفندي للبنائين أسمعتم ما قاله الخليفة فتألموا بلى فقال لهم ان الخليفة اعتبركم ملائكة في الحقيقة وهذا الاعتبار هو الذي حال دون اعطائكم شيئاً من الاجرة لان الملائكة في غنى عن الطعام والشراب الذين من كان مزهاً عنهما لا يعطي شيئاً من أجرته فضحكوا وتمجّبوا من وقاحة الخليفة وبعد سنة تم تشييد القبة ووضعت في داخلها المصابيح وفرشت بالابسطة وأحيط القبر بمقصورة من النحاس ووضع عليه تابوت من الخشب صنعه نجارون مصريون ووضع على التابوت كسوة من الجوخ وثريرات من الفضة والذهب وصار الناس يقصدونها للزيارة في كل يوم

ذكر المجاعة في سنتي ١٣٠٦ و ١٣٠٧

لما كانت هذه المجاعة قد حلقت السودان كله وكانت أسبابها مختلفة رأينا ان نذكر تأثيرها في كل إقليم على حدة مبتدئين بذكرها في أم درمان فنقول

المجاعة في أم درمان والجزيرة

من عادة أهل الجزيرة انهم يخزنون محصولاتهم من الذرة اتقاء شر المجاعات التي تناب البلاد بسبب انحباس المطر عنهم وقد ذكرنا ان التماشي لما أصدر الاوامر لأهل الجزيرة بمغادرتها وسكني أم درمان عادوا الى بلادهم فوجدوا المخزون من محصولاتهم قد نهبه الجهادية وفي سنة ١٣٠٦ لم تجد السماء عليهم بمطر فانتدب التماشي ابراهيم عدلان أمين بيت المال ومعه عشرة من الامناء ووجههم الى الجزيرة لاغتصاب

ما بأيدي الاهلين من الجيوب وأخيرا أصدر التعاشي أمره بمصادرة
 نصفها وترك النصف الآخر لهم فارتفع ثمن الذرة حتى بلغ ثمن الاردب
 منه أربعين ريالاً مجيدياً أي نحو سبع جنيهات انكليزية واغتال ابراهيم عدلان
 ومن معه من المندوبين عشرة آلاف أردب تقدر قيمتها بأربعمائة الف ريال
 وكانت بلاد المييد الواقعة جنوب الخرطوم قد هطل فيها المطر بكثرة
 فهرع التجار اليها لطلب الغلال منها فأصدر التعاشي أمراً باخذ نصف جميع
 الغلال التي تجلب من خارج أم درمان بسعر ست ريات من الريال المسمي المقبول
 تباع لأقاربه التمايشة الذين تقدم لنا ذكر وصورهم لام درمان فارتفعت الاسعار
 وعز وجود القوات وهلكت أهالي القرى الواقعة جنوب سنار وبادوا حتى
 صرنا ندخل القرية فلا نجد فيها دياراً والناس أموات على أسرة نومهم
 وداخل حجراتهم هم وأولادهم ولم تصب كردفان بشيء من هذا القحط اذ كانوا
 أمطروا بمطر غزير أحيا موات الارض وأبنت الزرع فهرع التجار
 اليها ليجلبوا غلتها كما هرعوا الي بلاد المييد وكاثر ثمن الاردب من دخن كردفان
 لا يتجاوز ريتين ولكن لا توجد جمال للحمل واني توجد وقد قصصنا عليك
 فيما تقدم ما حاق بالابل والقبائل الرحالة فكانت أجرة حمل الاردب من كردفان
 الى أم درمان أخذ نصفه ثم كانت النتيجة صعود الاسعار في (كردفان وفشوده)
 اللتين هرع الناس اليهما لطلب الاقوات منهما واشتدت وطأة المجاعة وتضاعفت
 ويلاتها وزاد الطين بلة فنهى اطباء البشري في ماشية السودان تشيياً مريماً
 حتى هلك جملها وأمير السودان في انحاء السودان كله الأشياء قليلة
 جدا وتضمت أسمار اللحوم والحبوب والاشجار وفي أواخر السنة هطلت الامطار
 فتفاهل الناس خيراً وجادت الارض بمحصول وافر ولكن قبل اوان الحصاد

ببضعة أسابيع نزل الجراد على المحصول قاتهمه ولم يبق منه شيئاً
 ودخلت سنة ١٣٠٧ والمجاعة لا تزال في أم درمان والجزيرة ولكن الاسعار
 هبطت الى النصف حيث بيع الاردب بعشرين ريالاً مجيدياً وليس لذلك من
 سبب غير فناء الناس ويقول الحبيرون ان الذين هلكوا بالمجاعة لا يتحصون
 عن ثلاثة أرباع السكان

المجاعة في اقليم بربر

ذكرنا ما كان من أمر عزل محمد الخير عن بربر وتولية عثمان الديكيم عليها
 وفي أوائل سنة ١٣٠٦ حين بدأ القحط بأم درمان والجزيرة أصدر
 التماسي منشوراً بمنع ارسال الاقوات الى بربر وتوعد من حملها اليها بالقتل ووضع
 حراساً على ضفة النهر لمنع السفن التي تحاول الوصول الى شمال أم درمان
 ثم أصدر أمراً الى عثمان الديكيم حاكم بربر ببث الرجال في انحاء البلاد لاتلاف
 الزرع قبل استوائه قلع الزرع وطوله نحو شبرين وبعد ذلك أمر بقطع
 السبل ومنع أهالي بربر من منادرة ديارهم وخطب على المنبر خطبة عدد
 فيها سيئات الجمليين سكان ذلك الاقليم ولم يترك وصمة الا نسبها اليهم وقال
 انهم اغتالوا المال يوم فتح بربر ولما أرسل لهم المهدي المنشورات وأمرهم برد
 ماغلوهم من الغنائم كادوا يثورون على المهدي ويخرجون عن طاعته وكان
 الانكليز وقتئذ زاحفين على (بربر وابوطليح) ثم أمر أن لا يترك زرع لهؤلاء
 المنافقين وأن يحجر عليهم ليموتوا جوعاً في بلادهم فنفذت اوامره وهلك
 الجليون وماتوا في مضاجع نومهم ولم ينج منهم الا نحو العشر وبلغ ثمن الكية
 من الذرة عشرين ريالاً وفقدت القوت بالكية

المجاعة في دنقلة

اما المجاعة في دنقلة فمن أهم أسبابها انخفاض النيل في تلك المديرية لان ري مزروعاتها مثل ري اطيان صعيد مصر يتوقف على زيادة النيل وزد على ذلك ان المهدوية منذ حلولها في دنقلة حافظت على النفوس وصادرت الاموال وبلغ ثمن الكيلة من الدرّة عشرين ريالاً ولكن ساعد على تخفيف وطأة المجاعة وجود التمر بكثرة في دنقلة من محصولات النخيل

المجاعة في كسلة

ذكرنا ان التعاشي فصل مديرية كسلة عن سلطة عثمان دقنة وولى عليها قريبه حامدين على الذي حكمها بضرامة وصادر أموال قبائلها وقطع السبيل عليهم فهلكت القبائل ونزح اكثرها الى بلاد الحبشة وهلكت قبيلة الهدندوة التي كان عدد نفوسها نحو مليون نسمة . ومما يجب ذكره هنا ان حامدين على أرسل الى التعاشي نحو مائتي ألف ريال عدا الذهب والفضة اللذين سلبها من الاهلين

المجاعة في القصارف

ذكرنا القصارف وخصوبة تربتها وكثرة حاصلاتها ولما تفشت المجاعة في السودان في أوائل سنة ١٣٠٦ لم تكن وطأة القحط شديدة على تلك الجهة وفي بداية سنة ١٣٠٧ زحف الزاكي حامل من القلابات بعد ان تركها حامية لا تتجاوز ألف مقاتل الى القصارف ووزع جنده في القرى فانهبوا ما بيدي الناس من الغلال وجمعها في بيت المال وأمر أن لا يباع الا ردب منها الا بمائتي ريال

فهلك الناس واكلوا الميتة والجلود واكل بعضهم اولادهم وقد حكى لى من كان بالقضارف وقتل ان احدى نساء الامراء توفيت بفتة وكانت ضخمة الجثة فتامر اناس ممن عرفوها ونبشوا قبرها في الليل وقطعوا لحمها وانضجوه في القدور واكلوه قبل ان يسفر المجر وفي الغد وجد القبر منبوشا ففتشوا المنازل فوجدوا فيها لحوم الآدميين وعظامهم مما يدل على ان أهالي القضارف كانوا يقتاتون بلحوم بعضهم ولذلك لم يعرف من نبش قبر تلك المرأة

ولم ينبج من مخالبي المجاعة في القضارف غير أولى اليسار واقصد رأيت في ام درمان رجلا من اهل القضارف متسولا وقد كان راس مال تجارته لا يقل عن مائة الف ريال وكان له نحو الف مملوك يشتغلون بحراثة أراضيه الواسعة فذهب رأس ماله وأراضيه ومماليكه في شراء العلة حتى خرج من تلك السنة لا يملك شروى نقيير. والحاصل ان القضارف لم يبق فيها من السكان اكثر من بضعة آلاف نسوة وهلكت قبيلة (الضباينة) ايضا وهي قبيلة رحالة كبيرة تفوق قبيلة الشكرية التي تقدم ذكر فنائها ماشية ونفوسا

وأما كردفان فقد قلنا ان المطر هطل فيها بكثرة فرويت ارضها ونجت حاصلاتها من الجراد وبالرغم عن ذلك كله وقعت في المجاعة لان التعاشي جمع اكثر من عشرة آلاف فارس من أقاربه وانفذهم اليها فنزلوا القرى ونهبوا ما بأيدي سكانها من الحبوب وذبجوا ماشيتهم فارتفعت أسعار الحبوب وفشت المجاعة في البلاد حتى تجاوز ثمن الارذب عشرين ريالا أما مظالم المهديوية في كردفان فحدث عنها ولا حرج اذ قد تجاوزت حد المعقول وبعد ان كان أهاليها اغني أهالي السودان لان الصمغ وريش النعام من اكثر محصولات بلادهم صاروا في نهاية الفقر المدقع وخربت قري عديدة

وهجرها سكانها ولحقوا بالجبال التي حوالى كردقان وسكنوا بها ليعمدوا عن
المهدويين وظلمهم الفاحش

وأما دارفور فقد اجتاحت الحروب بلادها وفشى القحط فى ارجائها
وخربت بلادها ونزح اكثر سكانها الى الجهات الغربية واستوطنوها ومنهم
من اعتصم بالجبال ولحق بها. والخلاصة ان البلاد السودانية كلها قد عضت
بناب القحط وحل الحراب والدمار محل العمار حتى صارت تلك البلاد كلها
ينطبق عليها قول الشاعر

أمتت خلاء وأمسى أهلها احتلوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد
وليس لذلك من سبب سوى قصد التعايشى حلول هذه المصائب بأهالي
تلك البلاد ليضعفهم ويأمن عاقبة ثورتهم عليه فانه لو لم يرسل الجهادية
ويوعز اليهم بنهب محصولات الجزيرة لما وصل حال المجاعة الى الدرجة التي
وصفناها لان أهالي السودان يمزنون الغلال بكثرة حتى ان الواحد منهم ليخزن
فى السنة ذلة تقوم بقوته عدة سنوات اتقاء شر المجاعات التي تتناهم فى
اكثر السنين وقد علمت ان مجاعة الجزيرة لم تصل الى الحد الذي تقدم لنا
ذكره الا بعد ان صودرت غلات أهلها ومجاعات بربر لم يقصد بها التعايشى
غير هلاك أهلها وكذلك مجاعتا كسلة والقضارف قد علمت أسبابهما وكل
ذلك لم يقصد به التعايشى الا اضعاف الاهلين فانه لما أحس بامتعضهم منه
وخشى عاقبة ثورتهم عليه لم يغير سياسته العوجاء التي أوجبت امتعضهم
منه بل عمد الى اهلاكهم وفنائهم ليصبح آمناً على مركزه ويبيت مطمئناً على
ملكه فصار مثله مثل اليوم يسر بالخراب اكثر من العمران
وتقل لى ثقة أن احد مقربي التعايشى قال له يوما ان الكلب اذا جاع

لزم سيده فقال له التمايشي ان قتل الكلب ومحو اثره من الارض خير من اجاعته وكان قصده ذلك المقرب من كلامه أن يصادر التمايشي غلات رعاياه فتكون نتيجة ذلك الجوع فاجابه بان موتهم خير من هذه الطريقة
 أما ما اصاب المؤلف من هذه المجاعة فانه يفوق الوصف فن ذلك أني ذهبت يوما الى دور البقارة لالتقاط الجيوب المبعثرة حول اسطبلات الخيول وبعد ان جمعت نحو مدين منها جاءني اعرابي فاخذه مني فيشت من الحياة وكدت أهلك انا واولادي لو لم تصل اليّ تقود رسالة من صديقي الوفي محمد ماهر باشا محافظ مصر الآن اذ بها امكتني أن اتخلص من مخالب المجاعة الاولى حتى دخلت سنة ١٣٠٧ وهبطت أسمار القوت الى النصف والذين استطاعوا الخروج من هذه السنة من أولي اليسار لم يخرجوا الاقراء لا يملكون شروى تقير أما الفقراء فقد ماتوا رحمة الله عليهم

وقد ملك التمايشي كثيرا من اقاربه البقارة الاراضى التي مات اهلها في سني المجاعة فانطلقت ايديهم في البلاد بالسلب والنهب وما بقي في ايدي الاهلين من مواد الحياة اصبح عرضة لبعث البقارة ومع ذلك كله كانوا ناقلين عليه غير راضين باحكامه حتى أنهم كانوا يحنون الى ديارهم ويودون العودة اليها

ذكر فرار الغزالي وقتله

الغزالي بن احمد خوف زعيم قبيلة التمايشه وكان ذا ثروة واسعة من الماشية ونفوذ عظيم في قبيلته وكان فارسا صنديدا تهابه القبائل وتتي بأسه الاعداء

ولما استقدم التعاشي قبيلة التعاشة ليشدها عضده وعد زعيصها
الغزالي بان يجعله وزيره وبذلك تمكن من استمالته
وكان الغزالي بعد وصوله أم درمان يستنجر التعاشي الوعد فلا يجد منه
غير الماطلة والتسويق وكان من سياسة التعاشي ان يسند الوظائف الى
ضعفاء البقارة وزعائنهم ممن تؤمن فائلته لا الى من يكون فارسا قوى الشكيمة
مثل الغزالي خوفا من استمالته الناس بقوته وحزمه

ولما يش الغزالي من نيل ما تروق نفسه اليه من الرئاسة وشاهد مظالم
التعاشي وسوء تصرفه ووطن عزمه على الفرار من أم درمان والحق ببلاد
التعاشة في دارفور حيث يلحق بالذين تخلفوا عن مرافقته الى أم درمان من
قبيلته وكان يظن ان اكثر قومه الذين جاؤا معه يرافقونه ولا يتقاعدون عنه
ولكن خاب ظنه ولم يتبعه الا أحد مواليه وابن أخته قتادر الثلاثة أم درمان في
أول الليل وساروا متجهين الى جهة الغرب وفي الغد نمي خبرهم الى عبد الله
التعاشي فامر نحو سبعمائة رجل ان يتأثروهم وبعد مسيرة بضعة ليال ادركوهم في
الطريق وقد بلغوا جهة يقال لها (كجمر) بالقرب من بلاد كردفان الشمالية
فوقف الغزالي وقفه من لا يحسب للذوت حسابا وأطلق على رجال التعاشي
النيران من بندقيته حتى طرأ عليها خلل أوقف متابعة الاطلاق فامتشق
حسامه حتى أحاطت به الخيل وقتلوه وحملوا رأسه الى التعاشي اما رفيقاه
فقد وقعا أسيرين وقفل القوم راجعين الى أم درمان ، وقد ساء وقع هذه
الفاجمة في قلوب التعاشة واشتد حنقهم على عبد الله التعاشي وسيأتي ذكر
شيء من نتائج هذه المسألة

هذا وقد تقدم لنا ان نحو النصف من قبيلة التعاشة كرهوا ان يرجعوا

الي أم درمان فمادروا ديارهم ولحقوا ببلاد (وداي) ولولم يفتر النزالي
بسراب وعود التعاشي ويجب دعوته لما جاء الى أم درمان أحد من قبيلة التعاشي
التي كان يجيشها شوّما وويل على البلاد وعلى كل حال فان النزالي ذهب كما ذهب
غيره من الذين ساعدوا المهديّة وعاونوا المهدي وخليفته على المظالم ولا غرو
فن أمان ظلماً سلط عليه

وكان يعقوب شقيق التعاشي يضمير السوء للنزالي ويخاف على مركزه
منه لزمامته على قبيلة التعاشية ولذا سعى بينه وبين أخيه التعاشي حتى أوقع
الفتنة بينهما لينام مطمئناً في منصبه الذي كان حريصاً على بقائه فيه

ذكر صلب ابراهيم عدلان امين بيت المال

ذكرنا ما كان من أمر عزل أحمد سليمان أمين بيت المال واسناد منصبه الى
ابراهيم عدلان الذي كان صنيعته وأحد اعوانه في بيت المال
ولما مات المهدي وظهر ما يضره التعاشي لأحمد سليمان مال ابراهيم
عدلان عنه وصار يشي به عند التعاشي حتى بواه منصبه وقربه منه وصيره
من قوى شوراه فاستخدم هذا المنصب وجمع بسببه أموالاً طائلة وقد أشرنا
الى ما اغتاله من الغلال في سنة المجاعة الاولى والحاصل انه أصبح ذاتروة
كبيرة تصد بمئات الالوف وتمكن الفرور منه حتى صار ينازع يعقوب
في النفوذ ويسمى به عند أخيه التعاشي الذي كان يندش من جرأته
ويخفي تأثره من وقاحته التي دفعت الى منازعة أخيه وقد رأيت ابراهيم المذكور
جالساً بحضرة يعقوب غير مكترث به ولا جاث على ركبتيه كما يفعله
الدرأويش

وصار ابراهيم المذكور ذانفوذ عظيم وشاد لنفسه داراً واسعة ملائها بالمحظيات من الثمات الحسان وجمع حوله عدداً كبيراً من الثلمان وتغالي في اظهار الابهة وتمادي في الفرور حتى حسده القريب والبعيدوا كثروا من السماية به عند التمايشى وكان يعقوب في طليمة أولئك الواشين

وفي أواخر سنة ١٣٠٥ قبض عليه التمايشى وزجه في السجن وصادر ما ظهر من أمواله حيث لم يبتد الى جميعها ثم اطلقه وأعاده الى منصبه وفي جمادى الثانية سنة ١٣٠٦ نفذت الاقوات التى كان ابراهيم عدلان صادرها من أهالى الجزيرة كما ذكرناه فيما تقدم ثم دخلت سنة ١٣٠٧ وقد اتهم الجراد محصولات البلاد قبل زمن الحصاد وقل ورود الغلة الى أم درمان حيث لم يجد الجبأة محصولاً جديداً يأخذونه لبيت المال وهلك الناس من مجاعة السنة الماضية ولم يبق غير أولي الثروة الذين نفذ معظم ثروتهم ولم يبق لديهم من المحصول غير تليل من الذرة استبقوه لقوتهم وأصبح التمايشى عاجزاً عن تقديم الاقوات الى أقاربه البقارة فعزم على مصادرة ثلاثة ارباع مابقى من الغلال في ايدي أهل الجزيرة فاستدعي ابراهيم عدلان وعرض عليه انفاذ هذا الامر فامتنع من قبوله وقال للتمايشى ان مابقى بايدي الاهلين لا يقوم بمحتاجهم وان مصادرة هذا القدر منهم ضربة قاضية على من في الجزيرة من السكان فاجابه هكذا أمرت وعليك ان تسافر بنفسك لانفاذ هذا الامر فامتنع وغانر أم درمان وأقام بالجزيرة زهاء ثلاثة أشهر فتكت في خلالها المجاعة فتكا ذريماً بالبنارة وظل التمايشى ينتظر من وقت لآخر مجيء الاقوات من ابراهيم عدلان الذي لم يوافه بشئ، ما وأخيراً عاد الى أم درمان وطقق يخبر التمايشى بما استعقب المجاعة من تدمير البلاد وهلاك

السكان ظنا منه ان هذه الاقوال تكون اعظم شفيح له لدي التمايشي الذي كان لا يجمل صدق قوله ولكنه لما كان يقصد خراب البلاد وهلاك سكانها أظهر تكذيبه واستدعى القضاة فاستنطقوا ابراهيم عدلان عن سبب عدم ارساله الغلال من الجزيرة فاعتذر لهم بما تقدم فاستدعى التمايشي رجلا اسمه (أحمد السني) من عمال بيت المال فتعهد له باءضار الغلال من الجزيرة فزوده بالاوامر وذهب اليها وبعد ايام قلائل أرسل له السفن مملوءة بالغلال. ويحيىء فيما بعد ذكر بقية أخبار أحمد السني وما آل اليه أمره من الرئاسة على الجزيرة كلها ولا يعزب عن القاريء انه قام بانفاذ رغبة التمايشي حيث صادر ما بقى بيد الاهلين من اسباب الحياة. على ان امتناع ابراهيم عدلان من انفاذ ما أراد التمايشي عاد بفائدة هي قرب موسم الزراعة حيث كان ما بيد الناس من الغلال يقوم ببعض ضرورياتهم ريثما يجيء زمن هطول الامطار ثم ان التمايشي قبض على ابراهيم وكبله بالحديد وفي العند شكل مجلسا لمحاكمته تحت رئاسة الخليفة على حلوه فحكم عليه بالاعدام شنقا ونفذ ذلك الحكم بعد ساعتين من صدوره

وابراهيم عدلان هذا أصله من قبيلة حقيرة في الجزيرة اسمها (الحوالدة) وأمه من قبيلة تسكن (ولد مدني) يقال لها (المدنيين) وكان يتجر في كردفان بأموال بعض تجار الاسرائيليين المصريين ثم لحق بالهندي حينما حاصر الابيض ومن ثم اصطنعه احمد سليمان أمين بيت المال ووكل اليه بيع الارقاء والماشية التي لبيت المال ثم جوزي كما جوزي سمار وسيأتي ان أحمد السني سعي بابراهيم عدلان عند التمايشي فكان من أمره ما كان

ذكر بقية اخبار ابراهيم عدلان ومسألة مصادرة العاج

لما ألقى التعايشي القبض على ابراهيم عدلان انتدب الزاكي عثمان البقاري واحمد دى أحد كتبه لمراجعة دفاتر بيت المال وابداء رأيهم في أعماله فقبضوا على كاتب أسرار ابراهيم عدلان وأودعوه السجن وقتشوا بيته فوجدوا ضمن أوراقه ورقة فيها رسم من نوع الرسوم التي يسميها جماعة المشعوذين (الاوفاق) أو (الحواتم) مكتوبا فيها « الملك عبد الله) أي التعايشي وفيها أيضا اسم ابراهيم عدلان فاستنتجوا من ذلك ان تلك الورقة صنعت لاستمالة قلب التعايشي لمحبة ابراهيم عدلان فعرضت تلك الورقة ضمن أوجه الاتهام التي اتهم بها ابراهيم المذكور فقال قضاة الجمل والظلم ما يأتي « ان تسمية الخليفة بالملك تدل على ان فاعلها غير مصدق بالمهدية ومن كان كذلك فهو كافر ودمه هدر وماله وأولاده غنيمه للمسلمين »

ومنذ استوات المهدوية على أقاليم بحر الفزال وخط الاستواء صار عملها يجلبون لها العاج وفي آخر عهد ابراهيم عدلان جاءت ارسالية من العاج فاصدر التعايشي أمراً ببيعها من التجار الذين أذن لهم بحملها الى سواكن لبيعها هناك فتلاعب ابراهيم عدلان في تقدير قيمتها حتى انه كان يبيعها للتجار بنصفها ويشركهم في الربح وأثبت كاتب أسراره انه أعطى أحد أولئك التجار أربعة آلاف ريال وكتب صكاً بينهما على أن يكون رأس المال ديناً على التاجر والارباح مناصفة بينهما فاشترى التاجر بالاربعة آلاف ريال عاجا من بيت المال تقدر قيمته الحقيقية بثمانية آلاف ريال فعقد التعايشي مجلسا من القضاة وقال لهم انه لم يذن لابراهيم عدلان في بيع العاج وقد باعه وأنفق

ثمنه في مصارف بيت المال العامة مع ان العاج فيء والتقيء من نصيبه الخاص به واستدعى أعوان بيت المال ووبخهم على ما فعله رئيسهم ابراهيم عدلان فلم يكن منهم غير الاستغفار والتضرع بطلب العفو وهم لا يجهلون ان الأمر ببيع العاج هو التعايشي وفي بيت المال الأمر الصادر منه ببيعه ثم أفتى القضاة بإبطال بيع العاج وجواز مصادرتة من التجار فأرسل مندوبين خلفهم الى سواكن أخذوا مابأيدي التجار من العاج قبل أن يتصرفوا فيه وكتب التعايشي يدفع العاج المصادر الى تاجر سواكني اسمه (عمر كشه) ليبيعه بمعرفة ويشتري منه بعض أدوات كياوية تحتاج لها معامل الخرطوش وبلغت قيمة ما صودر من العاج أربعمئة ألف ريال مجيدي وبقداً أكثر من أربعمئة تاجر رأس مالهم وصاروا في حالة يرثى لها ولم يبق لديهم نفقة عودتهم من سواكن الى أوطانهم

وأكثر التعايشي من البحث والتنقيب على ثروة ابراهيم عدلان فلم يعثر على شيء منها والمرجح انه غيب أمواله في جوف الارض ولا يعرف موضعها غيره وستكون نصيب من يخدمه الحظ فيقتنم تلك الحبيثة التي تقدر بمئات الألوف من الذهب

وخلف ابراهيم عدلان في وظيفة أمانة بيت المال النور ابراهيم الجريفاوى الذي كان أمين بيت مال بربر وقد ذكرنا فيما مضى طرفاً من سيرته وأعماله

ذكر حادثة العبادة وإبعادهم

العبادة قبيلة تسكن حوالي مدينة أصوان وهي تنقسم الى بطنين (المشاباب) و (المليكاب) وهؤلاء أقل عدداً من الاولين وقوام معيشتهم

الماشية كسائر الاعراب ولكن بسبب عدم خصب البلاد التي
يسكنونها لا تقوم الماشية بميشتهم قياما يصرف وجهتهم عن غيرها من
سبل الارتزاق

ولما افتتح المغفور له محمد علي باشا السودان اشتغل رجال قبيلة المبايدة بمهنة
تسيير القوافل التجارية والحربية في طريق الصحراء بين (كروسكو وأبو محمد)
وبالرغم عن قلة عدد المليكاب وكثرة سواد المشاباب استأثر المليكاب بالزعامة
على القوافل التي تسيير بين مصر والسودان وبالعكس ونبع منهم رجال احرزوا
الشهرة والنباهة في الازمان التي تقدمت ولاية ساكن الجنان محمد علي باشا
على الديار المصرية

ولما قامت ثورة المهديونية في السودان كان حسن ابو خليفة بن اخي حسين
باشا خليفة قابضا على رئاسة تسيير القوافل بين مصر والسودان فانضم الى
المهديين وكتب له المهدي أمرا بالرئاسة على قبيلة المبايدة والدعوة له حوالى
مديرية اصوان وشهد بعض الوقائع التي انهزم فيها دعاة المهدي في اقليم دنقلة
وسبب استبداد المليكاب بالرئاسة على القوافل دون المشاباب تولدت
بينهم العداوة واستحكمت الاحنة في صدورهم ونالوا من دماء بعضهم ما زاد
الطين بلة والطنبور نفمة واستمرت العداوة بين تينك البطينين وتوارثها
الحلف عن السلف

وقبض كثير من المشاباب على وظائف بريد التعايشي وبعض وظائف
بيت المال فاشتدت المناظرة بينهم وبين المليكاب الذين ولي التعايشي رئيسهم
حسن ابا خليفة الامارة عليهم ووكل اليهم رئاسة القوافل أيضا وجعلهم مرابطين
في (آبار المرات) بين كروسكو وأبو محمد

واستخدمت الحرية أيضا عدداً ليس بقليل من رجال العبادة ليجولوا في الصحاري وناطت بعضهم مهنة التجسس للحكومة وصار آخرون منهم تجسسون للتعايشي فاستحکم النوربين المليكاب والعشباب وصار جواسيس الحكومة من العشباب يسعون عند الحكومة بجواسيس المهدوية ويلحقون بهم المصائب اذا كانوا من المليكاب أما اذا كانوا من العشباب فلا يتعرضون لهم وربما اعانوم على قضاء أوطارهم وبمثل هذه المعاملة يامل المليكاب جواسيس المهدوية فينكفون بالعشباب ويتركون أقاربهم

ولبت العشباب والمليكاب يحاربون بعضهم في دائرتي نفوذ الحكومة والتعايشي وينكفون بعضهم أشد النكال وفي سنة ١٣٠٦ قويت حظوة محمد بشير كرار أحد العشباب عند التعايشي حتى جعله قائداً لدابته يأخذ بخطامها في المواكب واتفق ان الحكومة ارسلت صالح بن حسين خليفة الى ابن عمه حسن خليفة للمخابرة فنزل عليه ضيفاً في (آبار المرات) ثم قفل راجعاً الى اصوان فتمى خبره الى التعايشي فاستشاذ غيظاً وكانت وشايات قائد دابته قد تمكنت من قلبه وكتب جمع من الامراء الذين في بربر والمرابطين في أبو حمد الى التعايشي يتهمون حسن خليفة بالحياة والميل لجانب الحكومة فاستقدمه التعايشي الى أم درمان فلما قدمها قبض عليه فيها وسجنه وأصدر أيضاً أمراً بالقبض على سائر أفراد قبيلة المليكاب من ذكر وانثى وكان معظمهم يسكن حوالى بربر فقبض عليهم وصودرت أموالهم وسيقوا الى أم درمان يرسفون في القيود والاغلال وسيدت نساؤهم وهم يلبثون بضعة آلاف

وتوفى محمد خليفة والد حسن خليفة غماً مما أصاب ابنه وقومه وكان

شيخا كبيرا وفي أوائل سنة ١٣٠٧ هـ حلوا الى منغام في خط الاستواء على السفن الشراعية بغير زاد فمات النساء والاطفال جوعا وهلكت الرجال أيضا وعلى أثر ذلك خلا الجو للمشاباب واستأثروا بمنافع دولة التعايشي وانتقموا من اعدائهم شر انتقام وقطع دابر المليكاب من السودان فسبحان من يغير ولا يتغير

ذكر غارة العبابدة على ابو حمد وقتل سليمان نعمان قمر
ذكرنا ما كان من أمر المجاعة التي فشت في السودان وقد خلت الحدود من المرابطين فيها وقتل وجود المقاومة حتى صار عدد الموجودين بام درمان من المقاومة لا يزيد على ثلاثة آلاف مقاتل وبات التعايشي خائفاً يترقب تقدم الجنود المصرية لمناجزته حيث لا يجدون من يدافع عن البلاد أقل دفاع

وزيادة على ذلك ان التعايشي أيقن بانحراف الناس عنه وميلهم لجانب الحكومة على أثر ما أرهقهم به من المظالم والمغارم قلنا ان الحكومة وكلت حراسة (آبار المرات) الى صالح بن حسين خليفة الذي هاله ما أتاه الخليفة مع ابن عمه حسن أبي خليفة وقومه المليكاب فجمع نحو مائتي راكب من قبيلته وأغار بهم على معسكر (أبو حمد) وانتشبت الحرب بينه وبين من فيه من الدراويش ومعهم سليمان بن نعمان قمر قاتل الكولونيل ستيوارت فاقتحم سليمان صفوف العبابدة وقاتل حتى سقط قتيلاً بينهم فحزوا رأسه واحتملوها

وكانت الحكومة نشرت نشرة فخاها ان من يأتيها برأس

سليمان هذا فله جائزة عظيمة ثم أُلقي امر هذه الجائزة قبل قتله ورجع
 المغيرون من العبادة بعد ان قتل منهم وقتل من اعدائهم فكوفي صالح
 خليفة رئيسهم على قتل سليمان نعمان براتب خمسين جنيها شهريا وقد كان
 أثر هذه الحادثة على التعايشي سيئا حيث وقع في روعه ان الحكومة تنوى
 التقدم لتفتح السودان واستبدل الناس على ذلك بأنه خرج بعد ان قرأ
 بريد (أبو حمد) فصلى بالناس صلاة العصر ست ركعات ثم سجد للسهو فعرف
 الناس ارتباكهم اذ كانت عادته ان يسهر في الصلاة اذا فوجيء بنبأ يفزعهم
 ثم هدأ روعه بعد ايام حيث علم انها غارة بسيطة ليس وراءها فتح

ذكر موت الحاج علي سعد

الحاج علي سعد من قبيلة الجعليين وكان وضيعاً خامل الذكر ذا مهنة ذليلة
 ولما دخلت دعوة المهديّة في بربر رفع محمد الخير منزلته حتى صيره أميراً
 على سكان القرى الواقعة جنوب نهر (اتبره) ثم كان من أمره مع محمد الخير
 أمير بربر ما تقدم لنا ذكر طرف منه حيث سمى بمحمد الخير عند التعايشي
 على أمل أن يخلفه في امارة بربر وقد وعدّه التعايشي بالوصول الى غايته
 وقضاء لباته فبالغ في توجيه اللطاعن الى محمد الخير فعزله التعايشي وولي
 بدله أحد أقاربه البقارة وقلب ظهر المحن لعلّي سعد ثم أمره باحصاء عدد المقاتلة
 الذين تحت امرته فبلغوا سبعة آلاف مقاتل فأمره بأن يصحبهم الى دنقلة
 في أوائل سنة ١٣٠٦ لينضموا مع ابن النجومي فنادر علي سعد بربر ولحق
 بابن النجومي في دنقلة فأحصى من معه من المقاتلة فاذا هم ستمائة مقاتل فقط
 فكتب ابن النجومي الى التعايشي يخبره بأن مقاتلة علي سعد ستمائة رجل فقط

لا سبعة آلاف كما قال قاستاء التمايشي وأضرر السوء لعل سعد الذي يش من
 نيل أمانة بربر وامتعض من التمايشي واخيه يعقوب الذي خدعه
 وأغراه علي الطمن في محمد الخير توصلا الي عزله واقصائه عن الامارة وأطمعه
 في تبوي ذلك المنصب ثم لم يرمه وفاة بل قلب له ظهر المجن

وفي أوائل سنة ١٣٠٧ استقدم التمايشي علي سعد من دنقلة وقدم
 له غذاء وضع فيه مادة سمية فما كاد يفرغ من تناوله حتى أحس
 بانحراف شديد فلزم داره وتوفي بعد ليال قليلة بعد أن ظهرت عليه
 اعراض التسمم

وخلقه في وظيفته أخوه عبدالله سعد الذي خرج علي التمايشي قبل فتح
 أم درمان فقتله الامير محمود في من قتله ويحيى ذكر ذلك فيما يلي والله الامر
 من قبل ومن بعد

ذكر موت عثمان آدم وتولية محمود احمد بدله
 ذكرنا ما كان من أمر عثمان آدم أمير دارفور وكيف جمع جيشاً جراراً
 هاجم به دارفور واستولي عليها بعد ثورة اهل سلطنها القديمة ثم ما كان من أمر
 ظهوره علي (أبو جيزه)

ولما فرغ عثمان من أمر أبو جيزه عم الدمار بلاد دارفور حيث اباد
 القحط البعض والبعض الآخر هجروا بلادهم ولحقوا بالبلاد التي في الغرب
 وكانت لم تخضع للمهدين مثل بلاد (أبو ريشه) وبلاد (وداي) وغيرها
 وأخذ عثمان يوالي الفارة على سكان الجبال ليتحصل على نفقات جنده حيث
 صارت البلاد خراباً لا تقوم ببعض نفقات واقوات أولئك المقاتلة فتحصل

على شيء كثير من الاقوات والماشية ثم وجه عزيمته الى بلاد الغرب لفتح بلاد (مسلات) وبلاد (أوريشه) وهما مملكتان واقمتان بين (برقو ودارفور) فظفر ببعض قرى في تخوم تلك البلاد وقصد التوغل لفتح البلاد كلها حتى يقف عند حدود (برقو) فأصيب بحمي خبيثة وقضى نحبه بعد ثلاث ليال فاحتمله جنده وتقهقروا به راجعين الى دارفور وأخفوا وفاته على العامة واقاموا وكيله محمد بشاره مقامه وارسلوا بنيه الى التعايشي الذي وقع عليه هذا الخبر وقع الصاعقة وسالت الدموع من عينيه لانه كان يحبه ويعتقد فيه الكفاءة في دفع الملهمات ومقدراً نجاحه في دارفور حتى قدره

وبعد ايام يسيرة من وصول نبي عثمان آدم أعلن التعايشي نبأ تعيين ابن عمه محمود أحمد بدله

وعلى ذكر محمود هذا نأتى هنا على ترجمته تيمناً للفائدة فنقول. انه ابن أحمد دى عم التعايشي وكان مولده ببلاد التعايشة بجهة (الكلكه) وقد رأيناه بعد سقوط الخرطوم مع والده وكان عمره اذ ذاك لا يتجاوز خمسة عشر عاماً ووجهه مشوه بآثار الجدري والمتربة ظاهرة على اطواره البالية لا يأنف من مديد السؤال الى أولى اليسار من الامراء والوجوه حتى وصلت خلافة المهدي وبين الى ابن عمه التعايشي. والحاصل ان المترجم كان مثل سائر أقاربه في الغاية القصوى من الفاقة وشظف العيش وأهالي السودان الاوسط يحتقرون سائر البقارة الذين هم في الدرجة القصوى من الهمجية والبسداوة الوحشية ولعنهم مع كونها شبه صرية تكاد تكون غير مفهومة. وبالجملة ان المترجم كان بقارياً في جميع أخلاقه وأطواره ولكنه ما لبث بعد ان صار قريبه التعايشي ذا سلطان على السودان حتى غير أخلاقه وعوائده وتشبه بأهل السودان

الأوسط واسترسل كعثمان ابن التعايشي في الدطارة وانهمك في حضور ليالي الرقص والغناء التي ذكرنا بعض اوصافها وتغالي في حب المومسات وجمع حوله عددا ليس بقليل من المختلين المتشبهين بالنساء وله أخ اسمه ابراهيم الخليل حذا حذوه وسار على وتيرته

وقبيل توليته توفي والده وكان فيما يزعمون بارعا في معرفة علم الرمل ومعرفة البخت مثل ابن أخيه عبد الله التعايشي الذي كان خيرا بهذا الفن والحاصل ان ترجمة محمود أحمد لا تختلف كثيرا عن ترجمة عثمان ابن التعايشي وفي أوائل سنة ١٣٠٨ خرج التعايشي لتشجيع محمود وسار معه أيضا مندوبون من القضاة ليعلموا أمر توليته ويأمروا القواد بطاعته

ولما وصل الي دارفور امتعض القواد منه لانهما كاه في الشهوات وعكوفه على المعاصي والدنات وظهر لرؤسياه الفرق بينه وبين سلفه الذي كان على نهج كبار المهديين

والحاصل انه قبض على زمام دارفور وبقي بها حتى شغب الدنقلبون أقارب المهدي على التعايشي وتحفز الاهلون كلهم للثورة عليه فاستدعاه من دارفور الي أم درمان بجيشه وسيأتي ذكر ذلك في مكانه

ذكر صفة معيشة التعايشي

كان التعايشي قبل ان يفضى اليه الملك مثل سائر بني جلده البقارة في الدرجة القصوى من الحشونة والبدادة لا يعرف شيأ من ضروب التنم في الاحوال المعيشية على طريقة المترفين من أهالي السودان الاوسط التي هي وان كانت عوائد بربرية غير مألوفة الا أنها تعد مدنية بالنسبة لحشونة البقارة

الذين لا يعرفون من أنواع الاطعمة غير المصيدة وادام (المندجية) الذي سبق لنا تعريفه ولحوم الصيد

وقد كان التعاشي حريقاً في هذه العوائد وكان يتطيب بكبريت العاود ذي الرائحة الكريهة التي تنقبض النفس من شها وكان احسن الطيب عنده وهذا بخلاف اهالي السودان الاوسط فانهم يتطيون بمطور الصندل والمحب وغيرها من انواع الطيب التي يتخذها المصريون وبنفرون من رائحتها والحاصل أن عوائد التعاشي وقومه تباين عوائد اهالي السودان الاوسط وتختلف عنها اختلافاً كبيراً وهي كما قلنا في منتهي الحشونة والبداوة

وكان قبل افشاء الخلافة اليه نحيف الجسم مقوس الظهر كأنه شيخ هرم طويل الوجه غائر الصدغين المنتشر بهما آثار الجدري وكان يلبس مرقمة بالية ممزقة يظهر جسده من خلال خروقتها ويتمم على قلنسوة من (الدمور)

ولم يلبث بعد ذلك حتى نبذ عوائده كلها ولبس المرقعات النظيفة وتشبه بالمهدي في ملابسه واخذ يتطيب بعطر المحلب والصندل وصار يأكل الاطعمة المصرية التي كان يقوم باقتانها نسوة مصريات من أهل الخرطوم وجمع عنده نحو مائة وعشرين امرأة من أجمل نساء السودان وضخمت جثته وتغيرت سحنة وجهه حتى انه يخيل للناظر اليه انه شخص آخر غير التعاشي ولكن لم تمض عليه ثلاث سنوات حتى تنقص عيشه بما اعتراه من ضعف أعضاء تناسله وخمود شهوته فاستدعى طبيباً مصرياً اسمه حسن زكي من أطباء الحكومة السابقين وتاجرين اسم أحدهما محمد طه الشامي واسم الثاني بندليه اليوناني وشكاهم ما انتابه من الضعف وفقدان الشهوة وسألهم ان

يبحثوا له عن الاشياء التي تقوي الباه وأكد عليهم في الكتمان فذهبوا وبعد
 المداولة قر رأيهم على ان يحضروا له شيأ من العنبر مضافا على نوع الحشيشة
 المطبوخة المسماة (قراوش) فقصدوا محل رجل كان يبيع الحشيشة سرا اسمه
 بكتاش أغا وأدوا بالتقدر الكافي ثم طبخوه مع العنبر ووضعوه في حق
 وذهبوا الى دار النعاشي الذي فتمته رائحة العنبر فأمرهم ان يأكلوا منه
 بحضرة خشية ان يكونوا قد دسوا له فيه السم فاكلوا منه فشكرهم واجاز
 كل واحد منهم بمشربيات وأكثروا من أكل هذا النوع حتى نفذ فأمرهم
 بتجهيز غيره وصار ذلك عادة له لا يقدر على تركها

ذكر حادثة البطاحين

البطاحين قبيلة بدوية تسكن شرق النيل الازرق غرب صحراء (بره)
 وماشيتها من النعم والبقر وبمض الابل ورجالها مشهورون بالشجاعة والاقدام
 مع قلة عددهم وكلهم لصوص وقطاع طرق ولا توجد عصاة سطو أوجمية
 سلب في سائر انحاء السودان الا من البطاحين وقد أمسكت الحكومة
 كثيرا منهم قبل المهدوية وعاقتهم على ما كانوا يأتونه من قتل النفوس
 ونهب الاموال

ولما ظهرت دعوة المهدوية كانت قبيلة البطاحين في مقدمة القبائل
 التي مالت اليها طمعا في النهب والسلب اللذين هما دينها. ولحق بالمهدي
 في جبال (قدر) أحد رجال هذه القبيلة المدعو عثمان بن أحمد وكان
 من حفظة القرآن وهو كقومه البطاحين الذين جيلوا على الفساد وسفك

الدماء وكان ذا دهاء تمكن به من الظهور بمظهر الزهادة والتفاني في حب
 المهدوية والاخلاص لها فجعله المهدي نائبا من النواب الموكل اليهم النظر في
 القضايا الكلية فاستخدم هذه الوظيفة في سبيل اطلاق يد قومه البطاحين
 في النهب والسلب ووقف وظيفته لدرأ كل عقوبة يراد عقابهم بها على ما يرتكبونه
 من جنائيات السطو والقتل وقطع الطرق فانطلقت ايديهم في النهب
 والسلب بلا خوف من طائلة عقاب حيث صار قريتهم نائبا من نواب
 المهدوية ومقربا من مقربي التمايشي وارتفعت الشكوى منهم الى التمايشي
 الذي كان مع ظلمه لا يرضى بجولان يد في العبث والفساد غير يده وايدي
 قومه البقارة فكتب الى قبيلة البطاحين يأمرها بمغادرة ديارها واللحاق بان
 النجمي في دنقلة وذلك في سنة ١٣٠٥ فسافر منهم نحو الف رجل واختفى
 الباقون في قفار بلادهم وصحاريها حتى كانت سنة ١٣٠٦ وفشت المجاعة
 في السودان

وفي اواخر هذه السنة ازدادت مفاسد البطاحين وانتشروا في بلاد
 شرق النيل وقطعوا الطرق على القوافل التجارية والسابلة التي تجتاز الصحراء
 بين النيل الازرق ونهر (اتبره) وحدود الحبشة وأبادوا عدة قوافل بعد ما نهبوا
 وسلطوا على أكثر القبائل النازلة في انحاء تلك الصحراء وكلما رفع الحجب عليهم
 شكواهم وأحبلوا على القضاء الذي من اكبر رجاله قريتهم عثمان السالف الذكر
 خرجوا ظافرين بريئين

وفي ذات يوم جلس التمايشي في محرابه وحوله القضاة والنواب فقال
 لهم لقد طني البطاحون وزادت شرورهم ومفاسدكم فأجابهم عثمان النائب بقوله
 يامولاي انهم تركوا السطو وقطع الطرق منذ بايعوا المهدي ونصروا دعوته

فقال له التمايشي كلاً بل أخبرني الحضر عليه السلام انهم لم يتركوا شيئاً مما كانوا فيه بل زادوا جرأة واقداماً على السطو وقطع الطرق فسكت عثمان واذعن لقول التمايشي

وفي أوائل سنة ١٣٠٧ انفذ بهم التمايشي رسولا اسمه ابن جابر النبي فذهب الى حيهيم وقرأ عليهم أمراً من التمايشي بمغادرة بلادهم واللاحاق برباط دثقه فقابلوا الرسول بالضرب والاهانة وهموا بقتله وألقوا به وبمن معه جروحاً خفيفة ففر من وجوههم وقفل راجعاً الى أم درمان فلقى التمايشي خارجاً من داره لصلاة المغرب فأخبره بما أصابه فأمر في الحال باعداد نحو عشرة آلاف مقاتل بين فرسان وجهادية مسلحين بالبنادق وان يغادروا أم درمان بعد صلاة العشاء تحت قيادة قريبه عبد الباقي عبد الوكيل

وبعد صلاة العشاء ركب التمايشي والابواق حرله قاصدا ضفة النهر لتوديع الجيش وتزويد القائد بالوصايا التي يعمل بها وما انتصف الليل حتى اجتاز الجيش كله النيل على البواخر والسفن وتابع مسيره في الصحراء الى المساء وبعد ثلاث ليال داهم حى البطاحين في الفلج وأمطرهم النيران الحامية فسقط منهم نحو ألفي قتيل وسبق الباقون أسرى بنسائهم وأطفالهم ونهبت ماشيتهم كلها وجرى نحو ثلاثة آلاف أسير منهم الى أم درمان عدا الصبيان والنساء فاختر التمايشي مائة وخمسين رجلاً من أعيانهم ومشايخهم وأصدر أمراً بجلب خمسين منهم في ميدان السوق وضرب أعناق خمسين أيضاً وقطع أيدي وأرجل الخمسين الآخرين

وركب التمايشي في طهر ثاني يوم ووصلهم الى ميدان السوق وشهد انفاذ هذه الاحكام المظيعة ومات أكثر الذين قطعت أيديهم وأرجلهم ونجا

الذين أدركتهم فيرة أولي الشفقة فصبوا على جراحهم الزيت المحمي بالنار
لقطع نزيف الدم وقد قال التعاشي وقتئذ لمن حوله اتى لم أفعل ذلك إلا بأذن
من النبي صلى الله عليه وسلم والخضر والمهدي فانهم أمروني بالامس بهذا
العسل فقال رجل من الناقله وهو نوتى ان صدقنا انهم أمروا بالصلب وضرب
الاعناق وقطع الايدي والارجل فهل نصدق انهم أمروا باخذ النساء الحسنات
ونكاحهن كموطآت بملك اليمين فسمعه بمض الحاضرين وأبلغ التعاشي مقالته
فأمر بأحاله على المحاكمة حيث ادعى عليه أنه لمن أبا المهدي حكم القضاة بضرب
عنقه فضربت في اليوم التالي في محل استعراض الجيش
وأخذت نساء البطاحين مسيات ووزعن على البقارة والقواد وامتلات
أم درمان بالمتسولين منهم وكانوا كما قدمنا من أشد القبائل تشيماً للمهدي وبعث
شدوا أزرها فانتقم الله منهم بيدها ومن أعان ظالماً سلط عليه
وبيعت ماشيتهم التي جلها من الضأن والبقر في أم درمان فهبطت اثمان
الماشية حتى بلغ ثمن الرأس من الضأن نصف ريال

شان محمد خالد زقل بعد ذلك

فكرنا ما كان من حوادث محمد خالد زقل في دارفور وما وقع له مع
حمدان أبي عنجه الي سجنه بام درمان بضعة شهور وخروجه من السجن حيث
أمره التعاشي بملازمة الصلوات الخمس في المسجد معه وكان زقل هذا ذا دهاء
شديد فأخذ يتظاهر بولاء التعاشي ومحبه حتى خدعه ما يتظاهر به الي أن
دخلت سنة ١٣٠٦ وكثرت الاختلافات بين عثمان دقنه وأبي قرجة الذي
تولى على شرق السودان بدله

ولما استعظمت تلك الاختلافات انفذ التعايشي الشيخ الطاهر بن المجذوب
ومعه محمد خالد زقل الى السودان الشرقي ليفصلا بين المختلفين فتوفي الشيخ
الطاهر في (طوكر) وقفل محمد خالد زقل واجعا الى ام درمان ومعه عثمان دقنة
ثم عزل التعايشي أبا قرجة واعاد عثمان دقنة الى الامارة ثم ولي محمد خالد
زقل على دنقلة زهاء ستة حتى دس له يعقوب أخو التعايشي الدسائس
وكان في دنقلة أميران من البقارة هما مساعد قيوم الذي تقدم لنا ذكره
مع ابن النجومي وكان قائد المقاتلة من البقارة وعربي دفع الله وكان قائد الجهادية
المسلحين بالبنادق

وعربي هذا كان خادما عند محمد خالد زقل تربي في منزله بدارفور
ولما عين زقل أميراً على دنقلة وصار عربي تحت إمرته حفظ لزقل
حق التربية فكان يتواضع أمامه ويجلس متأدبا بمحضته ولم يكن
في الحسبان ان ينقلب حالها ويتبدل صفاؤها بالعداوة لولا مادسه يعقوب
أخو التعايشي لعربي حتى دفعه الى السبي بزقل عند التعايشي . وفي ذات يوم
جمع عربي رجاله وكانوا زهاء الفين وأحاط بهم منزل زقل ومنعه
من الخروج فانقسم جيش دنقلة فريقين فريقاً ينتصر لزقل والآخر
يظاهر عربي عليه وهذا مؤلف من الجهادية والبقارة وذلك من
الداقلة والجليلين وكان قد وصل في غضون هذه الحوادث أحد أعداد
جريدة مصرية فيه نبأ يشير الى أن زقل أمير دنقلة اتفق مع الحكومة
على ان يسلمها دنقلة بغير مقاومة وأن الحكومة الحديوية وعدته
بالمكافأة الحسنه فلم يبق ريب لدي التعايشي في صحة الخبر وخشى ان يكون
زقل قد قرر ذلك مع من معه من القواد فانفذ اليه يونس الدكيم ومعه أمر

بانه عينه خادما يحمل نعل محمد خالد زقل فادرك سر المسألة وكتب الى التعايشي
 يستأذنه في القدوم عليه ويسأله ان يعين من ينوب عنه في دنقلة فاجابه بتعيين
 يونس نائباً عنه وأمره بالقدوم عليه فاستقبله بالأكرام وبعد أيام يسيرة عقد
 مجلساً لمحاكمته لما جاء في الجريدة المصرية فحكم المجلس بإعدامه ولكن
 التعايشي أوقف التنفيذ وأمر بسجنه ومصادرة أمواله ووضع في رجليه من
 القيود ما أثقله حتى عجز عن المشي ونهبت أمواله ونفى في السجن بضع سنوات
 ثم نفي الى خط الاستواء في مستهل سنة ١٣١١

وكان زقل شديد البغض للمصريين مع انه كان موظفاً أميرياً بدارفور
 كما قدمنا وحائزاً للرتبة الثالثة ولما استولى على دارفور ارسل الى المغفور له الخديو
 توفيق باشا كتاباً ينصحه فيه بالتسليم للمهدوية واستهل كتابه بمقدمة مملوءة
 بالوقاحة والسفاهة والمطاعن الشخصية التي يتجافى البراع عن رقها. ولما ولي على
 دنقلة أرسل له كتاباً آخر لا يختلف عن الكتاب الاول مملواً بالثالب والمطاعن
 وقد اتصل بنا ونحن نبين هذه السطور ان محمد خالد زقل فر من منفاه بخط
 الاستواء بعد هزيمة التعايشي بأمدرمان ولحق بمملكة (برقو) فأمسكه سلطانها
 كأسير ولم يفلته حتى الآن ويقول المعارفون بمادات تلك البلاد انهم
 لا يسمحون لغريب ذهب الى ديارهم ان يعود من حيث جاء مخافة ان يكون جاسوساً
 يجوس خلال الديار ويعود منها مزوداً بالاسرار ومهما يكن من الحال فان زقل
 لم يتمتع بلذة الحكم على بلاد دارفور التي استخلصها من جنود الحكومة بالصفة
 التي تقدم لنا ذكرها الا زهاء سنتين كانت منبتهما السجن ونهب ما جمعه من
 الاموال في خلالها ولا غرابة في ذلك فهكذا كانت معاملة المهدوية لكل من
 أخطأ والله الامر من قبل ومن بعد

ذكر استخراج الرصاص والنحاس

والكحل من معادن حفرة النحاس

تقدم لنا ان الطيب الذكر غردون باشا افتتح جهة (حفرة النحاس)
الملوثة بمعادن النحاس وشرع في استخراج النحاس منها ثم أهمل خلقه أمر
هذه الحفرة ولم يحفل باستخراج النحاس منها حتى دخلت بلاد دارفور في
حوزة المهدوية

وفي سنة ١٣٠٧ أنفذ التعايشي أناسا الى تلك الجهة فاستخرجوا شيئا
كثيرا من الرصاص والنحاس والكحل فاستخدم الرصاص في تعبئة الخرطوش
بعد ان حبطت مساعيه التي بذلها في استخراج هذا الصنف بسبب الغش
الذي قطعت يد ورجل المقدم عمر الجملي من أجله
وصنع من النحاس ظروف الخرطوش ثم لم يعد لاستخراج شيء
من هذه الاصناف بعد ان حصل على كفايته منها

ذكر بنات الجمليين

الجمليين اسم قبيلة تقدم لنا تعريفها في حوادث بربر
وفي أوائل سنة ١٣٠٨ أنفذ التعايشي رجلا اسمه محمد وهي بن حسين
اداي المشهور بالرئيس وكان من موظفي الحكومة في بربر الى قرى الجمليين
الواقعة بين بربر وأم درمان على احدى البواخر ليأخذ كل حسان من بنات
الجمليين ويحملها على الباخرة ويأتيه بها فمكث بضعة شهور متجولا في شواطئ
تلك القرى بباخرته ثم عاد بها وهي مكتظة بالنساء الحسان وجلهن عذاري
وسمعت من أحدها عن ان التعايشي كان يأمر بنزع ثيابهن عنهن لدى وصولهن

اليه فكانت الواحدة منهن تدخل عليه في حجرته وهي عارية كيوم ولدتها أمها
وبعد ان ينم نظره فيها وهي مقبلة بأمرها ان تدبر ثم يدينها منه فاذا أعجبه
أبقاها في داره موطوءة بملك اليمين وان لم تعجبه أمر باخراجها واهدائها
لاحد أقاربه البقارة

أما دخول النساء عليه وهن عاريات فكان لا يقصد به التمتع بالنظر اليهن فقط
بل كان يخاف ان يحملن تحت ثيابهن سلاحاً أو مادة سامة وهو يعامل كل نسائه
بهذه المعاملة الا من يثق بامانتها وقل ان ياتمن واحدة منهن

ذكر انسحاب الجيش من القلابات

تقدم لنا ذكر ما كان من أمر محاربة الدراويش والاحباش الي قتل
النجاشي يوحنا

ويقولون ان النجاشي منليك الذي خلف يوحنا في سلطنة الحبشة
عقد مهادنة مع الدراويش على ان يكفوا عن حربه والتمسدي على حدوده
لانه لم ينب عنه ان المملكة الحبشية مشتغلة بدفع غارة الايطاليين عليها من جهات
(أسمره) وفتحها بابا للحرب مع الدراويش يضاعف مشغوليتها ويزيد خسارتها
فداهن الدراويش بل صاقاهم على انه كان موقناً بان سوء تصرفات سلفه
هي التي فتحت على المملكة هذا الباب الذي كانت في غنى عنه لكي تنفرغ
لوقوف امام المنيرين على بلادها من الفاتحين الايطاليين

والتعاشي لم ينشر شيئاً يدل على وقوع هذه المهادنة الا ان قرائن الاحوال
تدل عليها لان بعض مصادر الاخبار تؤكد ان غارة الدراويش على الاحباش
لا تخلو من يد للايطاليين في تديرها . وفي نفس الوقت الذي كان منليك

يستعد فيها لمناجزة الايطاليين في الواقعة الاخيرة بينهما كانت جيوش
الدراويش أيضاً تحف من جهة أخرى لمهاجمة مراكز الايطاليين مما يدل على ان
الدراويش كانوا أولاً على وفاق مع الايطاليين ضد الاحباش ثم انعكس الحال
فصاروا مع هؤلاء على أولئك

والحاصل ان التماشي بعد أن ملأ القلابات خيلاً ورجالاً ونال جنده
من الاحباش ما نالوه من الظفر حصن القلابات بسور من الحجارة وأصدر
أمراً الى الزاكي طمل قائد الجيش ان يترك القلابات ويوكل حراستها الى الف
رجل تحت إمرة أحمد علي البقاري فصدم الزاكي بالامر وغادر القلابات
وعسكر في القضارف وارهق أهلها نهياً وصادر غلاتهم بالكيفية التي ذكرناها
في الكلام على القحط الواقع في القضارف

وفي أواخر سنة ١٣٠٧ قدم الزاكي طمل على التماشي ودفع له مائة
وثمانين الف ريال وقناطير مقنطرة من الذهب والفضة فأمره بالمودة
الى القضارف وأخذ الالهبة لاخترق الجزيرة والنفارة على بلاد (الشلك)
باقليم فشودة

ذكر غارة الزاكي طمل على الشلك

الشلك اسم لقبيلة من العبيد تسكن اقليم فشودة وهم حفاة عراة يلبس
الاغنياء والمعلماء منهم قطعة من خرقة تستر أوصاف أنفادهم فإذا جلس احدهم
طوي الخرقة ووضعها على كتفيه وبقيت عورته بلاستر
أما النساء فيأتررن بفرقة من الجلد اذا كن متزوجات أما اللاتي لم
يتزوجن فبن عاريات كيوم ولدتهن أمهاتهن وهؤلاء النسوة يحلقن شعر

رؤسهن مما يزيد في تقييح مناظرهن وتشويه خلقهن والرجال يسبلون شعورهم
ويدهنونها بالمواد القروية كالصمغ ويمسكون منها شكلا يخاله الراى من بعد
قبع الاغرنج

وهم خلف لا يعرفون الختان ان يزعمون ان الختان هو كسر أربعة أسنان
من اسنان الرجل أو المرأة من الفك الاسفل ليتمكن احدهم من اخراج
اللسان بغير أن يقف شيء في طريقه

ويزين الرجال نحورهم وأذرعهم بكثير من الخرز وأجراس النحاس
الصغيرة وقطع العماج وزينة المرأة شيء من الودع والخرز على خصرها وعلى
كل حال تربو زينة الرجل وحليته على زينة المرأة وحليها والرجال مع استئثارهم
بالنصيب الاكبر من الزينة على ما ذكرنا تراهم مع سواد بشرتهم طوال القامات
حسان الوجوه مفتولى السواعد يبدو على وجوههم العجب والزهو ويحملون
بأيديهم الاسلحة من المزاريق والحراب ولا يعرفون هم ولا نساءهم لبس
نعل أو حذاء

ودياتهم وثنية همجية لهم صنم من الخشب اسمه (النيكامه) يتمطيش
التون وأما (الكجور) فهو كمال ديني يرجعون الى مشورته في أمور الدنيا
والدين والطب وهو إن صح مانسعه من قومه عنه لا يخلو من معرفة شيء
من علم النجوم والانواء علما نظريا لانه كثيرا ما يخبرهم بأخبار المطر وغيره
قبل الحصول

ومما يدل على ذلك ان وظيفة الكجور لا تكون الا وراثية من
الاسلاف للاعقاب وبالجملة ان الكجور عند الشك أشبه شيء بالكاهن
والعراف في عهد الجاهلية

وأغذيتهم من لحوم الصيد ولبن الماشية والبوظة المسكرة وما شئتهم من
الغنم والبقر كثيرة جداً وهم يقدسون الفحل من البقر ويلتقون على قرنيه
الاجراس والخرز وسائر أنواع الزينة ويسمونه (مجوك) ويخرجونه في الحفلات
والمواسم حيث يكون موضع احترام الجميع

وإذا خرجوا يستسقون المطر يخرجون الفحل أمامهم متوسلين به
والحاصل أن (مجوك) عند الشك يشبه العجل (أيس) عند قدماء المصريين
وعادة الزواج عندهم أن الرجل يتزوج بما شاء من النساء بمعنى أنه يتزوج
ما شاء من النساء بغير قيد ولا حد

ومهر الزواج لا يقل عن ستين رأساً من البقر للمتوسطة من النساء ومائة
لاهل الطبقة العالية ولا يجزون أن يكون المهر أقل من أربعين رأساً من البقر
والمرحى لا قارب الزوجه يأخذ أبواها القسم الأكبر منه ويوزع الباقي على
أقاربها من جهة الأب والام وهؤلاء ينالهم أكثر مما ينال أولئك

وإذا توفي الزوج خلفه أكبر أنجاله على جميع نساؤه عدا أمه والأولاد الذين
يولدون له منهم يعتبرهم إخوته لأنه يرى نفسه نائباً عن والده واسم (مريم)
علم لجنس النساء كما أن اسم (ثور) علم لجنس الرجال كلهم وتخضع قبيلة الشلك
كلها إلى ملك يسمونه (الملك) وحكمه نافذ فيهم وطاعتهم له عمياء وهم يعتبرونه
متمسكاً بسلطته من معبودهم (النيكامه) كما كان قدماء المصريين
يمتقدون شبه هذا الاعتقاد في فراعنتهم

وهذا الملك عاري الجسم مثلهم ولا يدنو منه أحد إلا بعد أن ينحني
ويزحف على ركبتيه ولا يرفع أحد عينه إليه بل يظلون جلوساً كأن الطير على
رؤسهم ويجلس حوالبه الشيوخ والكجور فإذا عقدت جلسة لمحاكمة جلس

الملك وبين يديه أنواع السلاح كلها وإنما يعاقبون بالقتل وعند نهاية الجلسة يتناول الملك نوعاً من السلاح الذي بين يديه يومئذ به نحو الجاني وينصرف فينمذ الحاضرون المقوبة عليه بنوع السلاح الذي أرمأه

ومن دأبهم مع ما هم فيه من التوحش والهمجية حيث لا فرق بينهم وبين الانعام المحافظة على الآداب حتى يظن الانسان أنهم في نهاية التسدين فلا توجد بينهم فاحشة ألبتة والزاني والزانية لا عقاب لهما الا القتل

ومما زاد في إعجابي بأولئك الاقوام ان المرأة منهم في نهاية الحرية تختلط مع الرجال وتجالسهم وهي محترمة عندهم كاحترامها عند الافرنج ومن عوائدهم ان الرجل اذا انتصب ذكره وهو جالس مع غيره عوقب بالقتل في الحال مع أنهم يجلسون عراة والنساء معهم

ومنازلهم اكواخ مستديرة واعاليها مستطيلة كالتبة والنظافة متوفرة فيها حتى ان أرض منازلهم مرصوفة بشيء من الحجارة يخالها الناظر لأول نظرة رخاماً وفي كل قرية مكان كبير يحرقون فيه روث البقر حتى يصير رماداً ينامون عليه ويترفون فيه

ويذسلون وجوههم ببول البقر ويتمضمضون به ويضعونه في اللبن والسمن وياكلون الميتة والدم ولا يذبحون الماشية الا اذا اشرفت على الهلاك فيئذ يذبحونها بقصد الحصول على الدم اذ هو احسن غذاء عندهم وفي بعض الاحايين يحرقون البقر في شرايينها ويتزفون الدم في آنية ثم يضمدون الجرح ويربطونه حتى يندمل

ولهم مهارة غريبة في اقتناص الضواري كالقيل والسبع والنمر وبقر الوحش والزرافة وسائر أنواع الوحوش . ولندكر هنا طريقة صيد

القبيل وبقر الوحش وهي ان يجتمع اثنا عشر رجلا منهم بيد كل واحد منهم
 حربة طويلة ويقترّبون من الفيل أو بقر الوحش ثم ينفرد واحد منهم دون
 رفاقه فيقطع ما يريدون صيده في اقتراسه ويتجه نحو مطاردته فيثب عليه الباقرن
 ويطنونه بحراهم في دبره قبل ان يتمكن من اقتراس رفيقهم لان الطعن
 لا يؤثر في بقية جسمه لئلاسه جلده وصلابته. أما صيد بقية الوحوش فانه دون
 هذا في العناء وللملك نصيب من كل ما يصطاده الافراد فاذا كان من نوع القبيل
 فله المايج وأطايب اللحم أما النزلان فانهم يقدمون له أحسن نصيب من لحمها
 ومهارتهم في صيد دواب الماء تكاد تفوق تفننهم في صيد وحوش القلاة
 وذلك انه يوجد في بلادهم فرس البحر بكثرة والتساح والاسماك الكبيرة الى
 يزيد طولها عن مترين ولحم زوارق صغيرة مصنوعة من الخشب ومن
 العجب انهم يربطونها بالخيوط فقط اذ لا مسامير من الحديد عندهم والزوارق
 المذكورة محكمة الصنع متساوية الاطراف يركبونها ويحملون بايديهم
 مزاريق صغيرة رؤسها كالصنارة يقدفون بها الاسماك في عمق الماء فلا تعود
 بغير مصيد ويندر أن يخطئ المزارق وصيد التساح يقرب من هذه
 الطريقة. أما طريقة صيد فرس البحر فهي انهم يربطون حبلًا متينًا في أسفل
 حربة رأسها كالصنارة وفي آخر الحبل حزمة من نوع خشب اسمه (العبيج)
 يشبه (الفلين) في خفة طاقوه من وجهه الى وجهه يربطون به صناديق
 بعد غروب الشمس حتى تخرج نيران البحر ثم يتشاشون في وقت تلي
 الضيقة فيرمونها بالحربة في دبرها فتولى عنهم وتعود الى اليم وقد
 غاصت الحربة في دبرها والحبل والعبيج خلفها وبعد أيام تلائل يتعفن الجرح
 فيجتمع الصيادون في زوارقهم الصغيرة ويمسكون الحبل ويطاردون الفرس

التي تظهر على وجه الماء بعد جذب الحبل فيرشقونها بالسهام حتى يقضى عليها فيقتسمون لحمها بعد اخراج اطاييه للملك ويجففون جلدها الذي يصنع منه السياط المدروفة في مصر

وهم يسكنون الضفة الغربية للنهر ويسكن الضفة الشرقية أمة اسمها (الدينكة) لا تختلف في شيء من العادات عن الشلك الا انهم لم يحرزوا صفات الشجاعة التي للشلك ولا يعرفون صيد البر والبحر مثل الشلك ولا ملك عندهم بل لكل قرية رئيس مطلق ولذلك يضطهدهم الشلك ويغيرون عليهم وينهبون ماشيتهم حتى ان الواحد من الشلك يطارد عشرة من الدينكة الذين لهم صنم من خشب كصنم الشلك يسمونه (دينديت) وعدد نفوس الدينكة يبلغ أضعاف الشلك وبسبب فرقة الدينكة صاروا عرضة لغارة جيرانهم الشلك الذين هم مع ما هم فيه من القوة والذرة تراهم اذلاء امام جيرانهم في الجنوب وهم أمة اسمها (نوير) حيث يوالون الغارة على الشلك وينهبون ماشيتهم مع ان عدد نفوس الشلك يبلغ أربعة أضعاف عدد نوير والحاصل ان نوير آفة الشلك كما ان الشلك آفة الدينكة

وعوائد نوير واخلاقهم مشابهة لعوائد الشلك الا انهم اكثر ثباتا من الشلك واجرا وقت ماتهم أطول منهم

وأرض الشلك والدينكة ونوير خصبة التربة وريها بالامطار التي تهطل غزيرة جداً عندهم غير انهم كسالي لا يحرثون من الارض الا شيئاً قليلاً يقوم بضرورياتهم

وحاصلاتهم الذرة الرفيعة والسسم والدخان الذي يستعمله رجالهم ونساؤهم صفارهم وكبارهم ويمتاز الدينكة عن الشلك بزيادة الحاصلات وكثرة الحرثة

ولما دخلت السودان تحت حوزة مصر لم يلتفت الحكام والولاة الى تنظيم حكومة للجهات الجنوبية على النيل الابيض التي منها فشودة بل كان الشلك وغيرهم من سكان البلاد عرضة لغارة عصابات النخاسين الذين يجلبونهم ارقاء وينهبون حاصلاتهم وماشيتهم

وفي سنة ١٢٨١ اعنى المرحوم موسى باشا حمدي حاكم دار السودان بامر الجهات الجنوبية ونظم حكومة لها فكانت فشودة أول مديرية أسسها وولى عليها القائمقام حلمي بك الذي طرد النخاسين عنها ولكن الشلك قابله بالجفاء ونفروا منه وشهروا عليه الحرب حتى اضطر الى ان يتحصن منهم في نقطة فشودة الواقعة في وسط الاقليم واختارها عاصمة لمديريته وبعد ذلك هادنوه فقدم لهم كثيراً من الهدايا والملابس التي كان يفرغ جهده في اقتناعهم بضرورة لبسها فلم يفلح بل كان كبراؤهم يلبسون بعضها عند قدومهم الى مراكز الحكومة فاذا عادوا الى قراهم خلعوها وبقوا عراة كما كانوا

ولما ولي المرحوم جعفر مظهر باشا حكمه دارية السودان اهتم بشأن مديرية فشودة وبذلت الحكومة الجهد في استئلافهم حتى صاروا يأدون لها بعض ضرائب لا تقوم بعشر معشار نفقات الحامية والادارة

ولدى تولية الطيب الذكر غردون باشا على جهات النيل الابيض أنشأ في فشودة عدة مراكز وشاد معاقل في الجهات الشمالية والجنوبية وكان اذ ذلك ملك الشلك من عائلة اسمها (كيكون) فاخذ ذلك الملك في أسباب التمرد وصار يلبس الثياب ويأكل على الموائد . وقد اهدى له غردون باشا عدة هدايا منحه لقب (بك) فزاد اخلاصاً للحكومة . لا ان قومه امتعضوا منه وذموا مخالفته لعوائدهم وتشبهه بالترك واضمروا له الشر فثاروا على الحكومة عدة

ثورات قتل في احداها يوسف بك حسن المشهور بكرده مدير فشوده
وتقدمت تلك المديرية في مدته تقدما عظيما. ولما ظهر المهدي على جند الحكومة
في جزيرة (آبا) ولحق بجبال (قدير) وحمل عليه راشد ايمن بك مدير فشوده
وكان من أمره ما تقدم لنا إرادته في مكانه كان (كيكون بك) ملك الشلك معه
وقتل مع من قتل فقام أحد رؤساء الشلك وأخذ معه وفداً شخص
به الي المهدي في جبال قدير فكتب له المهدي بالامارة على الشلك وسماه
(عمر) واعطاه أبواقاً من التي غنمها من الحكومة فماد الي الشلك وأخبرهم
بان المهدي اله وانه أخو معبودهم (النيكامه) وانه ولاء ملاك عليهم فاتبعوه
لانهم كانوا يعرفون المهدي مذكان شيخاً في جزيرة (آبا) فجمع عمر قومه
وشرع في مناوأة الحكومة وامتنع عن تأدية الضرائب وتوطد نفوذه بينهم
وحافظ على عواندهم التي تقموا على كيكون بك ملكهم السابق من أجل نبذها
ولما فتك المهدي بحملة الجنرال هيكس وقررت الحكومة جلاء
حاميتها عن فشوده لتعزيز حامية الخرطوم خلالا الجو لعمر ملك الشلك واستقل
بالتصرف في البلاد كلها

ولما توفي المهدي أعلن عمر أن المهدي استخلفه على العبيد واستخلف
الحامية على العرب وهم يسون العرب (بون) بتعطيش النون واستمر
في بلاده مستبداً بالحكم فيها حتى دخلت سنة ١٣٠٦ هجرية وفشا القحط في
السودان ونسل الناس من جميع التهجاج الي فشوده جلب الغلة فارسل التمايشي
باخرتين تفلان الف مقاتل احتلوا فشوده وكتب الي الملك عمر بأمره بأدية
عشر محمولات بلاده منذ عودته من جبال قدير أي نحو ثمانى سنوات
وأرسل له هدية من الجوارى الحسان والسكر وبمض ملابس فسألهم عن ثمة

السكر فاذا قوه طعمه فقال انه لذيذ ثم قال ان الجوارى اللاتي اهداهن الى الخليفة يعنني من قبولهن انهن متمدات يلبسن الثياب وكان يمكنني قبولهن لو كنت اجدهن في بلادى ثياباً مثل التي يلبسها وأخشى ان يصبن بضرر اذا أزمتهن بان يظلمن عاريات مثل نسائي وأما الملابس فلا أستحسن أخذها حيث اني لم أعود لبسها والاولى ان اردتها الى الخليفة ليهديها الي من يلبسها وأما السكر فان في بلادى عسل النحل بكثرة ويمكنني ان استعويض به عنه واني وان وجدته لذيذاً واشتيت نفسي تناوله ولكنني أمنعها عنه لانه غير موجود في بلادى اذا أخشى ان تعلق نفسي به في وقت لا أجده فيه

واما الاعشار التي يطلب الخليفة مني تاديتها له فلا أدفعها اذ لست خاضعاً له لاني مولى من قبل المهدي الذي هو مثل (النيكامه) والخليفة ملك العرب وأنا ملك الشلك وانا مثله فلا تلزمني طاعته ولا تلزمه طاعتي غير اني أدفع له اني اردب من الغلال على سبيل الهدية ومكافأة له على هديته التي رفضت قبولها لعدم صلاحيتها لي

وكتب الملك عمر كتاباً الى التمايشي ضمنه هذا المعنى وأنفذه مع رسولين من قبله فقدموا على التمايشي بام درمان فعجب من وجود من يحسن الكتابة عند الشلك وأخيراً علم ان الكاتب غلام ابوه مصري وأمه من الشلك وكان مع والده في الحرطوم حتي قتل يوم سقطها فقرع مع امه وعلق ببلاد الشلك اخواله وأمه قريبة احد رؤساء الشلك الكبار فجعله الملك كاتباً له

وحدث في بعض الايام ان أحد الدراويش أراد نهب جسد من ماشية لرجل من الشلك فلم تكده تصل يد المتعمدي الى لمس الجسد حتى

طمنه صاحبه بحربة جندته في الحال وثار الشلك كلهم ورفعوا رايات الحرب التي من عادتهم رفعها بالليل بكيفية يفهم منها اخذ الالهبة للحرب وهي ان ياخذوا قناة يدهنونها بالزيت ويشعلون النار فيها فيراها أهل القرية القريبة منها فيرفعون مثلها لأهل القرية التي تليها وهكذا حتى يعلم أهل البلاد كلها بالحرب في ليلة واحدة ويحتشدوا في أسرع ما يمكن ويرسلوا وفودهم لتلقى الأوامر بالحرب

وبعد عناء شديد وأخذ ورد بين قائد الدراويش وملك الشلك تاب التآرون إلى السكينة وطاد الأمن إلى مجراه

وكان مع الدراويش شلكي من رؤساء القرى التي في الشمال ولكنه بالنسبة لقربه من بلاد العرب تشبه بهم وصار يلبس الثياب فاخذه قائد الدراويش معه بصفة دليل واسمه (ايك) بن (غري) وهو من أقارب عائلة (كيكون) التي منها الملك كيكون بك. وحدثني أحد الحاضرين ان الملك عمر أرسل خمسين مقاتلا ومعهم عشرة من الشيوخ والكجور إلى منزل (ايك) وكان بجوار معسكر الدراويش فجلس العشرة معه ووقف الخمسون على بعد واخذوا يوبخونه على مخالفتهم هوأند الشلك وتشبهه بالعرب وانه جاء مع العرب بصفة دليل وعدوا ذلك خيانة للملك يعاقب عليها ثم وثبوا عليه وضربوا عنقه وحملوا رأسه إلى الملك فلم يجسر أحد من الدراويش على مقاومتهم أو الذب عنه واخيراً استاء التعاشي من عصيان الشلك وخطرسة ملكهم فجهز اليهم في سنة ١٣٠٨ الزاكي طمل امير جيش القلايات في نحو عشرين الف مقاتل جلهم فرسان ومسلحون بأسلحة رامنجتون فسار الزاكي من القصارف ثم اجتاز النيل واخترق الجزيرة حتى وصل إلى اطراف فشوده

وهناك وجد البواخر التي انفسدها له التمايشي وحشد الملك صهر جيشه
للذود عن بلاده فهاجم الدراويش هجوما عنيفا وقتل الملك عمرو حلت
رأسه الى التمايشي

ومكث الزاكي نحو ثلاث سنوات في فشوده يعمل في الشكك السيف
والنار تخربت القرى التي على ضفة النهر وسالت الدماء كالانهر وصادر
ماشيتهم وارسلها الى الخليفة فكان يختار منها ما هو صالح للتاج ويؤلف
منه قطعانا ينتفع بتاجها ويبيع الباقي بواسطة بيت المال هذا عدا الارقاء الذين
جلبهم منهم حتى هبط ثمن الجارية الى بضع ريالات وثمان الرأس من البقر الى
ريالين وبالجملة ان الزاكي طمل خرب بلاد الشلك كلها ودمرها ووجب منها
اهلها ارقاء اختار التمايشي نحو خمسة آلاف من غلمانهم جعلهم من ضمن
الجهادية حراسا له وسيأتي ذكر بقية أخبار الزاكي وقتله

ذكر بقية أخبار عثمان دقنه

قلنا في ما تقدم ان التمايشي استدعى عثمان دقنه الى ام درمان وعزز
قوته بعشرة آلاف مقاتل مع أبي قرجة على أثر ما علمه من انحراف القبائل
في السودان الشرقي ونفورهم عنه

ولما غادر عثمان دقنه طوكر اغارت عليها القبائل الخارجة عليه بمساعدة
بعض جنود الحكومة ثم عادت عنها بنير جدوى اذ لامقابلة فيها ولا جنود
تدفع غارتهم عنها

وفي منتصف سنة ١٣٠٤ وصل عثمان دقنه الى سواكن معززا بقوة ابي قرجه
الذي ولاء التمايشي على السودان الشرقي بدله اتقاء لثورة الاهلين ونفورهم

عن عثمان دقنه الذي شق عليه العزل ومكث في كسلة هو وابو قرجة الذي سار في الناس سيرة حسنة فثاب اكثر الثائرين على عثمان دقنة الي الطاعة وأمن أبو قرجة السبل واعاد الصلات التجارية بين مصوع وكسلة واخذ في مخابرة القبائل التي حوالي طوكر وسواكن بلهجة سلمية وقصد بذلك ارجاعها الي الطاعة فلم تفلح مخابراته لان أنصار عثمان دقنة كانوا يذيمون في الناس أن ولاية ابي قرجة اسم بلا مسمي وأن الغرض منها تسكين الثوار حتى يعودوا الي الطاعة فاذا عادوا صاروا تحت سلطة عثمان دقنه الذي هو الأمر الناهي لا ابي قرجة في باطن الأمر فقشلت مساعي ابي قرجة وذهبت ادراج الرياح على أثر اذاعة انصار عثمان دقنة هذه الاقوال التي لا تخلو عن الصحة

وأنفذ ابو قرجة حملات متتابة الى بعض القبائل التي تسكن في المنطقة القريبة من حدود الاحباش حوالي جبلي (البيكوت والمناع) وأكثرها القبائل مجوس لادين لهم وهم من قبائل الزنوج القديمة واشهرها قبيلتنا (الباريه والبازه) وقوام معيشة هذه القبائل لحوم الماشية والصيد والالبان ويندر بينهم من يعرف الحبز وهم مثل سائر اهالي شرق السودان من حيث العادات حيث لا يعرفون اكل الحبز والخضراوات التي يعتبرونها غذاء الانعام يترفع عن اكلها الآدميون ويسكن معظم تلك القبائل فوق قم الجبال الشاهقة وفي سفوحها وكوفها التي يتخذونها معاقل اذا دهمهم عدو وهي متسعة بأوون اليها بماشيئهم التي هي النعم والابل والبقر ورجال الباريه والبازه فرسان لا يشق لهم غبار ولا يصطلي لهم بنار يقطمون السبل ويعترضون القوافل للسلب والنهب

ولهم عادات ومراسم تقرب مما نسمعه عن طوائف اليزيدية والدروز
هذا وقد أثنى أبو قرجة في هذه القبائل وأغار عليها إغارات كثيرة
ونهب شيئاً لا يحصي من ماشيتها

وبعد سنة زحف إلى طوكروا احتل (هندوب) وهي موقع يبعد من
سواكن ببضعة أميال وأغار على القبائل التي خلت الطاعة فظفر ببعضها وفر
أكثرها ولبأ إلى الجبال واعتصم بالكهوف

وحصلت جملة مناوشات بين عثمان دقنة والاعراب الموالية للحكومة وبينه
وبين الحكومة من جهة أخرى وقد جرح كتشنر باشا جرحاً خفيفاً في إحدى
المناوشات وكان وقتئذ قومندان حامية سواكن وكانت الحامية في غضون هذه
المناوشات مشغولة ببناء الحصون وتشديد الأسوار على سواكن
ثم حصلت بعد ذلك واقعة بين عثمان دقنة وحامية سواكن قتل فيها
ضابط إنكليزي اسمه الكابتن تاب

وفي شهر رجب سنة ١٣٠٥ هـ شفى كتشنر باشا وعاد إلى سواكن. وفيه
هاجم عثمان دقنة مقل (ردوت والجيزه) وأمد أبو قرجة عثمان دقنة
بسبعة آلاف مقاتل وتمزقت قوة الدراويش في هندوب ولكن خرق
الحلاف اتسع بين عثمان دقنة وأبي قرجه فهذا يرى ان لا فائدة في مناوشة
سواكن والمرابطة في هندوب وذلك يخالفه ويتهمه بالجن وعدم الاقدام بل
بالحيابة والميل لجانب الحكومة واذاع عثمان دقنة ان أبا قرجة كان يجتمع
مع قواد الحكومة ليلا فاستدعي التعلّيشي أبا قرجة على أثر ما علمه من عثمان
دقنه الذي أعيد للإمارة وخلال الجوفى السودان الشرقى

وفي شهر ذي الحجة من سنة ١٣٠٥ هـ اشتدت مضايقة عثمان دقنه لسواكن حتى

اقتربت متاريسه من الاسوار وصارت على بعد خمسمائة (برده) فقط
وعين عثمان دقته رجلا دنقليا اسمه عثمان النائب قائداً للمقاومة الذين
في المتاريس الامامية ووالوا اطلاق النيران على سواكن حتى خيف سقوطها
في أيديهم لولم تدركها حماية السفن الانكليزية في البحر وأحرق حصن شانه
الذي كان من الشوك وضويقت سواكن وافتقرت حاميتها الى النجدة وكانت
الحكومة ترى وقتئذ اجلاء الحامية وترك المدينة للدراويش وبعد مداوات
قررت حفظها

ثم دخلت سنة ١٣٠٦ وسواكن في حالة ضيق شديد وطم العدو اكثر
الآبار التي تستقي الحامية منها اذ كانت خارج الاسوار
وفي أوائل شهر صفر من السنة المذكورة وضع عثمان دقنة المدافع على
حصونه وصار يطلقها على حصون الحكومة فاندحش القواد من انتظام
مقدوفاتها واصابها الرمي

وفي ربيع الثاني من السنة المذكورة وصل الى سواكن الجنرال غرانفيل
باشا سردار الجيش المصري وقتئذ فارسل اليه عثمان دقنة كتابا يخبره فيه بان
أمين باشا حاكم إقليم خط الاستواء والمستر ستانلي السائح الانكليزي البعث
لائقاً حامية خط الاستواء قد وقعا في أسر المهديوية وكان مقصده من ذلك
الارهاب والتضليل

وبعد أيام قلائل هاجم الجنرال غرانفيل معاقل عثمان دقنة بعدة طوابير
من الجيش المصري فدمرها وقتل من فيها من المدافعين وكانوا لا يزيدون
عن سبعمائة مقاتل ولكنهم ابلاوا بلاء حسناً ودافعوا عن موقعهم دفاع الابطال
وكانت هذه الواقعة في أواخر شهر ربيع الثاني عام ١٣٠٦ هجرية

وعقب واقعة المناريس تقهقر عثمان دقنة الى طوكر وعسكر بها وكانت
 المجاعة وقتئذ ضاربة اطنابها في انحاء السودان كله خلا طوكر فان الاقوات كانت
 تجلب اليها من سواكن ومكث عثمان دقنة في طوكر بقية سنة ١٣٠٦ يوالي
 العساة على الاصراب الذين انحازوا الى الحكومة وشقوا عصا الطاعة
 عليه لاشتداد وطأته عليهم حيث زاد المكوس زيادة فاحشة وصار
 يقتل منهم في كل يوم عشرات فكانوا يهرعون الى الخليفة متظلمين منه فلا
 يجردون لديه مايشقى غليلهم وكثيراً ماأمسك المتظلمين وجلدتم بالسياط
 حتى أنه جلد واحداً منهم الفا وخمسمائة جلدة بسياط قد وضعت فيها حلقات
 من الاسلاك الحديدية حتى مات

ولما علم الاهلون ان لانصاف من عثمان دقنة ولا راحة من مظالمه
 قلبوا للمهدوية ظهر المجن ووالوا الحكومة وحالفوها على حربه فوزعت
 عليهم الاسلحة النارية ومن ثم اشتغل عثمان دقنة بالغاارة عليهم وكان في اكثرها
 يرجع مدحوراً متكبداً خساراً جمة

وفي أوائل سنة ١٣٠٧ استقدمه التمايشي الى ام درمان عن طريق بوبر
 ثم اذن له في العودة عن طريق القضارف فكسلة فطوكر واعطاه أسراً الى
 جميع الاسراء ان لا يعترضوا من رغب من الناس في مصاحبته

ولما وصل القضارف تبعه أناس كثيرون من أهلها فارين من المجاعة
 التي أناخت عليهم بكالكها ومنهم كثير من اسري المصريين الذين كانوا في كسلة
 ثم لما وصل الى كسلة تبعه كثير من المصريين أيضاً ولحقوا بطوكر فوارا من
 المجاعة أيضاً كمن تقدمهم

ووصل عثمان دقنة الى طوكر وجعل همه الغارة على الاصراب

الموالين للحكومة وسنعود الى ذكر بقية أخباره وهزيمته في طوكر

ذكر هزيمة الدراويش من هندوب واخباراً مارأر
أمارأر اسم لقبيلة في ارباض سواكن وهي قبيلة رحالة ماشيتها من الابل
والنعم ولقبا أجمية مثل سائر سكان السودان الشرقي وكانت هاته القبيلة
أول من خلع طاعة الحكومة وظاهر عثمان دقنة عليها وزعيمها أحمد بن محمود
كان اكبر انصار المهديوية في أوائل الدعوة اليها ولم يكن لذلك من سبب سوي
انه كان من صريدي الشيخ الطاهر المجذوب استاذ عثمان دقنة

ثم ما لبث طويلا حتى مج عثمان دقنة وبنفضه بسبب ما رفق به (أمارأر)
قبيلته من المظالم والمغارم واشتد الخصام بينهما فتحفز عثمان دقنة للوثبة على
على احمد محمود شيخ أمارأر والبطش به فقرر ولجأ الى حكومة سواكن ثم فر منها
ولحق بالتمايشي بام درمان وقدم مالا طائلا الى يعقوب اخي التمايشي وسأله
ان يكون وسيطا له عند اخيه ليكتب له بالامارة على قومه على أن لا تلزمه
طاعة عثمان دقنة فأجاب التمايشي طلبه وكتب له بالامارة على قومه وان
يجعل معسكره في هندوب وفوض اليه أخذ العشور من التجار الذين
يخرجون ببضائعهم من سواكن فنادر أحمد محمود أم درمان آيا الى سواكن
في أواخر سنة ١٣٠٧ فتوفي في أحد المناهل التي بين بربر وسواكن وكتب
التمايشي الى أحد اخوته بان ينوب عنه في عمله

وفي أوائل شهر رجب سنة ١٣٠٨ ارسل أحد جواسيس التمايشي في أصوان
عدداً من احدى الجرائد المصرية فيه أن عدة طواير من الجيش المصري
ستبحر من السويس الى سواكن لتأليف قوة حربية تهاجم معسكر الدراويش

في هندوب ثم تعود تلك القوة الى سواكن حيث تبحر منها الى ثغر (ترينكيتات)
ومنه الى طوكر برا

وبعد ليلتين مضتا على وصول هذا النبا جاء الى التعايشي خبر من هندوب ان
ثلاثة طوابير زحفت من سواكن على هندوب فباغثت الدراويش عند شروق
الشمس وكان شيخ (أمارار) ومن معه من قومه كانوا على علم بهذه المباغثة
فامتطوا ادوابهم ولم يبدوا اقل مقاومة وولوا مدبرين من وجه الحامية
المصرية التي كانت سائرة الى المعسكر بسكينة وانتظام كأنها داخلية الى
احدي ثكناتها العسكرية ونجا رجال (أمارار) ووقع في أسر الحكومة بعض
اعراب من الذين يجهلون ما بين الحكومة وشيخ أمارار الذي قيل إن ماتاه
أخوه احمد محمود كان بايماز من حكومة سواكن وان ما قدمه ليعقوب أخى
التعايشي من المال كان من مصروفاتها السرية

ويدل على ذلك انهم بعد هزيمتهم من هندوب عادوا الى سواكن من
طريق آخر فقبولوا بالاكرام واجريت عليهم المرتبات وبلغني أن موت أحمد
محمود لم يكن الامن سم دسه له التعايشي في الدسم
والحاصل ان قبائل السودان الشرقى التي كانت موالية لعثمان دقنة
على الحكومة رجعت بالمداة عليه وصارت مع الحكومة عليه

ذكر هزيمة عثمان دقنة من طوكر

ان من يتأمل في الحالة الاولى التي كان عليها عثمان دقنة في اوائل دعوته
للمهدوية وما كان يصادفه في خطواته كلها من النجاح والظفر ثم ما آل اليه
أمره من الفشل والهزيمة يرى انه قضى على نفوذه بنفس السلاح الذي كان

يضرب به هام رجال الحكومة

وذلك انك ترى فيما كتبناه عنه في ما تقدم من هذا الكتاب أنه أحرز شهرة تكاد تضارع شهرة المهدي نفسه لأنه قام بدعوة قبائل السودان الشرقي بالصفة التي تقدم ايرادها وكان في بداية أمره يتذرع بنفوذ استاذه الطاهر المجذوب ولكنه مع هذا النفوذ أظهر سياسة تكفلت بالتفاف القبائل حوله واستيلائه على قلوبهم حتى بلغ من أمره انه لو قال لهم خوضوا البحر الأحمر حتى تبلغوا الهند لبوا الى ذلك مسرعين

وتوجد مشابهة بين المهدي وعثمان دقنة وذلك أن المهدي عرف كيف يتمكن من التأثير على أهالي السودان بما يفتره من الدعاوي الطويلة العريضة وهي مهارة لا يتردد أحد في ان متوخاها عرف ان لاسبيل للتأثير على الامم الا من الجهة التي تميل اليها

وكان عثمان دقنة يتأثر المهدي الذي كان ذا طلاقة في اللسان وتصرف في البيان يقدر معه على التعبير عما يكنه فؤاده بجمل عامية يفهمها الجهلاء ويمثلون بخمرة بلاغتها من حيث تأديتها المعنى المقصود بالفاظ عامية توافق أذواق السامعين سيما أهالي السودان الشرقي الذين لا يتكلمون باللغة العربية بل لغتهم أعجمية همجية وكان من الحال ان يبلغ المهدي غايته من التأثير عليهم فقام فيهم عثمان مقام المهدي وعرف طريقة استمالتهم بما أوتيته من البراعة في لغتهم حتى انه كان اذا قام فيهم واعظا أو خطيباً يؤثر عليهم تأثيراً يجعلهم له أطوع من بنائه

وكان يقرأ عليهم آيات القرآن الشريف ويعقبها بتفسير معانيها . على ان أهالي السودان الشرقي كانوا لا يعرفون من الاسلام الا اسمه وكانوا في

حالة بدواة تكاد تكون قريبة من حالة الشك التي تقدم لنا وصفها
 فاجتذب عثمان بمذوبة الفاظه وبلاغة كلامه أفئدتهم للإسلام حتى تمكن
 الايمان من قلوبهم وحكى لنا اكثر من واحد أنه جمع ذات ليلة نساء
 (المهندوه) ووعظهن حائاهن على الصدقة وانفاق المال في سبيل الله فما
 منهن واحدة الا ونزعت ما عليها من حلي ومصاغ وألقته بين يديه فاجتمع
 من هذه الصدقات مقدار وافر من الذهب والفضة وبلغ من حماس أولئك النسوة
 انهن كن يراقبن أزواجهن في الغزوات يحملن الماء والزاد لفضلاء المقاتلين
 ويجهزن على الجرحين بما يحملنه في أيديهن من السلاح حتى صرفن يمثلن
 بأشلاء القتلى تمثيلاً شنيعاً وقد تقدم لنا ذكر ذلك

والحاصل ان عثمان دقنة نال حظوة في السودان الشرقي كانت كافلة له
 أن يبقى بعد موت المهدي في مركزه ولو كره ذلك التمايشي الذي كان
 يبعز عن مناوآته ولكنه ما لبث أن انفض الناس من حوله وجأهروه
 بالعداوة ولا ضر وفان الظلم مرتعه وخيم

هذا وقد أمد التمايشي عثمان دقنه بالجيوش الجرارة بقصد ارغام الاهالي
 على الطاعة فلم تقرن أعماله بالنجاح ولو فرض أنه نجح في اخضاع الناس فلا
 يكون خضوعهم الا مداراة حيث كانت القلوب منصرفة عنه كما بات التمايشي
 في أخريات أيامه تداريه الالسنه والقلوب تتربص به الدوائر لتخلص
 من وطأة ظلمه الذي أرهقهم به

وأصبح عثمان دقنه أزدلك فريداً لا أنصار له من أهالي البلاد وكان جنده
 صابرة عن المقاتلة التي أمدته التمايشي بهم وجلهم من مقاتلة أبي قرجة الذين
 بنضوه ونفروا عنه لما كان بينه وبين قائد هم أبي قرجة من المنافسة التي تقدم لنا

الاماع اليها وفر أكثر هؤلاء المقاتلة ولحقوا بديارهم في الحرطوم لانه كان لا يعطيهم ما يقوم بجوائبهم الضرورية
ويظن كثير من الناس ان عثمان دقنه قد ندم في أخريات أيامه على ما فرط منه من متابعة المهدي لما شاهده من أعمال التعاشي التي تخالف أعمال المهدي على خط مستقيم ولكنه كان لا يأمن جانب الحكومة بعد ان أتى ما أتاه معها

ولقد حكي لي أحد القواد الذين كانوا معه انه سامر في خلوة وقال له ان الحكومة تدعوني الى الطاعة وتمدني بكل خير ان أنا خضعت لها فاذا نظنها تفعل بي اذا أسلمت نفسي لها فقال القائد وقد ظنه يختبر ما يضره لا تأمن جانب الكفار فاتي أرى انهم اذا تمككوا منك سجنوك وجعلوا غذاءك العلة تمضمها كما تمضغ الحيل العلوقة وربما فقتوا عينيك وتركوك في قعر السجن فاربذ وجه عثمان وقال له ما قلت الا حقاً

وحكي آخر ما يفهم منه ان عثمان دقنه أدرك خضونة مركبه وانه صار بلا سند في السودان الشرق ولذا أصبح في حاجة للاستمرار على ولاء التعاشي الذي كان ينضه في السر وينسب الى سوء ادارته ومظالمه خراب السودان وأنه قال يوماً لبعض خاصته ما يأتي

أحلف بكتاب الله هذا (ووضع يده على المصحف الشريف) أتى لأخاف الا من ثلاثة فقال جليسه ومن هؤلاء الثلاثة فقال هم الخالق عز وجل والمجنوب بن أستاذي الشيخ الطاهر والخليفة التعاشي فقال له لم أفهم قصدك وأرجو أن تفصح لي عن مرادك فأجابه عثمان أتى أخشى الله تعالى لانه قادر على خذلاني في الدنيا وعذابي في الآخرة وأما خوفاً من المجنوب فلانه رجل

قليل الأدب يضيق صدري من وقاحته وأخشي أن تفرط مني كلمة تنير
 خاطره ولو تنيراً خفيفاً فإكون قد أسأت والده أستاذي الشيخ الطاهر
 الذي أجله وأحبه أكثر من حبي لنفسي وأفنديه بأبويّ وأنه كما علمت أهدي
 إليّ الامارة وبوأني منصبها وانني أطلب من الله أن أخرج من الدنيا
 وتكون حياتي ومالي فداء لشراك نعل أي أحد من عترة أستاذي الشيخ
 الطاهر رحمة الله عليه. وأما خوفي من الخليفة التعايشي (وعندئذ تنهد عثمان
 وخنفته العبرة وقال يضيق صدري ولا ينطلق لساني) فإني أخاف ان أنا
 خالفته ان يقبض عليّ وينفيني الي خط الاستواء (ثم سكت طويلاً) فقال
 واقسم لك على كتاب الله اني لا أهاب الموت ولست جباناً ولكني أتق
 شهامة الاعداء

ومن هذا الحديث يفهم القاريء ماوصلت اليه حالة عثمان دقنه من
 الارتباك في أيامه الاخيرة

ولما دخلت سنة ١٣٠٨ منعت الحكومة خروج الاقوات من سواكن
 فتصاعدت الاسعار ثم عز وجود المؤنة في معسكر طوكركر من المعسكر
 كل من قدر على الفرار من المقاتلة وتجهز عثمان فيمن بقى معه منهم للغزوي
 يحصلوا من النهب مايقوم بحاجتهم من القوت فاوغل في وسط الجبال ونازل
 الاحراب الموالين للحكومة فتجاءأ نبأ احتلال الجنود المصرية هندوب فاسرع
 الاوبة الي طوكركر فبلغها قبل ان تهاجها الجنود ببضع ليال

وفي أواخر شهر رجب سنة ١٣٠٨ هاجم هولدميث باشا طوكركر
 ببضعة طواير من الجيش المصري فخرج عثمان دقنه للقاته في بضعة آلاف
 مقاتل وانتشبت الحرب بين الفريقين وحاول الدراويش اقتحام المربع

فصدتهم المقدوفات وولوا منهزمين لابلوون على شيء وكان عثمان واقفاً وراء مقاتلتهم بعيداً عنهم بمسافة ألفي متر وبعد الهزيمة احتلوا ماخف من امتعتهم ونساءهم وقصدوا كسلة وتخلف عن مرافقتهم عدد كبير من المصريين ولم تتقدم القوة الي طوكر وخاف المصريون ان يكر عليهم عثمان في الليل فحملوا الاسلحة واستعدوا لدفعه عنهم حتي تبليج الصباح وسار أحد أسرى المصريين الي معسكر الجنود المصرية واخبر القائد بفرار عثمان دقنه وتخلف المصريين عن مرافقته وانه ودر او يشه حملوا متاعهم ونساءهم وغادروا طوكر قاصدين كسلة منذ صباح أمس ولم يبق في طوكر غير المصريين الذين كانوا مأسورين فتقدمت الحامية واحتلت طوكر ومن العجب ان الجنود مدوا أيديهم وسلبوا ممتلكات المصريين وعاثوا في أعراضهم فلا حول ولا قوة الا بالله .

شان عثمان دقنة بعد ذلك

لما انهزم عثمان دقنة من طوكر سار فيمن بقي معه من المقاتلة خائفين مذعورين يتعمدون عن الفجاج التي تقرب من العمران ويختفون في الغابات خشية أن تشمر بهم قبائل الاعراب النازلة بين تلك الغابات والجبال وجعلوا وجهة سيرهم كسلة فهلكت دوابهم ومات اكثر الضمفاء من الاطفال والنساء ونفذت أقواتهم حتى صاروا يقتاتون بورق الشجر وكان سيرهم بطيئاً لما هم فيه من الجوع وقدمان الندواب واخوف من الالاماء ولما وصلت أنباء هزيمتهم الي الشعايشي أظهر غضبه على عثمان دقنة ونسب اليه سوء التصرف في الامور وان أنصاره ما انفضوا من حوله وتركوه

وحيداً إلا بسبب فظاظته وسوء سيره
 وكان عثمان دقنه مدركاً لما أحرق به من الخطر بسبب غضب التعايشي
 الذي لا يطفؤه غير الرشا التي تدفع لآخيه يعقوب
 ويحسن أن أورد هنا قصة تحققت ثقة راويها وهي أن عثمان دقنة كان
 قد خبأ قدراً عظيماً من المال في أحد الجبال القريبة من كسلة فخرج في سيره
 إلى كسلة على ذلك الجبل وأخذ نحو مائتي ألف ريال وزرع منها خمسين ألفاً
 على من كان معه من الأعراف وحمل الباقي معه إلى أم درمان حيث بلغها في
 أواخر شهر ذي القعدة فدفعت منه مائة ألف ريال ليعقوب أخى التعايشي الذي
 توسط له عند أخيه فصنع عنه. وفي أواخر شهر ذي الحجة أمر التعايشي
 عثمان دقنة أن يذهب إلى جهة (دارامه) على نهر أتبه بين بربر وكسلة
 وأن يجتهد في زراعة الذرة ليحصلوا على رواتبهم شهرية. دفع لهم
 نحو مائة رأس من البقر والنم ليقتاتوا من نتاجها ففاد عثمان دقنة
 أم درمان وعسكر في (دارامه) وأخذ ينسير على أطراف سواكن للسلب
 والنهب ولم تعد له أهمية تذكر

حالة السودان بعد ذلك على الأجمال

ظهر لك مما تقدم كيف استبد التعايشي بالملك وكيف قدر على التغلب
 على من ناوأوه وكيف أزهق البلاد بمظالم تنوء بحملها الجبال
 وقد ذكرنا ما حاق ببعض القبائل الكبيرة من الهلاك والدمار ولا يظنن
 القاريء أن القبائل الصغيرة والمشائرا التي تسكن القرى قد سلمت من ضرر هذا
 السيل الجارف فانها نالت نصيباً من الخيف لا يقل عما نالته القبائل الكبيرة

عدا المجاعة التي عمّت السودان كله

ونحن لم نذكر تفاصيل ما أصاب القبائل الصغيرة والعشائر التي تسكن القرى لعلنا ان ذلك يستغرق مجلدين ضخمين لا يقل حجمهما عن حجم كتابنا هذا ولكن الذي لا يدرك كله لا يترك جله. وهأنح موردون لك نرمان تلك المظالم ليكون لك دليلا على ما أصاب السودان ونبدأ بذكر حادثة « قري وادي شعير » فنقول

هذه القرى واقعة في جنوب شرقي الخرطوم بمسيرة بضع مراحل وتبعد عن النيل الازرق بنحو عشرة أميال وأرضها خصبة تجود بمحاصيل وافرة من الذرة والقطن ذهب اليها جماعة من الدراويش لجسابة الضرائب ثم دخلوا احدى القرى ومدوا أيديهم الى الماشية فذبحوا منها ما زاد على كفايتهم ثم نهبوا الاغذية من داخل البيوت فلم يعترضهم السكان ولا حركوا ساكناً لمنعهم بل تركوهم وشأنهم فدوا بعد ذلك أيديهم الى النساء وعبثوا بهن فهبّ الاهلون حينئذ ووقفوا في وجوههم وقفمة المدافع عن عرضه الذاب عن حريمه فلم يثن الدراويش عن الاعتداء ولبوا في الطغيان وضربوا الاهلين بالاسلحة فسقط منهم قتلى وجرح منهم كثيرون ونشبت الحرب بين الفريقين وسالت الدماء واستصرخ أهالي القرى بعضهم وتألّبوا على قتال الدراويش الذين فروا امامهم مدحورين حتى بلغوا ضفة النهر وهناك بعثوا يخبرون التماشي فأرسل خمسة من النواب توجهوا الى محل الواقعة وعادوا فاخبروه بما وقفوا عليه فأصدر أمره بمصادرة أموال سكان تلك القرى وأخذ نساءهم مسيات لانهم كفار حاربوا دراويش المهدي ولم يرضوا لكل ما أتونه من المنكرات

هذا ما وقع لاهالي (قري وادي شمير) ولم توجد في بلاد السودان
كلها قرية لم يقع لها مثل ما وقع لهاته القري وانما أوردنا جادتها مثالا يقاس
عليه ما حاق ببقية القري لضيق المقام عن استيعابه

وكان من العوائد المألوفة عند الدراويش انهم اذا سافروا من بلد الى خري
لا يحملون زاداً ولا مسيرة بل يذبجون ما يصادفهم في طريقهم من الماشية
ويدخلون منازل السكان يأخذون ما يجدونه فيها من الاغذية ويأخذون
الحبوب لعلف دوابهم وينزل القواد في منازل الاكابر فيقدمون لهم الاغذية
الفاخرة وليتهم يقفون عند ذلك بل لا بد من دفع الرشا لهم فاذا تناولوا المال
وأكلوا ماشاؤا من الاطعمة ورحلوا عن القرية أو البلد بدون أن ينتحلوا لها
أسبابا يستحلون بها أخذ المال وسبي النساء عد ذلك من أكبر النعم على أهل
تلك القرية وفي غالب الاحوال تكون نجاتهم هذه لاسباب منها ان لا تكون نساؤهم
جميلات وأن لا تكون أموالهم الاقدر ما يقوم ببعض ضرورياتهم أما اذا كانت
النساء حسانا والمال زائدا عن الضروريات فلا بد لهم من يوم يذوقون فيه
العذاب الاليم

وتقل الي واحد من المصريين سافر مع احدى السرايا الي جهة النيل
الايض وكان الدراويش زهاء ألفي مقاتل أنهم بعد ان غادروا أم درمان بمائة
ميل ذبحوا مائة وخمسين رأسا من البقر ومائتي رأس من النعم وهكذا كان
فعلهم بالماشية التي تقابلهم في الطريق أما الغلال فكانوا لا يأخذون منها غير كفايتهم
وفي ذات يوم وصلوا الي أحد الاسواق وفيه أجران الفلة فهبوها وكانت
نحو ثلاثة آلاف أردب

وجملة القول ان بلاد السودان في أوائل سنة ١٣٠٨ أصبحت بسبب

المجاعة فاقدة تسعة اعشار سكانها وأصبحت البلاد قاعا نصفها وكأن التعاشي
انما رضى بتلك النتيجة لانه بها أمسي آمنا على ملكه من نورة الاهالي عليه
وأخذ في توزيع أقاربه البقارة واسكانهم في المقاطعات الحصية
أما بلاد كردفان فانها لم تصب بالمجاعة في الستين الماضيتين لان الامطار
هطلت فيها غزيرة ولكن التعاشي أرسل لها نحو اثني عشر ألف فارس
انتشروا في البلاد انتشار الجراد فاتهموا محصولاتها في أشهر قليلة وما جاء آخر
سنة ١٣٠٧ حتى تصاعدت أسعار الاقوات ودخلت سنة ١٣٠٨ والمجاعة فاشية
في اقليم كردفان وانحبس المطر عنها وهلك من هلك من السكان وفر باقيهم
ولجؤا الى الجبال

ويرى الذين وقفوا على الحوادث السودانية منذ بدايتها ان المهديونية
تلاشي أمرها منذ سنة ١٣٠٦ ولم تقم لها قائمة بعد ذلك وانهمزمت جيوشها
في أكثر الجهات ففي سنة ١٣٠٦ قتل ابن النجومي في حدود مصر وسيأتي
ان الايطاليين هزموا الدراويش شر هزيمة قبل أن يحتلوا كسلة في واقعة
(غردت) ثم أخذت في التلاشي والهبوط

ومن الحقائق التي لامرأ فيها ان الحكومة المصرية لو قصدت فتح
السودان في سنة ١٣٠٦ أو ما بعدها لقدرت على الاستيلاء عليه بغير عناء يذكر
بالنسبة لما صادفته في طريق فتحه فقد أرسل اليها في سنة ١٣٠٦ أكثر الامراء
المرابطين في دنقلة يعرضون خضوعهم لها ويسألونها العفو عن جرائمهم

أما التعاشي وقومه البقارة فقد انعموا في الترف وتنعموا بالملاذف وبذلك
فقدوا ما كان فيهم من صفات الشجاعة والبداعة ومع ذلك فقد كان
لا يوجد بين الاهلين خمسة في المائة يخلصون لهم الولاء بل كان الكل يثنون

من ثقل وطأة مظالمهم ويتأفقون من سوء سيرهم ولكن بقيت في قلوب
الاهلين بقية من الاعتقاد بمهدوية المهدي وكانوا يلقون تبعه المظالم كلها على طائق
التعايشي ويسعون في الخلاص من ظلمه بمبايعة أحد الخليفين على حلو ومحمد
شريف الا أن آمالمهم في هذا الأخير كانت أوثق منها في ذلك نظراً لقربته من
المهدي ولأن ذلك كان له بعض حظ في دولة التعايشي

ومن المضحكات ان الناس لفرط ما أصابهم من ظلم التعايشي قام كثير
منهم وكل يزعم أنه المسيح عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه يرومون
بذلك الوصول الي سلب الملك من التعايشي اذ ظهور المسيح يعقب المهدي فكان
لا يمر يوم الا ويظهر فيه كثير منهم عدا الذي ذكرنا خبره في (القلبات)
ولقد قام رجل مصري من أهالي الخرطوم اسمه (خليل جامع) مدعياً
ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بأنه خليفة عثمان بن عفان عليه
سحائب الرضوان وأمره بتوزيع ماني بيت المال من الاموال قبض عليه
وسيق الى التعايشي الذي كان يعرفه حيث كان متزوجاً بنت عمه فقال له
يا خليل ما هذا الذي تدعيه فانهره وقال له هذا أمر جاءني من الله ورسوله
وأنت لا تجهله فقال التعايشي انه مجنون وان الجنى الذي مسه ساكن في بيت
المال فاذهبوا به الى سجن بيت المال فمكث فيه بضع سنوات ثم أطلق سيده
واستمر على حالة جنونه

وكان بجوار بيت المال قبطي اسمه (محروس) يسكن مع قريبة له
اسمها (مصطفية) وكلاهما من أهالي الخرطوم أصيب ذلك الرجل بجحة فصعد
على راية عالية وخطب في الناس قائلاً انه (ماري جرجس) فدنت منه
قريته المذكورة وقالت له يا محروس انك بدعواك هذه تلتصق بنا تهمة أننا

لا تزال نصاري فأرجوك أن تترك هذه الدعوى وتدعي غيرها كما يدعي المسلمون فانهرها وقال لها اذهبي فقالت له انتظر الموت لان أصحاب الدعوى الملائمة لاذواق المسلمين يقتلون ويسجنون فكيف بمن يدعي مثل دعواك التي تدل على انه نصراني ثم هرع أقاربه اليه وحملوه الى داره فمات بعد أيام يسيرة

والحاصل ان اهل البلاد صاروا في حالة غريبة وجل الناس تغيرت عقيدتهم في المهدوية وتبدلت أميالهم نحوها بالنفور عنها ولم يمد التعايشي يثق بأحد من الاهالي غير أقاربه البقارة ولذا جمع ألوفان من المبيد (الجهادية) وسلحهم بالاسلحة النارية

وقد نبي الى خبر حادثة لأري بأسا بايرادها وان كنت لأجزم بصحتها وهي أن رجلا من التعايشة أقارب الغزالي الذي تقدم لنا ذكر قتله استأذن على التعايشي فأذن له ولين معه وكانوا زهاء عشرين رجلا وبمدان أخذ الحراس مامهم من السلاح دخلوا عليه وأوجعوه ضربا (ولم يشمر بذلك غلمانا لبعدهم عن غرفة جلوسه التي لا يؤذن لهم في النومها الا اذا استدعي واحدا منهم) حتى أغمي عليه ثم تركوه وانصرفوا وكانت هذه النادرة في شهر ذي القعدة سنة ١٣٠٨ وفي الند قبض على الرجل والذين كانوا معه ونفوا الى خط الاستواء واشتد مرض التعايشي حتى أرجف الناس بموته ومكث مريضا الى العشر الاولي من شهر ذي الحجة . وقد تضاربت أقوال الناس في اسباب نفي أولئك الرجال فمنهم من يرى ان السبب فيه هذه الحادثة ومنهم من يقول ان التعايشي أسر اليهم كلاما فافشوه في ليلتهم قبض عليهم في الند والذين رووا الحكاية الاولي يخالفونهم ويؤيدون قولهم بمرض

التعاشي والله أعلم بالحقيقة

وقد حدث في خلال السبع سنوات التي مضت على ولاية التعاشي كثير من الحوادث التي لو اوردناها لضاق بنا المقام وأخصها مصادرة أموال كثير من الاغنياء لاسباب تافهة ان لم نقل انها مختلفة يقصد بها الحصول على أموال الناس

وقد حور التعاشي اكثر الاحكام التي وضعها المهدي في الحدود منها أن المهدي لما كان في جبال قدير أصدر منشوراً بشأن الدخان قال فيه ما يأتي « من استعمل الدخان مضمناً في التهم أو حرقاً بالنار أو وضعا في الانف يجلد سبعا وعشرين جلدة بالسياط »

ثم بعد استيلائه على كردفان أصدر منشوراً آخر جعل فيه العقوبة ثمانين جلدة وحبس سبع ليال وبمثل هذه العقوبة يعاقب شارب الخمر. ولما ولي التعاشي قال للناس وهو على منبر الخطابة (من وجد في بيته ربع درهم من الدخان يجلد ثمانين جلدة ويؤخذ جميع ماله غنيمة للمسلمين) وذلك مخالف لما قاله المهدي وليست مخالفته من جهة العقوبة فقط بل ومن جهة ان المهدي اشترط ثبوت استعماله بالاوجه التي اوردناها وامتلات البلاد بالجواسيس الذين يتهجمون على المنازل لضبط الدخان مع أنهم يحملونه معهم ويدعون أنهم ضبطوه في المنزل ليتذرعوا الي مصادرة أموال أولى اليسار ولهم في ذلك حكايات يطول شرحها

وتقل لي ثقة مارايت ايراده تفكمة للقاري، وذلك ان أحد أهل العلم من أهالي الخرطوم فقد كل ما يملكه وقتل كثير من ذوى قرابته فصار في حالة تقرب من حالة الجنون. ومن نكاته المضحكة انه كان يتشاهم من يوم الاثنين الذي كان فيه سقوط الخرطوم فكان يشكف في داره لا يخرج

منها منذ عصر يوم الاحد ويصبح منقطعاً عن كل عمل كما يفعل اليهود في السبت
ومكث على ذلك زهاء سنة ثم انه ذهب يوم الثلاثاء الى النهر للاستحمام فاخذتطفته
الامواج وكان لا يحسن السباحة فانتشل بعد أن أشرف على الهلاك فخرج
من النهر وهو يقول اللهم لا اعتراض على حكمك في يوم الاثنين عذبتنا بالقتل
والنهب وفي يوم الثلاثاء عذبتنا بالفرق فتشام من يوم الثلاثاء أيضاً وصار يتكف
من عصر الاحد فلا يخرج الا صبيحة الاربعاء وبعد أشهر مضت وهو على
هذه الحال دخل عليه في داره جماعة من الدراويش وأوسموه ضرباً بدعوي انه
يستعمل الدخان وبعد اللتيا والي خلس منهم فقال اللهم ارفع غضبك عنا في
يوم الاثنين عذبتنا بكذا وفي يوم الثلاثاء بكذا وفي يوم الاربعاء بالضرب
بالسياط وتشام أيضاً من يوم الاربعاء وصار لا يخرج من داره الا في صبيحة
يوم الخميس ثم توفي بعد ذلك رحمة الله عليه

هذا وقد أهلك التعاشي وبطائه في الترف اكثر من ذي قبل
وصار في حالة من السمن بحيث يكاد الذي رآه حين افضاء الملك اليه
أن لا يعرفه وقد تقدم لنا انه كان نحيف الجسم مشوه الحلقة بآثار الجدري
التي تركت في وجهه كهوفا صغيرة زادت في شناعة منظره أما في سنة ١٣٠٨
فقد محيت آثار تلك الكهوف من وجهه فصار مستديراً بعد ان كان قبيحاً
مستطيلاً وصارت عيناه تأمهد عينا بيت بعضهم ، اراءى مصابئين برصد شدة
اجرار بياضهما

وقد عمل التعاشي اشياء كثيرة بحرف ما كان المهدي يهي منه ويحذر من
استعماله بل كان يرمى مستعملها بروق من جاذبه لخلق وآداب الدين
فقد كان المهدي يلبس حذاء شرفياً ويلبس نصلاً عربياً سبق لنا تعريفها

وأما التمايشي فلا يوجد في بلاده الا النعال العربية فكان في بداية أمره لا يلبس غيرها وقد رأيت بعيني شقوق قدميه التي تكاد تختفي الحشرات الصغيرة فيها كل هذا ذهب وأصبح في خير كان وصار يلبس الاحذية الشرقية والحف

وكان المهدي قد حذر من سكنى القصور وبالغ في ذلك حتى ألزم الذين يشيدون المنازل باللبن النقي ان لا يتجاوزوا في ارتفاعها أكثر من ذراع أو ذراعين وكان التمايشي شديد البغض لمن يرى داره مرتفعة عن هذا الحد وكثيراً ما أمر بهدم بعض المنازل التي يزيد ارتفاعها عن ذلك

هذا ما يعامل به الناس أما هو فقد شاد داراً واسعة شرقي الجامع واحاطها بسور من اللبن المحروق ورفع بناءها حتى كانت يخالها الانسان حصناً أو معقلاً وشاد قصرأ فيما يلي جدار المسجد وجعل نوافذه مطلة عليه وعلى ساحة الاستعراض « العرضة » الواقعة غربى المسجد ومنع الناس ان يقولوا انه « قصر » وكان القضاة يزررون من يقول ذلك وقال التمايشي للناس انه ما شيده ليسكن فيه بل ليصعد عليه في كل غداة جمعة لينظر الى ساحة استعراض المقاتلة وأطلق عليه اسم « كشافة العرضة » مع ان نوافذ القصر كما قلنا مطلة على المسجد والناس يرون باعينهم المصايح فيه وروائح العطر تنفوح من نوافذه ولا يجسر أحد على القول بان التمايشي ساكن في ذلك القصر وهدم حمام سراي الحكمدارية ونقل انقاضه وأدواته من الخرطوم الى أم درمان وشاد بها حاما في داره يستحم فيه ونقل منبر مسجد الخرطوم ووضع في مسجد أم درمان وشاد فوته بناء شاهقاً واحاطه بمقصورة من قضبان الحديد وخصصه للاخطابة

في غير الجمعة فإذا صعد عليه احتشد الناس حوله فيبدأم بقوله « السلام عليكم يا أصحاب المهدي » فيردون تحيته ثم يكلمهم بما شاء ويأمرهم بما يريد ويعظمهم ويحثهم على مواظبة الصلوات الخمس في المسجد
وجملة القول ان التعاشي تغيرت عليه قلوب الناس وتبدل ولاؤهم له
بنضاً وسرت روح الثورة في جميع أنحاء البلاد وبتنا تنتظر انقلاباً نرجو
من ورائه فرجا

ذكر تعيين المؤلف وجماعة من المصريين امرأه
قلت اني لما رجعت من قرية (ولد الزاكي) في البحر الابيض اثر
هروبي الى (شرقكيله) ورجوعي منها أسلني التعاشي الى بقارى يقوم
بحراستي في المسجد وقد ظلمت خمس سنوات في اسره وسيأتي بيان ما قاسيته
في تلك السنوات حتى دخلت سنة ١٣٩ هجرية وحالة السودان على الصفة
التي بناها

وفي عصر أحد الايام سمعنا مناديا يقول ان الخلية يدعو جميع اولاد
الريف (المصريين) الى الاجتماع ضحوة الغد في ساحة دار أخيه يعقوب قفزنا
من هذا الخبر وبتنا بليلة طويلة نتوقع في غداتها سواء يصينا وذلك ان التعاشي
عودنا انه لا يدعونا الا لامر نكرهه وتقدم بيان بعض دعواته فيما مضى
وفي ضحوة الغد اجتمعنا في منزل أخيه يعقوب وكنت جالسا خلف
المحتشدين من المصريين وكانوا زهاء خمسة آلاف رجل وبعد هنية جاء
التعاشي فوقفنا اجلالاً له ورفعنا أصواتنا بكلمتي الشهادة فسلم على يوسف
منصور رئيس الطوبجية المهدوية والسيد جمعه الذي كان مدير المباشر ثم صار

طوبجيا مع يوسف منصور وأتي عليهما وامتدح اخلاصهما للمهدوية وقال
ياحبذا لو صار المصريون كلهم مثلهما في الاخلاص للمهدوية ثم التفت الى
يمينه ويساره وقال مالي لأرى ابراهيم فوزي فأسرعت بتلبية ندائه وخرجت
من الصفوف قتال لي يا فوزي أما ترى الاخوين الصادقين المخلصين لنا يوسف
منصور والسيد جمه فهلا انتديت بهما وفات فطهما ألم ترهما يقضيان أكثر
الوقت في بابي ولا تراج نفوسهم الى غير رؤيتي فقلت يا مولاي اني أشد اخلاصا
منهما ولكنك لا تقربني منك كما قربتهما فسكت وقال لقد أزممتي الحجة ثم
جلسنا وقد موالنا أربع زكائب مملوءة تمرا وشرورها أمامنا على الارض
فصرنا نأخذ التمر من التراب ونأكله فقلت له يا سيدي أريد أن أحمل جزءاً
من التمر تبركاً لآل بيتي فضحك وقال لي حمل كل منكم ما شاء

وبعد الاكل استدعاني أنا واسكندر بك وأعطاني راية لا كون أميراً على
جميع المصريين الذين كانوا من جند الحكومة النظاميين ودفع الى اسكندر بك
راية وجعله أميراً على جماعة (الخلبة) أي الرعاع الذين يقضون حياتهم رجالة
وبحترقون بالنسول بعضهم بالقرودة وبعضهم بالدفوف ويتنون على
نماتها ويضحكون الناس وهم المعروفون في مصر باسم (فجر الشام) ودفع
الى رجل كردي الاصل اسمه (حسن قره شوللي) راية وجعله أميراً على
الذين كانوا من جند الحكومة الغير نظاميين (باشبوزق) وكان أيضاً
للمصريين أميراً آخر اسمه (حسن حسين) مصري الاصل كردفاني المولد
والنشأة عينه المهدي أميراً على جميع (المواليد) وهم المصريون الذين ولدوا في
انحاء السودان وكان حسن حسين هذا تقياً ورعاً صالحاً يتظاهر بالاخلاص
للمهدوية ذات منزلة عالية عند المهدي والتعايشي وسائر الامراء وموظفي المهدوية

وكان مع ما هو فيه من شدة التمسك بالمهدوية ذاتوية حسنة لقومه المصريين فكان يدافع عنهم عند التمايشي الذي كان لا يرد له قولا وكثيراً ما دفع عنهم الضرر وبالجملة انه كان يريد منهم أن يتظاهروا بولاء المهدوية ليتمكنوا من داخلتها ويقبضوا على كثير من وظائفها التي لا يمكن لنيرم القبض عليها وقد ذكرت فيما تقدم انه رأى ابني محمد يمثل تدخين السجارة فسأله عن ذلك فأجاب به بقوله هكذا يفعل أبي وأخيراً حذرتني من اطلاع هذا الصبي على مثل هذا العمل ولم يصنع معي شيئاً يكدرني مع ان مثل هذه المسألة لو وقف عليها غيره جلبت علي ضرراً بليغاً

وعلى ذكر المصريين نذكر هنا حالتهم التي كانوا عليها في اسر المهدوية وهي لا تقل عن المسألة التي قاسيتها الا أن بعضهم نالوا وظائف كتابية في بيت المال وعند عمال الخراج ونال بعضهم وظائف صناعة البارود وتعبئة الخرطوش وسائر الادوات الحربية وقد أشرنا الى ذلك فيما تقدم وفريق منهم وأكثرهم من الضباط وذوي المراتب السامية قبل الاسر احترقوا بمهن تافهة وفتح كثير منهم حوائط اللاطمة والجزومع ذلك كانوا كلهم في حالة الاضطهاد والتحقيق من جميع السودانيين ولم يكن لذلك من سبب سوى بياض بشرتهم الذي يدل على جنسيتهم

ومن الفرائب المضحكة ان رجلاً كان جاويزاً مصرياً ثم صار يبيع « الترمس » وكان يرفع صوته في السوق ويقول (تفرج) فأمسكه حاكم السوق وقال له انك تقصد بكلمة « تفرج » مودة حكم الترك وزوال المهدوية فتصل من هذا التأويل وحلف انه لا يقصده فأمر بجلده بخمسة مائة جلدة وفي أثناء الجلد كان يصيح بقوله « لا تفرج » لا تفرج ثم إنه ترك

كلمة تفرح في ندائه على بيع الترمس واستبدالها بقوله «خليها على الله» فأمسكوه
ثانياً وجدوه بعد ان قالوا له انك تقصد بهذه الجملة مقصدك الاول ومثل
هذه العبارة كثير يمد بالالوف ومنها ان امام أحد المساجد في الجزيرة قال في
خطبة الجمعة « اللهم حول حالتنا الى أحسن منه » بجلدوه وعزلوه وقالوا له انك
تقصد عودة الحكومة السابقة فقال لهم ماذا أقول فقالوا قل (اللهم أدم علينا
هذا الحال » فالزم ذلك

على ان كثيراً من المصريين تقدموا عند المهديين ونالوا وظائف كتابية
وصناعية جمة كانوا بواسطتها في رغد من العيش الا انهم كانوا عرضة للسخرية
والازدراء من العامة حيث كانت ألوان بشرتهم بيضاء وكانوا ممنوعين من السفر
الى الجهات الشمالية كيلا يفرروا الى مصر حتى ان التعايشي كتب منشوراً باهدار
دم أي مصري وجد في جهة (خورشيدات) شمالى بلدة أم درمان بستة
أميال تقريبا

هذا وقد فاتني ان اذكر ان التعايشي لما مثلت بين يديه في هذه المقابلة
قال يا فوزي ان النصراني كتبوا لنا في شأنك وهم على ما ظن يحبونك فقطعت
عليه الكلام وقلت هم يحبونني لانني خدمتهم باخلاص فيما مضى واني أقسم
بالله انني أخذ بك باخلاص أشد مما خدمتهم به لانني اذا كنت خدمتهم
بصدق وهم كفار فكيف لا أخدمك وأنت خليفة المهدي عليه السلام الذي
هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك وتمايل طرباً من هذا
المدح وقال لي جزاك الله خيراً وبارك فيك أيها الرجل الصادق
هذا وقد فرحت بالامارة لانني رجوت بها خلاصاً من ربقة الموكلين
بحراستي في المسجد الذين سيجيء ذكر ما قاسيته من عذابهم بضع مدة سنوات

ذكر ملازمتي الصلوات في المسجد

قد تقدمتني لما فررت في أوائل سنة ١٣٠٥ هـ عدت الى أم درمان بالكيفية التي مرّ الكلام عليها

وفي يوم عودتي الى أم درمان اسلمني التعاشي الي بقاري يقوم بحراستي في الصنوف التي خلف مقصورته ولما رأني ذلك البقاري قال (يا ولد الريف) لماذا أنت ضخم الجثة ولماذا وجهك أبيض مع أنك كافر قتلت هكذا خلقتي الخالق فقال احمل سلاحي وسر خلتي فحملت سلاحه وذهب معي الى منزلي وتناول طعام العشاء معي

وفي اليوم التالي بدأت بأداء الصلوات بحجاب ذاك البقاري الذي انضم اليه آخر ليكونا معاً في حراستي فكانا يمتنعاني من الخروج من المسجد ولو لقضاء حاجة الوضوء كما يمتنعاني من أخذ الراحة فلا أجلس الا جانباً على ركبتي كما يجلس المصلي وقال لي يوماً (يا ولد الريف) اعلم أنك كافر وان الخليفة اسلمك الينا لنعلمك الصلاة والصوم وضيقاً على حيث صرت لا أقدر على التخلف عن الصلاة بالمسجد وكان منزلي يبعد عن المسجد جهة الجنوب بنحو أربعة أميال فكنت أخرج من منزلي قبل طلوع الفجر بنحو ساعتين وبعد أداء الصلاة أجلس لقراءة (راتب المهدي) حتي ترتفع الشمس ثم أعود لصلاة الظهر قبل نهاية الساعة الثامنة من النهار على الحساب العربي لانهم انما يصلون الظهر في بداية الساعة التاسعة وبعد نحو ساعتين يصلون العصر وفي بعض الاحيان لا يصلون العصر الا قبل الغروب بنحو ساعة وصلوة المغرب في الغالب تكون بعد غروب الشمس بنحو ثلثي ساعة وبعد ذلك اذهب

الى منزلي الذي كنت لا أدرك فيه راحة اكثر من بضع ساعات حتى صرت في حالة يرثي لها من العذاب الاليم والحاجة الى الراحة فاتفقت مع البقلاويين الحارسين على ان أدفع لهما ريالين عن كل وقت أتخلف فيه عن حضور الصلاة فقبلا بعد رجاء شديد وعدا ذلك أنهما كانا يذهبان معي الى منزلي ويتناولان معي الطعام ويكفاني بشراء ملابس لهما ولولادهما ونسأهما بعد كل شهرين أو ثلاثة وفي بعض الاحيان يأخذني احدهما الى الحى الذي تقيم فيه عشيرتهم فيجتمع حولي منهم نحو مائتى شخص أظل نهاري كله اكتب لهم الخطابات الى ذويهم في جهات مختلفة واقرا لهم الخطابات التي تأتيهم منهم وكلهم يدعوني (النوبي الذي دفعه الخليفة رقيقاً لهم)

وتصنع نساؤهم آنية من سعف (الدوم) محكمة الاطراف الى درجة ان الماء لا يقطر منها كانها من الاجسام الصلبة ويتخذها الناس آنية يشربون فيها الماء فكانا يأتاني ببضع اواني منها في الاسبوع ويكفاني بييما والويل ثم الويل لي اذا لم أجد من يشتريها فكنت أحملها واذهب الى مارني واكفهم بشرائها وأعود بثمنها اليهما .

وفي ذات يوم قضيت نحو نصف النهار ولم أجد من يشتري تلك الآنية فعدت بها اليهما فانتاظا وقال لي انك لا تزال كافراً يا منحوس وسنخبر الخليفة بذلك بنجد الدم في عروقي واسرعت الى حاتوت أحد أصدقائي النجار وكان أوروبيا والدمع يسيل على خدي فاخبرته الخبر فاسرع باعطائي ثمن الاواني وأخذها لنفسه فعدت اليهما ودفعته لهما فقال لي الآن اسلمت .

وصرت بعد ذلك الح عليهما واكثر الاعتذار حتى صارا يقبلان ريبالا واحداً عن كل وقت من أوقات الصلاة أتخلف عن حضوري فيه ثم بعد بضعة شهور

أعدت الرجاء عليهما حتى رضيا بثلاثة ارباع الريال ثم بئصفه وهكذا حتى صرت ادفع عن كل وقت قرشين ولما اشتدت المجاعة في سنتي ١٣٠٦ و ١٣٠٧ كانا يقولان لي يظهر لنا انك في سعة من العيش فكنت أحلف لهم اني في نهاية الضنك وفقدان القوت وكنت في ذات يوم تناولت غذاء من اللحم وجئت المسجد فتجشيت فصاحني هل تغذيت بلحم فقلت كلا فمضبا وشماني وقالوا لي انك لا تزال مصرا على الكفر وكلما اعتقدنا فيك حسن الاسلام يبدو منك ما يغير هذا الاعتقاد لانك تاكل اللحم وحدك فاجتهدت في نفي هذه التهمة عني وزدت لهما الراتب وبمد عناء شديد تحصلت على رضاها وصرت أمانع التجني وانا جالس معها

ومما يشبه هذه النادرة ان أحدهما قال لي يوما ان بنته مريضة وهي تشتهي السكر فقلت له اني ما ذقته منذ خرجت من الخرطوم لان المهدي أوصاني بالزهد في الدنيا والسكر ذو طعم حلو لا يليق بالزهاد تناوله فتمجبا من قولي وقالوا لي لا بد من احضار (عجل سكر) هكذا يسمون القمع من السكر فقلت لهما ان ثمنه مرتفع جداً ولا يمكنني دفعه وبمد اللتيا والتي تمكنت من إقناعهما بتركه وقلت في نفسي يكفيني تقديم الملابس لهما ومعلوم الاوقات فاذا فتحت باب السكر واللحم اكون قد جنيت على نفسي جناية ربما كانت مغنيتها سيئة على

ومكثت على مثل هذه الاحوال من سنة ١٣٠٥ هجرية الي أوائل سنة ١٣٠٩ حيث تعينت اميراً كما مر ولما تعينت اميراً امتنعت من حضور الصلاة بجانب ذيك البقارين

فاعلم التمايشي فاستدعاني وهو جالس في مقصورته بالمسجد وقال لما
 ذا امتنعت من حضور الصلاة مع رفيقك فقلت له يا مولاي انك عيتني
 اميراً ولا ريب انك رايت في أهلية لان اكون مرشداً لمن وليتني عليهم فانا
 أقوم اليوم بتربيتهم وحضور الصلاة معهم فضحك وقال لذيالك البقارين
 اتركاه وبذلك خلعت من ربة ذلها وبت آمنة من وشايتها في اكثر أوقاتي
 والله الحمد من قبل ومن بعد

ويوجد مئات من الناس قضاوا اكثر ايام المهديوية في مثل هذا الحال الذي
 وصفناه وكثير منهم فقدوا ثروة طائلة في سبيل استرضاء المولكين
 بحراستهم بمثل الطريقة التي تقدم الكلام عليها مما يدل على ان المقصود الحقيقي
 من وضع الناس تحت المراقبة في الصلاة هو تسريب مافي جيوبهم من المال
 الى جيوب ضعفاء البقارة وكذلك أمر السجن فان السجناء واعوانه يتناولون
 من المسجونين أموالاً طائلة حتي أصبح السجناء وارباب أموال كثيرة

ذكر انتفاض الخليفة شريف واولاد المهدي

الخليفة شريف ابن عم المهدي وثالث الخلفاء كما مر الالماع الى ذلك وهو
 الذي لقب (بخليفة الكرار) وكان قبل وفاة المهدي صاحب الحظوة عنده
 بالرغم عن تقدم التمايشي عليه

وقد ذكرنا انتفاضه على التمايشي بعد وفاة المهدي وكان للمهدي ثلاثة
 اولادهم الفاضل ومحمد والبشرى وكانوا في سن الطفولية لما توفي أبوم
 وفي أوائل سنة ١٣٠٧ زوج التمايشي محمد بن المهدي بنته واسكنه
 معه في داره فكان يظهر لها الكراهة والنفور لان التمايشي اضطهد اخوته

وأقاربه ومنع عنهم العطاء من بيت المال منذ وفاة المهدي فكان الخليفة شريف يعطى مرتباً شهرياً يبلغ مائتي ريال وهو قدر زهيد بالنسبة لما كان يتناوله في أيام المهدي وليتهم كانوا يتقدمونه إياه في كل شهر اذ الحقيقة انه كان لا يقبضه الا مرتين أو ثلاثاً على الاكثر في السنة كلها وزد على ذلك أن التمايشي انتزع راياته من يده ووزع جيوشه التي اهمها الجيش الذي هلك مع ابن النجومي في الحدود المصرية

وكان للخليفة شريف حراس من ذوي قرابته يطلق عليهم اسم (الملازمة) يركبون الحبول الكريمة ويحملون الحراب الطويلة ويحيطون به كلما خرج من داره فانزعهم التمايشي منه والحقهم بعمان دقنة في السودان الشرقي وبالجملة أصبح الخليفة شريف مجرداً عن كل مميزات الخلافة التي كان حائزاً أوفر نصيب منها في أيام قريبه المهدي وكذلك أولاد المهدي الذين ذكرناهم فانهم صاروا في نهاية الاضطهاد الا محمداً الذي تزوج بنت التمايشي فانه كان معنيا بشؤونها ويقدم الطعام لها ولصهره فقط

وكان للمهدي أولاد غير هؤلاء في سن الطفولية ونساء يزيد عددن على المائة وكان الكل في نهاية الضنك يتضورون جوعاً ولما فشت المجاعة في سنتي ١٣٠٦ و ١٣٠٧ كادوا يهلكون من الجوع لو لم يتداركهم ذووم

ولما دخلت سنة ١٣٠٩ وصارت حالة السودان الى ماأشرنا اليه وتغيرت قلوب الاهلين وتحفزوا للوثبة على التمايشي اغتم الخليفة شريف وأولاد المهدي والمضطهدون من أقاربهم هذه الفرصة وارسلوا الدعاة سرا الى بلاد الجزيرة يدعون الاهلين للانتفاض على التمايشي ومبايعة الخليفة شريف

وضربوا لذلك اجلا يجتمعون فيه بام درمان وهو السابع والمشرون من شهر رجب سنة ١٣٠٩ ودخل في هذه البيعة كثير من الوجوه والثواد واكثرهم من حزب التعايشي الذي لم يكن عالما بما دبروه حتى اذا كانت ليلة الثاني والعشرين من شهر ربيع الثاني دخل عليه أحد الجواسيس وأوقفه على المسألة فاستدعى رجلا من أهالي كردقان وهو دنقلي الاصل اسمه السيد المسكي بن اسماعيل الولي وكان أول انسان بايحه يوم توفي سلفه المهدي وقال له اذهب الى الخليفة شريف وبايحه بما يريد على شرط ان تقف على مادبره وتخبرني به فاطاعه وذهب الى شريف وعاهده على المصحف الشريف وعلم منه كل ما يريد التعايشي الوقوف عليه ثم عاد اليه واخبره به فجمع التعايشي أخاه يعقوب وذوي قرابته ليتداولوا في الامر فقر رأيهم على ان يهجم رجال التعايشي على الخليفة شريف وأولاد المهدي ويقبضوا عليهم قبل ان يحل الاجل المضروب وكان فوزي وأحمدى ابنا محمود باريه الدنقليان كائين للتعايشي فاعلم الخليفة

شريفًا بما أجمع عليه رأى التعايشي لانهما كانا ممن عاهدوه على اتمام امره

وفي اليوم الثالث والعشرين من شهر ربيع الثاني فشا الخبر بين الناس فاصدر التعايشي أمرا الى الجهادية بالزحف من معسكرهم الى داره فخرجت الجهادية مارة على (الموردة) وما حولها من السوق فهبوا كل ماصادفهم في طريقهم حتى وصلوا الى دار التعايشي

واجتمع حول منزل الخليفة شريف نحو عشرة آلاف مقاتل جلهم من الدناقلة وأهالي القرى التي حول أم درمان وكان منزل التعايشي لا يبعد عن منزل الخليفة شريف باكثر من مائة متر واحتشد في المسجد اكثر السكان الذين يظن التعايشي انهم مع عدوه فامر الجهادية بالوقوف على أبواب المسجد ومنع من به

من الخروج حتى لا ينضموا الى الخليفة شريف وحولت الازقة التي بين منزل الخليفة شريف ومنزل التعايشي الى متاريس وخطوط نار

وكان التعايشي وقتئذٍ في بيته فلم يخرج حتى وثق من ان مقذوفات المتتضين لا تصل اليه وأقيمت عدة متاريس على جدار منزل المهدي الملاصق لمنزل الخليفة شريف ووقع الرعب في قلوب البقارة وفر ثلاثمائة فارس منهم قاصدين كردفان وبلغ الحماس مبلغا عظيما من المتتضين حتى ان النساء تسلحن مع الرجال وفي اصيل النهار هجمت مائة امرأة منهم على نحو خمسين فارسا من البقارة كانوا يسقون خيولهم على ضفة النهر فاسعوم ضربا بالاصصى فقروا وتركوا خيولهم غنيمة للنساء المتحمسات

وبات الناس ليلتهم يحترس بعضهم من بعض والتعايشي يرسل الرسل الى الخليفة شريف ويلين له الكلام

وفي منتصف الليل هجمت رجال الخليفة شريف على صفوف التعايشي حتى زحزحوم عن مواضعهم ونهبوا بعض امتعتهم

وانضم الى الخليفة شريف أحمد سليمان الذي كان أمينا لبيت مال المهدي وسعيد محمد فرج من رؤساء القبائل في دنقلة وكان قد وفد على التعايشي في أم درمان متظلمًا من يونس الدكيم أمير دنقلة وانضم اليه أيضا شايب بن أحمد أحد أمراء الدناقلة المشهورين وكان مع عثمان دنقنة وأخبار فروسيته وإقدامه مروفة يتحدث بها أهل سواكن

أما موقف الخليفة على حلوا الملقب (بخليفة الفاروق) في هذا الانتقاض فكان موقف خديمة للخليفة شريف ومباطنة للتعايشي لانه كان يظهر للخليفة شريف انه معه ويقال انه هو الذي أخبر التعايشي باصر انتقاض الخليفة

شريف عليه

وقد جمع الخليفة على حلو مقاتلته وكانوا زهاء خمسة آلاف فارس ونحو
عشرة آلاف من الرجال وكلهم من عشيرته (دغيم وكنانة) وهم الذين مررنا
السكلام على انهم اول من بايع المهدي يوم اجتاز النهر من جزيرة آبالى الضفة
الغربية وهم الذين نصروه في جبال (قدير)

وفي غداة اليوم التالي فرق التعاشي مقاتلته فأحاطوا بمنزل الخليفة
شريف من جميع الجهات وابتدأ إطلاق النيران من القريتين واستمر نحو
ساعتين لم تظهر في خلالها نتيجة غلبة أحدهما وهجم شايب احمد شاهرا سيفه على
مأشئين من جهادية التعاشي فولوا مذعورين

وفي ساعة وقوع القتال كان الخليفة على حلو مع الخليفة شريف يمرض
عليه شروط الصلح وهي كما يأتي

أولاً تعاد للخليفة شريف وایاته

ثانياً يدفع له مرتب ٢٠٠٠ ريال في كل شهر

ثالثاً يدفع لكل واحد من اولاد المهدي مرتب يكفيه

رابعاً ينفق التعاشي عن كل الذين بايعوا شريف على الانتقاض

خامساً يتعهد الخليفة على حلو بانفاذ هذه الشروط

سادساً يعزل يعقوب أخو التعاشي عن وزارة أخيه لانه مرتش

ولانه سبب جميع المظالم التي أخربت البلاد

سابعاً يعزل قاضي الاسلام أحمد على

ثامناً لا يقطع التعاشي أمراً دون مشاورة الخليفة شريف

تاسعاً يطلق سراح محمد خالد زقل (الذي تقدم لنا ذكر سجنه)

وقد تم الاتفاق شفاهياً على هذه الاوجه وحلف الخليفة على حلوه على
المصحف الشريف أن يكون ظهيراً للخليفة شريف ان لم تنفذ هذه
الشروط ثم اصطحب الخليفة شريفاً معه الى منزل التعايشي الذي قابله
بالتجلة والاكرام وأخذ يبكي ويعانق الخليفة شريفاً ويقول له ان المهدي
جاءه في الحضرة وأمره باجابة مطالب الخليفة شريف وان النبي صلى
الله عليه وسلم أوصاه به وحلف التعايشي على المصحف أنه لا يبدل شرطاً
من الشروط التي اشترطها عليه الخليفة شريف وانصرف الخليفة شريف الى
داره وارسل له التعايشي ثلاثة آلاف ريال وأمر الناس بالكف عن الحرب
وأمر الرؤساء بالذهاب الى تجديد بيعة التعايشي فوق ذلك على الجميع موقع الصاعقة
وعلموا ان ذلك خدعة وان التعايشي سيقنص منهم فلاموا الخليفة شريفاً
على تسرعهم في ابرام الصلح بدون مشورتهم فاخذ يؤكد لهم استحالة
اقدام التعايشي على الانتقام منهم فهزوا بقوله ولكنهم لم يجدوا سبيلاً عن
الكف عن الحرب والتوجه لمبايعة التعايشي الذي قابلهم بالبشاسة والاكرام
وعفا عنهم وحلف لهم على الوفاء بما جاء في الشروط التي أوردنا ما فلم يصدقوه
وايقنوا ان العاقبة وخيمة

ويقال ان الخليفة شريفاً عمداً الى المصالحة مضمراً الفدر حيث كان
موعد الاجتماع عليه في أواخر شهر رجب فصالح على ان يقوم بأمره عند حلول ذلك
الاجل حيث يجتمع عليه الناس ولكن ساء قاله واتخذ التعايشي الحيلة لاجباط
ذلك كله

وفي اليوم التالي ركب التعايشي في نحو ستة آلاف فارس واجتاز الاحياء
التي يسكن فيها المنتفضون مع الخليفة شريف وأمر الفرسا بنهب ما في المنازل

من المتاع قتلوا وكانوا يجردون النساء من ملابسهن حتى المآزر
وانفذ السرايا الى الجزيرة فقبضوا على رؤساء الدين بايعوا الخليفة شريفا
ونهبوا أموالهم

على ان اكثر الناس كانوا مشايخين للخليفة شريف وكانوا على يقين بان
قيامه سيأتي بفائدة الخلاص من نير البقارة وأنه لو لم يصالح على الشروط المتقدمة
وشهر الحرب لظهر على التمايشي الذي لا قوة عنده غير الجهادية الذين اكثرهم
يظهرونه على التمايشي

والحاصل ان ثورة الخليفة شريف جاءت مغتبا سيئة عليه وعلى كثير من
الذين مالوا اليه اذ يبلغ عدد من ذهبت دماؤهم هدرا بسببها بضعة آلاف شخص
كلهم ماتوا في المنى وقتلوا بسيف انتقام التمايشي كما سيأتي ذكر ذلك كله في
مكانه فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ذكر القبض على كبار حزب الخليفة شريف وقتلهم

تقدم لنا الكلام على المعاهدة التي انحسرت بها ثورة الخليفة شريف
وقد مضت على هذه المعاهدة اثنتان وعشرون ليلة يبدى التمايشي في كل يوم
منها من دلائل الاحترام للخليفة شريف ما جعله له أطوع من بنانه حتى
أسلمه جميع الاسلحة النارية التي كانت عنده وكانت تبلغ زهاء الفى بنديقية من طرز
وامنجنون وكان التمايشي يركب في كل يوم والى جانبه الخليفة شريف الذي نمرة
بكرة عطاياه حتى وردت عليه انباء من انفذهم للقبض على رؤساء القبائل الذين
لهم ضلع مع الخليفة شريف وجمي بهم مقرنين في الاصفاد فقلب له ظهر
الحجن وأرسل في اليوم الثالث والعشرين لتقرير المعاهدة من قبل على أحمد

سليمان امين بيت مال المهدي وفوزي واحمدي ابني محمود باريه واخويهما
وسعيد محمد فرج من رؤساء قبائل دنقلا وادريس وريدي أحد قضاة
بيت المال وهو قريب فوزي واخوته وخمسة عشر رجلا من أقارب
المهدي وبني عمومته وكلهم من الذين أسسوا دعوى المهديوية وجرى
بهم الى منزل التعايشي وكان جالسا ومعه القضاة والخليفتان على حلو ومحمد
شريف فلما مثلوا بين يديه رجب بهم وهش وبش في وجوههم كأنهم
مدعوون لوليمة عنده وأمرهم بالجلوس وبالغ في اكرامهم ثم قال لهم
يا اخواني ان النبي صلى الله عليه وسلم أمرني في الحضرة ان ازجكم في
السحن اياما قلائل ريثما يأمرني باطلاقكم فما قولكم فاجابه الخليفة
شريف بقوله لا يمكن سجنهم لان ذلك مخالف لما عهدنا عليه فسكت التعايشي
وأجاب الخليفة على حلو الخليفة شريفا بجدة وغضب قائلا أنت تعارض
في أمر النبي صلى الله عليه وسلم ووثب رجل من قواد (دعيم) اسمه
ابن أبي بلال وانهر الخليفة شريفا وقال له كان المهدي قريبا يحكم في
الحار بامر الحضرة ولا يستطيع احد ان ينكر عليه فلماذا أنتم اليوم تحرمون
على غيركم ما كان لكم حلالا بالامس فسكت الخليفة شريف وعلم ان
الخدعة تمت عليه وترك الكلام في أمر معارضته في حبس رؤساء حزبه
وأخذ يخرج على ما كان من اهانة ابن أبي بلال له مع ان ذلك لم يحصل
منذ قامت دعوة المهديوية لانه لا عقاب لمن يتجارى على مخاطبة
أحد الظلماء بأقل شيء تشتم منه واهانة غير القتل فقير التعايشي الكلام
وخاطب أحمد سليمان بعبارات المحبة والتبجيل وذكر قربه من المهدي
وحظوته عنده ثم قال يا اخواني طبوا نفسا ولا تظنوا سوا قوموا واذهبوا

الى السجن الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بادخالكم فيه وقال للخبراء الذين يحيطون بهم سروا السجن ان لا يضع في رجلى كل واحد منهم غير قيد صغير لانهم من أجل أصحاب المهدي عليه السلام وذوى قرابته ثم قال لهم هيا اذهبوا على بركة الله فودعوه وخرجوا من الباب فاحاط بهم نحو خمسمائة بقارى وضربوهم الضرب الذي يسمونه (مطره صبت) وكيفيته ان يجتمع مائة نفر فاكثر ويضربوا بالعصى شخصاً واحداً أو عدة أشخاص

ثم سيقوا الى السجن وعاد الخبراء واخبروا التعاشى بانهم قد أودعهم السجن فامر الناس بالانصراف الا واحداً من أقاربه فلما انصرفوا قال لاحد الخبراء عد الى السجن وقل له ضع في كل واحد عشرة قيود وزن كل قيد عشرون رطلا من الحديد ثم قال لتقريبه اعلم انى منذ ست وعشرين ليلة مازار النوم اجفاني أى من يوم سمعت بامر الخليفة شريف الذي لم يكن في ظني ان مساعى تقرن في مسألته بالنجاح وتأتى بمثل هذه النتيجة المرضية ومنذ حبست أحمد سليمان ومن معه شعرت براحة في نفسى وهجم النوم على جنفى فاستودعك الله لانى ذاهب الى حجرة نومي فودعه وانصرف ودخل التعاشى الى حجرة نومه فلم يستيقظ الا بعد ظهر اليوم التالي ومكث أحمد سليمان ومن معه ثلاثين ليلة في السجن ثم حملوا الى فشوده على إحدى البواخر النيلية وأرسل معهم التعاشى كتابا الى الزاكي طمل وكان معسكراً وقتئذ في فشوده لقتال (الشك) كما قدمنا

ولما وصلوا اليه استدعاهم في مجلس خاص بقواده وخاطبهم لماذا يامعشر الدناقة تحاربون خليفة المهدي فردوا عليه أقبح رد وقالوا له ان المهدي الذي أوردكم الملك دنقلى منا وانتم بقارة ارقاء فساءه ذلك رقال لهم لا قتلنكم كما قتل

الكلاب وأمر أن يضرب كل واحد منهم عشرة أشخاص بالعصى الغليظة
حق يموت فمكثوا على هذه الحالة بضع ساعات حتى تهشت رؤسهم
وسحقت سحقتا

ولما شرعوا في ضربهم قال أحمد سليمان لفوزي نحن الآن على شفا الموت
ولا مطمع لنا في الحياة فانا أناشدك الله هل المنشور الذي يتلى كل يوم في
المسجد وفيه ان التعاشي أوتي الحكمة وفصل الخطاب مطابق للاصل الذي
صدر من المهدي فقال فوزي اللهم لا بل التعاشي هو الذي أمرني بوضع الزيادة
التي زيدت فيه فقال أحمد سليمان اعلما ان المهدي كان ينوي الفتك
بعبد الله التعاشي ولم يستخفه الا لانه كان مطلقا على كثير من اسراره
وكان يظن انه ترك قوة عظيمة في يد الخليفة شريف نقدر على كبح جماح
التعاشي متى أراد الخروج عن طوره ولكن بالأسف ان الخليفة شريفا خدع
في بداية الامر وأسلم راياته للتعاشي وأصبح بلا قوة ثم خدع في هذه المرة
وسيلاقى ما جنته يده فالتفت اليهما سعيد محمد فرح وقال لهما كفا عن هذا
الهديان واعلم يا أحمد بن سليمان ان مهديكم كاذب ظالم وعقله استخف من عقل
قريبه الخليفة شريف والدليل على ذلك انه لم يحتر من جميع الناس الذين تبعوه
من هو أهل لخلافته غير بقاري أجمل من الحمار ولينه كان بقاريا ذا حيثية في
قومه بل هو كما يعلم الكل دكروري من أوباش البقارة ثم طرأ عليهم كلهم
ما منعهم عن الكلام فأتوا وألقيت اشلاؤهم للكلاب والذئاب
وكانوا كلهم عدا سعيد محمد فرح من اكبر انصار المهدي ومن خيرة اعوانه
وقد تقدم لنا كلام عن أحمد سليمان ومنزلته عند المهدي فلا حاجة لاعادته
هنا وقد ذكرت أيضا ما لحقني من تعذيبه لي

أما فوزي واخوته فاتهم كما قلنا دنقلبون كان أبوم قاضيا في أحد مراكز
 كردفان فلحق فوزي بكتبة التمايشي حتى صار رئيسهم
 وقد صودرت أموالهم وأخذت نساؤهم مسيات وهدمت منازلهم
 وأصبحوا عبدة لمن يعتبر والي الله مصير كل شيء

ذكر القبض على الخليفة شريف وحبسه

لما قبض التمايشي على احمد سليمان ومن معه لزم الخليفة شريف منزله
 وامتنع من الذهاب الى منزل التمايشي الذي أمر بالقبض على نحو ألقى رجل
 من حزب الخليفة شريف ونفاهم الى النيل الاعلى وقتل اكثرهم في الطريق
 وشاع بين الناس ان التمايشي ظفر بالقائمة التي فيها أسماء من بايعوا
 الخليفة شريفا وجلهم من الامراء ووجوه البلاد نفاوا العاقبة وأرسلوا
 للخليفة شريف سرا يدعونه للقرار من أم درمان والحق بالجزيرة
 ليظهروا مبايعته ويقوموا بأمره وحيثما يكون أحد الامرين إما الموت
 أو الظفر وهذا قريب من الصحة لما قدمناه من انحراف الناس عن التمايشي
 وسعيهم في الخلاص من يده

ولما كان الخليفة شريف هذا بليدا لم يلتفت لما أشار به أنصاره ولم يعبأ بما
 عرضوه عليه من الآراء الخازمة وظل مقبلا في داره حتى شاع بين الناس
 ان التمايشي أوشك أن يقبض عليه فذهب واحد من خواصه وأخبره
 بذلك فسخر منه وقال له ان ذلك لا يمكن أبدا لاني ثالث الخلفاء وان
 المهدي أخبرني في أحد منشوراته بان المهدي لا تقوم قائمتها بغيري
 وعلى ذكر المنشور نقول انه يوجد منشور منسوب للمهدي ولكنه لم يدرج

ضمن كتاب المنشورات التي تقدم لنا ايراد بعضها لان التمايشي منع من طبعه
وفي المنشور معميات والغاز كالتى يستعملها بعض المتصوفة ومنها كلمتا (دهودي
بهمودي) وفيه أيضا عبارة تشبه اللغز وهي (انه لن يصح انتقال من الدنيا
حقيقية مادام الخليفة شريف موجوداً بها)

على ان بعض الناس ينكرون صدور هذا المنشور من المهدي والحاصل
ان الخليفة شريف كان آمناً على نفسه اعتماداً على هذه الخزعبلات ولذلك لم
يبدأ بمشورة الدين حثوه على الفرار

وتوجد مسألة خلاف قديمة بين التمايشي والخليفة شريف وهي ان
المهدي زعم في أوائل دعواه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهداه سيفا
قال له هذا سيف النصر وخاصيته أنه لا ينصر أحد على من كان حاملاً له وقد
جمعه من ضمن الكرامات التي خص بها وقد تقدم ذلك في كثير من
المنشورات التي تقدم ايرادها

ولما توفي المهدي أمسك الخليفة شريف هذا السيف وامتنع من تسليمه
للتمايشي الذي كان يلح في طلبه من الخليفة شريف لالاعتقاد بما يقال عنه
بل لانه كان يرى ان بقاء هذا السيف في يد غيره يخفض من شأنه قليلاً في
حقوق الخلافة اذ العامة من الدراويش تحدث بشيء كثير عن كرامات هذا
السيف فيقول بعضهم انه يضرب ويسمع له صوت كصصف الرعد اذا
اقترب العدو من مدينة المهدي. ومنهم من يقول انه اذا اقترب منه الجانب
ضرب عنقه بمنير ضارب ولا يستطيع أحد حمله غير صاحبه المهدي الى غير
ذلك من أقوال البسطاء. ونقل لي مصري كان مقرباً من المهدي انه سيف
مثل سائر السيوف وليس فيه خاصية مما تحدث به العامة ويصدق البسطاء

وشعراء الهدوية ينظمون فيه الموشحات ويذكرونه كثيرا في قصائدهم
 وكان الخليفة شريف متقلده في غضون ثورته
 وفي اليوم الثالث من شهر رجب سنة ١٣٠٩ جمع التمايشي القضاة
 والامراء وطلب منهم ان يكتبوا محضرا يقولون فيه ان الخليفة شريفا
 اعتزل الجمعة والجماعة واصر على العصيان ولزم منزله فكتبوا ذلك ثم قال لهم اذهبوا
 مع الخليفة الي حلو وادعوه الى الحضور في داخل قبة المهدي ثم اقبضوا
 عليه فذهبوا وارسل اليه الخليفة على حلو يدعوه الى الحضور فامسكه محمد أحد
 أولاد المهدي وقال له لا تذهب واعتذربانك مريض فاذا أرخى الليل سدوله
 فاهرب الى الجزيرة فقال له لا تخف فانهم لا يستطيعون ائصال الاذي الى
 فذهب معهم وما كاد يستقر به المجلس حتي وثب عليه من حوله وقبضوا عليه
 واخذوا سيف النصر من يده وأوسعوه ضربا وساقوه الى باب التمايشي
 وأسلموه للحراس الذين أخذوا يلطمونه ويهينونه ودخل الخليفة على حلو
 والقضاة على التمايشي واخبروه بما صنعوا. ويقال ان التمايشي طلب منهم ان
 يوافقوه على صلبه وأخيراً أمر به فسيق الى السجن وما وصله الا بعد أن بلغت
 روحه التراقي لكثرة ما لحقه من الضرب وهناك وضعوا في رجليه عشرة
 قيود من الحديد ووضعوا في عنقه جنزيراً وزنه خمسون رطلا وسنعود الي
 ذكر بقية أخباره

ذكر القبض علي عبد القادر ساتي علي

ومحمد عبد الكريم وقتلها

عبد القادر ساتي علي ابن عم المهدي ومحمد بن عبد الكريم

ابن أخى عبد القادر ساني على وكان الاول فقيها شاعراً أديباً ولد في الخرطوم
وزرب فيها ولحق بقريبه المهدي في كردفان فاكرم وقادته وعرف منزلته
وصار مبعلاً عنده وعهد اليه برئاسة الامناء الذين ينوبون عنه في نظر المسائل
العمومية وجعله أميناً على خاتمه

وكان عبد القادر ساني على شديد البغض للتمايشي يعيبه بالجهل ويرميه
بالظلم وكثيراً ما طلب من المهدي اقصاه عن منصب الخلافة وكان يمانه في
انفاذ كثير من مآربه ويؤدريه ويحترمه ولا يجلس بين يديه جاثياً على ركبتيه
كما هي عادة الدراويش في آداب الجلوس عنده

ولما توفي المهدي كان أول عمل أتاه التمايشي عزل عبد القادر عن منصبه
ثم بعد بضع سنوات صادر أمواله وحبس بضعة شهور. وكان لعبد القادر معرفة
بالطب فاشتغل بهذه المهنة ليحصل منها على قوته حتى اتصل بالتمايشي ان
عبد القادر أصبح ذا ثروة عظيمة من مهنة التطيب فاستدعاه الى مجلس حافل
بالقضاة وقال له لا يليق بك وأنت عم الامام المهدي عليه السلام ان تشتغل
بمهنة دنيئة كالتطيب فقال له (نعم يليق بعم المهدي ان يموت جوعاً) فقال له
اياك ثم اياك والتطيب واعلم أنك ان لم تنته عن هذه الصناعة تكن قد
عصيت أمرى وأنت عالم بعقوبة من يعصيني فذهب الى منزله وامتنع من
التطيب خوفاً على حياته حتى صار في حالة يرثى لها من الفقر وفقدان القوت

وأما محمد عبد الكريم فإنه ابن عم المهدي وكان من اكبر قواده وهو
الذي فتح سنار واغتال منها قناطر مقلطرة من الذهب كما سبق الكلام على ذلك
وكانت طريقته في الازدراء بالتمايشي لا يختلف عن طريقة عمه عبد القادر
وقد صادر التمايشي أمواله أيضاً جملة صرات

ولما انتقض الخليفة شريف كان محمد عبد الكريم معه أما عمه عبد القادر
فكان ملتزماً بجانب الحيات

وبعد ان قبض التعاشي على الخليفة شريف وسجنه قبض على عبد القادر
ساتي وابن أخيه محمد عبد الكريم وأرسلهما الى الزاكي طمل في فشوده فقتلها
ضرباً بالهصى كما قتل احمد سليمان ومن معه

وقد جرت بينهما وبين الزاكي طمل مكاملة تشبه التي جرت بينه وبين
احمد سليمان ورفقائه وقد أظهر عبد القادر ساتي عليّ جلدًا وشجاعة بخلاف
ابن أخيه محمد عبد الكريم فانه جبن وخارت عزيمته وطمع في الحياة بالتزلف
للزاكي الذي كان لامندوحة له عن انفاذ ما أمر به التعاشي

هذا وقد جئنا بذكر قتل هذين لشهرتهما بين أقارب المهدي الذين يقدر
عدد من قتل منهم ومن أقاربهم بسبب هذه الحادثة بنحو ثلاثة آلاف رجل عدا
الشبان الذين كانوا حراساً للخليفة شريف فقد طرح عدد كبير منهم طمة
لاسماك النيل

وكان لمحمد عبد الكريم محظيات في نهاية الحسن والجمال فكان التعاشي
يرسل الى الواحدة منهن ويحبها الى منزله فاذا قضي منها وطره أخرجها
وأعادها الى منزلها

ذكر شأن نساء المهدي مع التعاشي

ذكرنا ان المهدي مات عن نيف ومائة امرأة اكثرهن قد استعمل
وطأهن بملك اليمين على الطريقة التي تقدم الكلام عليها فلاحاجة لاعادتها
ولما مات المهدي وأتمت النسوة عدة الموت جمع التعاشي الخلفاء

والقضاة وعرض عليهم اخلاء سبيل كل امرأة لم تزق ولداً من المهدي لان كثيراً منهم لم يقترب منهم فمرض الخليفة شريف في هذا الامر وقال ان نساء المهدي كنساء النبي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وهن أمهات المؤمنين اللواتي أمرهن الله بعدم الخروج من بيوتهن وأورد الآيات التي نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم كأنها نزلت في نساء المهدي فقبل الحاضرون قوله وأعرضوا عما أشار به التعاشي

ومكث أولئك النسوة في داخل بيت يسكن كل خمس منهن في كوخ من البوص واجري التعاشي على كل واحدة منهن راتباً شهرياً قدره خمس ريات يتناولنه في السنة كلها مرتين أو ثلاثة و وكل حراستهم إلى نحو خمسين من الحصيان الذين كانوا ملوكاً لوجوه وأعيان المصريين في سائر مدن السودان وصارت حالة النساء والحصيان تنتقل من سيء إلى أسوأ. وبالجملة لولم يكن لهاته النسوة أقارب يتداركوهن ببعض القوت لمتن من الجوع وكذلك الحصيان كان قوام معيشتهم من التسول ومد ايدي السؤال للامراء واعيان البلاد

وفي سنتي الجماعة مات كثير من النساء اللواتي لم يكن لهن أقارب ومات كثير من أطفالهن أولاد المهدي

وكن كلما شكون إلى التعاشي ما هن فيه من شظف العيش يبكي وينتحب ويقول لهن انكن آل بيت المهدي لانصيب لكن في الدنيا وليس لكن غير الآخرة حتى اذا كانت سنة ١٣٠٩ وانتقض الخليفة شريف على التعاشي قام نساء المهدي بمظاهرة ولاء للخليفة شريف فاعتاظ التعاشي وممر إحاطة منزل المهدي بسور من الحجارة ليفصله عن ملاصقة منزل الخليفة شريف وبعد أن

قض على الخليفة شريف جاء التمايشي الى منزل المهدي ومعه ألف مقاتل مسلحون بالاسلحة النارية فاحاطوا بنساء المهدي وهن داخل ستر وضع لهن وقال لهن (انكن عصيبن الله ورسوله ومحمد به وكفرتن بهم وفدحتم القضاة باعدنمكن رميا بالرصاص) فرنمن رؤسهن فوجدن أفواه البنادق موجهة اليهن فصرخن واعلمن وجوههن ومنهن من هربن لنساق الجدران التي كانت تناطح السحاب ومنهن من القت نفسها في بئر وبالجملة ان أولئك النساء روعن روعا شديداً فضلاً عما هن واقعات فيه من شظف العيش وسوء الحال ولما رأي التمايشي ما صارت اليه حالتها وأن بعضهن ثبتن وقلن له انا لا نرهب الموت الذي تمهدنا به لانك انا تقتل نسوة لا يشرفك قتلن ومع ذلك فان قتلنا شيء لا يذكر في جانب كفرانك بنعمة المهدي الذي أحلسك على الملك فاذا كفر بنا دي كل يوم وليلة على رؤس الاشهاد بان المهدي دنقلي فان قتلنا لا يذكر في جانب هذه الشتائم

ويقال ان زينب اكبر بنات المهدي امرأة الخليفة شريف أغلظت له القول واهاته بالشتائم فانصرف وقال لنساء المهدي اتي عنوت عنكن وانما قصدت بفعل هذا ارهاب اللواتي تظاهرن منكن بولاء الخليفة شريف والحاصل ان نساء المهدي وخصيانه كتوا في الدل والهوان يقاسون من شظف العيش أشده حتى فتحت أم درمان وانقشع ظلم دولة الدراويش عن السودان

ذكر سجن اولاد المهدي

لم يكتب التمايشي بما فعله بالخليفة شريف والذين بايعوه حتى أمسك اولاد

المهدي الثلاثة وهم الفاضل ومحمد والبشري وسجنهم في منزل جدهم لامهم أحمد شرفي ومنعهم من الخروج منه وكان محمد تزوجا بنت التمايشي فأنلقها منه ومكث الثلاثة في الحبس ولم يخرجوا منه الا بعد استيلاء الجيش المصري على دنقلا

على ان اولاد المهدي لم يكونوا طامعين في الخلافة وانما كانوا متذمرين مما اصاب ذوي قرابتهم من الظلم والاضطهاد ثم القتل والنفي وكان محمد كما قلنا متزوجا بنت التمايشي وكان يبغضها ويسب أباه بحضرتها ويذكر كفرانه بنعمة أبيه وعدم وفاء بهده فكانت تخبر أباه بذلك كله حتى آل الامر لطلاقها منه

وعلى ذكر اولاد المهدي نذكر الشيخ الحسين زهرا الذي أوردنا قصيدته الحمزية التي امتدح بها المهدي ونصحته فبسه التمايشي ثم انه بعد وفاة المهدي قدم للتمايشي قصيدة ملامها بالنصح ومن ضمنها قوله له ان استخفافك باولاد المهدي واضطهادك لاقاربه يحملان الناس على الاعتقاد بانك غير مصدق بعهدته فعضب عليه التمايشي وسجنه وبعد أيام أصلقه وأمره أن يسكن في قرته في جهات (الاسلمية) على بعد ثمان مراحل من أم درما جهة الجنوب والحاصل ان جميع اقارب المهدي أصبحوا بين قتلى ومسجونين وكذلك الامراء والقواد الذين أسسوا دعة المهديوية معه فقد فعل بهم التمايشي ما فعله باقارب المهدي وأولاده ولا غرو فان المهدي سبب كل هذه المصائب التي حاقت باقاربه وقواده حيث استخفاف التمايشي عليهم وهو لا يدري ان عدوا عاقلا خير من سديق جاهل

ذكر مؤامرة عبد المولى صابون علي قتل التعايشي

عبد المولى صابون اخو حمدان أبي عنجة فاتح بلاد الحبشة الذي تقدم لنا ذكره وكان عبد المولى هذا قائدا للجهادية في أم درمان وفي سنة ١٣٠٥ أصيب بمرض الجدام وقد مر لنا الكلام على ان التعايشي كان يحبه وانه قد نفى أم زوجته بعد ان قطع يدها لما قيل له ان مرض عبد المولى ناتج من كثرة ما تصنعه له من الشعوذة والاسعار اللتين تقصد بهما استمالته لمحبة بنها ولما توفي حمدان أبو عنجة في القلابات كان أخوه عبد المولى يتوق لنيل منصبه فلم يفلح وولى التعايشي الزاكي طمل بدل أبي عنجة وعزل عبد المولى أخاه من قيادة الجهادية وولى بدله أحد أقاربه البقارة فاعتاض عبد المولى من التعايشي وأضر له السوء وحالف الخليفة شريفا عليه لكنه لم يظهر مخالفته له وانضم اليه نفر من التعايشة أقارب الغزالي الذي تقدم لنا ان التعايشي قتله لما فر من أم درمان وتأمروا على قتل التعايشي غرة بين منزله ومنزل أخيه يعقوب حيث تعود التعايشي ان يسير بينهما بحراس قدامين وكن المتآمرين في الطربوق قبل الوقت الذي يخرج فيه التعايشي من داره الى دار أخيه يعقوب بنحو ساعة من الزمن ليفتكوا به اذ ذلك

وبينا كان التعايشي يتأهب للخروج استأذن عليه أحد المتآمرين فأذن له ولدي دخوله عليه تراخي عليه مظهر اتبته واخبره بما دبره له عبد المولى ومن معه فارسل التعايشي من قبض عليهم وأودعهم السجن ثم نفوا الى خط الامتواء وهناك اتوا حتفهم

وكان عبد المولى هذا ذا فظاظة وكبر ونال من الرفعة والثروة في أيام التعايشي

ماله خطر مع انه عبد اسود من عبيد (البنضلة) لمجاورين للتعايشة كما انه أخذ
من حرائر النساء نحو خمسين امرأة من بنات الاعيان كلهن موطوات
بملك اليمين

وبعد سقوط الخرطوم بامين كان لي عبد قد أبق ولحق بجهادية
أم درمان الدين يقودهم عبد المولى هذا فذهبت اليه أسأله ان يعطيني ذلك العبد
أو ثمنه فكان أول كلمة كلمني بها أن قال لماذا أنت ضخم يا ولد الربف أم أنك مال غنبا
تخرج منه ما تفقهه على نفسك فطار لي من هذا الكلام وقلت له لا
يا سيدي بل أنا رجل فقير أعيش من هبات سادتي الامراء امثالك فقال
وهل هبات الامراء تسمنك الى هذا الحد فقلت نعم وان مولاي خليفة
المهدي عليه السلام يتماهدني باحسانه في كثير من الاوقات فانكسرت
شوكة حدته وقال لي ماذا تطلب الآن فقلت أطاب عبيدي فقال أن عبد
فقلت له نعم انني عنده لانه صار عبيدك فشفع لي عنده أحد الماخذين
فقال اني سمعت لك ياخذ العبد اكراما خاطر من شفيع فيك واحذر من ان
تدرد لي بمثل هذا الطلب فاني اذ ذك اخرب عنقك هذا المملوء لما ناخذت
العبد وانصرفت به الى النخاس وبمه باول ثمن عرضته على فيه

ذكر فدوم محمود أحمد من دارفور

مر لنا الكلام على موت عثمان آدم أمير دارفور بتولية محمود أحمد
ابن عم التعايشي بدله وذلك في سنة ١٣٠٧ وولد سار محمود هذا سيرة عوجاء
أوجيب الحراف، الهواه عنه ونفور الجنود عن ولائه واشتمت حاله في إبان
ثورة الخليفة ثم من فتنه في التعايشة من هذه المراكمة كسب أي جنود

يستقدمه الى أم درمان بمن معه من المقاتلة وقصد بذلك ان يهرب أهالي الجزيرة الذين مالوا للخليفة شريف ويرهبهم قوت التي في دارفور وأن يوفق بين محمود والذين تقموا عليه من جنوده ومقاتلته فمادر محمود أحمد الفانسر حاصمة دارفور ومعه نحو أربعين الف مقاتل منهم بضعة آلاف من الجهادية ومثلهم من الفرسان والبقية من المشاة

وبعد ان وصلوا الى جهة (الهود) وهي أول بلاد كردفان مما يلي دارفور نار عليه قواد الجهادية واطلقوا عليه الرصاص وكادوا يقتلونه وكانت عدة الثوار خمسة عشرة قائدا يقود كل واحد منهم مائة مقاتل كلهم مسلحون بالأسلحة النارية من طرز (رامنجتون) وانفصل الثوار عن المعسكر وابتعدوا عنه فاسل بهم محمود قاضي المعسكر بدعومهم الى الطاعة وبعدهم دلفقو عن جريمتهم ثم دنع لكل واحد منهم الف ريال فاذا نذر المدن ولم يقبل العودة الى الطاعة غير ثلاثة منهم وأصر الباقون على عصيانهم وابتعدوا عن المعسكر ولحقوا بحبال (اب جنوب) وهي جبل واثبة في جنوب الغربي لكردفان وسكنهم من الجبال (الزربة) الذين تقدم لنا الكلام عنهم ذرا حجة لتكرار هنا ووصل محمود الى أم درمان في منتصف ذي القعدة سنة ١٣٠٧ هـ أي بعد ان زالت مخاريف التمايشي من أخنية شرارة والذين بايعوه مخرج لاستقباله خارج البلدة وظهر سرورا عظيما بقدومه وبلغ في اكرامه الى درجة انه أمر بعمل لعاب ناربه اجريت امام محمده جنوده وهي ولا صرف صنعت فيها تلك الالعب في ايام الهيرية

وارتفعت أسعار الاموات على اشد تقدير ثم حرد أحمد ومقاتله الذين فهم انهم ما الا في دارفور في أم درمان ان كانت عام البهايم

وقدم محمود هذا أموالاً طائلة للتمايشي وأخيه بمقرب

ثم انه تزوج براقصة شهيرة اسمها بنت بدوي كان الشعراء يتفزلون
ببراعتها في الرقص وجاهر في حفلات الزواج بشرب الخمر وأحيى ايلي
الرقص بما يخالف آداب المهذوبة وصادر كثيراً من الجوارى المومسات
وأشهرهن جارية اسمها « السكات » وجمع حوله كثير من المختلين والمغنين
الذين تقدم لنا الكلام عليهم وسيأتي ذكر الجارية السكات وانها اباحت ثرية
(الجمباب) للجهادية فهبوها وألقوا بها المار
وأقام محمود بام درمان بضعة شهور ثم قفل راجعاً بجنوده الي دارفور
وستجيء بقية أخباره

ذكر القبض علي امراء الجعليين ونفيهم

ذكرنا ان جل تجار كردفان من قبيلة (الجعليين) التي تسكن بربر وقد سبق
لنا شرح احوالهم فلا حاجة لاعادته هنا وقد استوطنوا كردفان منذ زمن مديد
وكان من أمرهم انهم أعانوا المهدي علي الاستيلاء علي الابيض عاصمة كردفان
وكان الياس باشا أم بربر في مقدمة أولئك التجار الذين تقدم لنا الكلام عليهم
وقبيل ثورة الخليفة شريف باشا جمع التمايشي نحو اربعين من امراء
الجعليين ودفع اسلح واحد منهم راية وكان من بينهم عمر بن الياس باشا الذي
ذكرنا بمض مآثاه في دارفور لما ذهب اليها مع محمد خالد زقل
وعين التمايشي قائداً عاماً علي الاربعين أمراً... البربر بن العرب
كان أخوه محمد بن العرب سر نجار الابيض عاصمة كردفان وهو أكبر الابن

ساعدوا المهدي على الاستيلاء عليها

ولما ثاب الخليفة شريف كان هؤلاء الامراء في جملة من بايموه من الناس فوشى بهم الى التمايشي أحد خصميين المهدي المسمى « شكر الله » ثم ذهب أولئك الامراء وأخبروا التمايشي بانهم ما فعلوا ذلك الا ليقفوا على سر المسألة كي يوففوه عليه فشكرهم وأظهر لهم عظيم الميل والانعطاف وبعد حبس الخليفة شريف بأيام دعاهم الى مجلسه وأخبرهم ان رباط كسله ذو أهمية لا تخفي وان الايطاليين يطعمون في التقدم الى كسله وان أميرها مساعد فيسوم البقاري ضعيف الرأي وانه ينوي انفاذهم الى كسله ليقوموا بحفظ الرباط فشكروه بانصرفوا به ان تهادوا له بأن يجهزوا أنفسهم ومقاتلتهم من ملهم الخاص

وبعد أيام غادروا أم درمان وخرج التمايشي لوداعهم وساروا الى قرية (رفاعة) التي تبعد عن الخرطوم بست مراحل من النيل الأزرق ليضموا اليهم المنفرقين من مقاتلتهم في قري الجزيرة وأقاموا فيها نحو شهر وبدلاً من أن يجمعوا الرجال ويسيروا الى وجهتهم ضربوا على كل مقاتل ضربة يقدمها كغدية ليتركوه فجمعوا من ذلك أهوالاً طائلة والتمايشي يكتب لهم في كل يوم يحثهم على مغادرة فاعة وللحاق بكسله وهم يقدمون له الاعتذار في كل مرة وفي ذات يوم أرسل لهم مندوبين قبضوا عليهم في رفاعة ونهبوا أمتعتهم وما جمعوه من ضريبة انفسدية وجيء بهم الى أم درمان يسفرون في القيود والاغلال شهية دورهم التي بأم درمان

ولما أدخلوا السجن ناداهم الخليفة شريف قائلاً « ان خيانتكم لم تدفع عنكم مكروها » ومكثوا في السجن نحو شهر ثم نفوا الى خط الاستواء

وقد رأيتهم وقت خروجهم من السجن يحيط بهم الحراس والاضلال في
 أعناقهم وتميودني أرجلهم فكان الحراس يحملون الواحد كما يحمل المذاع ورمونهم
 في عنبر السفينة كما ترمي الامتعة وهكذا ساروا الى خط الاستواء وكان
 ذلك في أواخر سنة ١٣٠٩ هجرية

ذكر نفي أمير أبي قرجة

خشت سنة ١٣٠٩ وحوادث السودان فيها تحاكي ما يجري على خليفة
 شريف وحزبه وأقارب المهدي دخلت سنة ١٣١٠ ولم يبق من الأمر أو
 أصحاب المقامات من الذين تجمعهم مع الخليفة شريف جامعة الحزب أو
 الجنسية غير أبي قرجة الذي تقدم لنا كلام كثير عنه . بيت هو من أكر أمراء
 المهدي الذين حاصروا الخرطوم وولى القيادة العامة على جيش السودان شرقى
 بدل عثمان دقنه كما مر ذلك

ولما عزل أبو قرجة عن برأصد الى السودان الشرقي ولما نار الخليفة
 شريف كان هو غائباً لم يحضر تلك الواثقات تمدت العاين في أوائل سنة
 ١٣١٠ وأظهر له رغبته في توليته الامارة العامة على خط الاستواء لسابق
 خبرته بتلك الانحاء فجمع نحو ثلاثمائة مقاتل سافروا الى خط الاستواء
 على احدى البواخر وسافر معه قائد من ترو البقاة يحمل كتاباً من امير أبي
 قرجة اتقبض على أبي قرجة ومن مخرجهم في رجب حينما بسفوف خط
 الاستواء ودفع تماثيله الى ابي قرجة من مضمونه امير بهي سار نحو
 خط الاستواء

والحاصل ان ابا قرجة سافر من م درمان اميراً على خط الاستواء ولكنه

كأنه موقنا بأنه ساع الى حنقه بظلمه لانه كان ذا ذكاء وعقل
ولما وصل خط الاستواء أودع السجن هو ومن معه وقد بلغنا ونحن نهيء
هذا الكتاب للطبع انه قد فر من سجن خط الاستواء ولحق باحد
معسكرات اجيكا التي في جهات بحر الازل ثم لحق بمملكة « برقو » فاكرم
وفادته سلطها وانزله على الرحمة والسعة لكنه لم يسمح له بالعودة الى بلاده
على ما لوف عادة اهل تلك البلاد خشية ان يكون رانداً يجوس خلال الديار
هذا وان اباقرجة وان كان ماملاً مهما من عمال دعوة المهديا لكنه كان أقامهم
شراً واكثرهم خيراً واقربهم الى العدل والاحسان
وانني بسبب ما ذكرته عنه واحسانه الي في يوم كنت أساق نيه للوث
لا يسمنى الا ان اتني له نوال الخير في غربته والخلاص من رتبة أسرته

عود الي ذكر بيت المال

ذكرنا آنفاً ما كان من صلب ابراهيم مدلان أمين بيت المال السابق
وتولية النور اريفاوي بدله
وقد كان انوره اذا ثروة عظيمة جمعها مما نهبه من تجار المصريين
في بوبر كما هو ذلك وقد تناول سبعة عشرة ألف ريال من الحكومة ليشتري
بها غلال فاغتنها وقر بها ولحق بالمهديين وبمسد ان مضى عليه عامان في
بيت المال زادت في خلالها ثروته زيادة عظيمة أخذ يفكر في وسيلة يتمكن
بها من تراك وطيفة مائة بيد المال ليناح له انه يزواء بهيداً عن نظر التمايشي
الذي كان يطمح الى ثرته فظاهر في آخر سنة ١٣٠٩ بالجنون على أثر وتوجه
من جوده واخذ يخلط في الكلام بحضرة التمايشي

وقد روى لي ثقة ان النور هذا كان سائراً من المسجد الى منزله في الالة
 حالكة الظلام منفرداً وكان الراوي متأثره وهو لا يراه فسمعه يحدث نفسه
 ويقول « أحلف بالطلاق ان التمايشي سيصلبني كما صاب ابراهيم عدلان
 ليحصل على ثروتي واللاجدر بي ان أسلمه هذه الثروة واحفظ حياتي لانفرد
 بنفسى واحترف بادنى حرية يتعيش منها اطفالى » ثم يعود فيقول « كلا اذا
 دفعت له أموالى فانه يظن انى خبأت معظمها ولم أظهر له غير جزء يسير
 منها واذا ذاك تحرك اطماعه ويمدبني لاسلمه الباقي ولا شك فى اننى أموت
 بسبب العذاب وحينئذ اكون قد جنيت على نفسى » ثم يقول « أحلف
 بالطلاق الثلاث ان المسألة معقدة لا يقدر احد على حلها والاولى بي أن أظاهر
 بالجنون والله تعالى يفعل بي ما يريد »

ثم انه تظاهر بالجنون مدة حتى بداله أن يتضرع الى التمايشي ليقبله من
 أمانة بيت المال فأجابته التمايشي الى ذلك على شرط ان يحزى اختصاص بيت المال
 الى ثلاثة اجزاء احدها اثنى عشر الف ريال يختص بمامل التدخيرة (ورس
 الحربية) والثاني يختص بمال انبياء الله صلى الله عليه وآله وسلم والثالث
 هو بيت المال العام وأن يكون لمورد الجزيرة اربع ارباب من ذوي
 يكون محمد بشير كراد العبادي قائداً له اربعة تمايشي اميناً للثاني وهو يكون موصى
 المرضى أمية الثالث

وعلى ذلك صار اختصاص أمانة بيت مال (الجزيرة) هو طابا بنمبر
 الجزيرة وهو ان تتفق مع التجار الذين ينفقون على الجزيرة من اجلها
 المقدم لآزمه ملك اهل الجزيرة ومنها حق نظارة الجزيرة من
 المسألة كلام خاص بها فيورد في محورها

أما اختصاص بيت مال النبي فمما عباره عن جميع موارد الإيرادات المهمة وذلك مثل خمس سلع التجار المصريين وعشر بضائع التجار السودانيين وخمس واردات بلاد الحبشة وغيرها من البلاد الأجنبية وعشر الصادرات التي تخرج من البلاد السودانية إلى البلاد الخارجية كالصنع والماج وريش النعام وكذلك عشر واردا التجارة التي ترد على أم درمان من داخلية السودان وأهمها الجبوب، الملح رالبلح والاروص الذي يصنع منه الحصر المسماة (إبراش) وتلك إيرادات من الشراعية التي تنقل الحاصلات من جميع الجهات التي اغتصبها النعماني كل ما أوجعها مدنا له وكذلك عوائد التزام (التمدية) في جميع الجهات وكل هذه الإيرادات مضمونة بدفاتر وحسابات جارية لا يعرف منها فلس واحد من غير لزام النعماني بد ريس خصياه (عبد القيوم)

وأما اختصاص بيت المال الثالث فإنه تاصر على الإيرادات التي تجلب بواسطة الجباة التي تقدم له تكاليم عنهم وله اختصاص آخر هو مصادرة أموال الأغنياء وطلب «قروض المالبية من التجار حيث لا بد لهم أبداً ومن امتنع صودره له كله وتفقن هنما إيرادات على أقارب النعماني فقط والحال ان النعماني استأثر بجميع إيرادات البلاد حتى أصبحت في نهاية الفقر المدقع وأخذت تنه في أساليب زبينة الخراج ومضاعفة المكوس التي صارها التجارة معها كسدة لا تريح شيئاً وبالجملة فإن حاله كانت تنتقل من سيء إلى أسوأ ويد الله كل شيء

ذكر سورام درمان

قبل الكلام على السورناتي بتحديد في تخطيط مدينة أم درمان ومواقع
احيائها ليكون القاريء على بينة من ذلك فنقول

من الاصطلاحات التي جرى عليها المهديون أن يسوا كل جهة تسكن
فيها للمهدي باسم (بقعة) وقد يضاف هذا الاسم الى اسم المدينة الاصلية
أو الجهة التي سكنها المهدي فيقال (بقعة الابيض) مثلاً لان المهدي كان
ساكناً فيها أو (بقعة الرهد) وهو منهل جنوب الابيض لانه كان زلاً فيه
كما تقدم لنا ذكر ذلك

ولما زحف المهدي على الخرطوم كان أول معسكر اتخذته في جنوب أم
درمان على بعد عشرين ميلاً عند مكان اسمه (الفتيح) بعيداً عن شاطئ
النهر اتقاء لمقذوفات البواخر التي كانت تحاربه في الخرطوم ولم يجسر على الدنو
من شاطئ النهر الا بعد سقوط الخرطوم في قبضته

وقد أشرنا فيما تقدم أنه عقد مجلساً للمداولة في أمر سكناه لم يوافقته على
ذلك الامراء لانهم قالوا ان نقطة أم درمان يمكن أن تغادرها بسهولة في
كردفان اذا حدث ما يضطرنا الى التفرق فنزل المهدي بها واختط المسجد
وداره بعيداً عن ضفة النهر نحو ميل واحد ونزل التعاشي جنوب بيت
المهدي نحو مائة متر في الجنوب الشرقي للمسجد حذاء منزل المهدي المقابل
لنقطة الوسط من قبلة المسجد وكان بين منزل التعاشي ومنزل المهدي ميدان
فسيح ونزل الاعراب والبقارة الذين أصلهم من جهات كردفان ودارفور
وهم التابعون لراية التعاشي جنوب منزله واستندت مساكنهم الى الجنوب

الغربي والجنوب الذي قبي القرب المسكر الذي كانت به جنود الحكومة
وهو (خندق أم درمان) ويبعد من المسجد جهة الجنوب ببضعة أميال
وقد اتزان هذا الخندق معسكر للجهادية الذين يقيمون بأم درمان
وسمي معسكر أبي تنجه

ونزل حمراء من المص. بين الذين كانوا بكردفان شمال هذا المعسكر
عند نقبات (الواردة) وأمير هؤلاء المصريين هو حسن حسين الذي تقدم
لنا الكلام :-

ونزل يوسف منصور رئيس الطوبجية ومن معه من المصريين شمال
معسكر أبي تنجه

ونزل بفتح هاء - لونه اشمال اشرقي - منزل المهدي ونزل أتباعه
(دغيم وكثانة) في راحل غربي در الجهة ممالي السوق الذي نزل فيه
جماعة من التجار وجباة من اليونانيين واليهود السوريين وأطلق على جميع
اسم (حارة المسلمين) ونزل الخليفة شريف شرقي منزل المهدي ونزل
أقارب المهدي وسائر أتباع الخليفة شريف الذين جلمهم من أهالي السودان
الأوسط في الجهة الشرقية من منزله وامتدوا إلى الشمال حتى اتصلت
منازلهم بفضة النهر وحده مدينة يرمثه تنف في جهة شمال عند معسكر
ابن النجومي الواقع في شمال المسجد بنحو مائة فقط ولما أمر التمايشي
بتخريب مدين الجزيرة في سنة ٣٠٤٤ وحشد سكانها في أم درمان نزل سكانها في
الجهة الشمالية لمعسكر ابن النجومي وصاروا يسمون أحياءهم بأسماء بلادهم الأصلية
فقال (حارة الانية) و (حارة رطمة) ثم رجعوا من بلاد الجزيرة حتى وصل اتعداد
الحيات إلى مائة ألف شخصاً الذين تفرقوا عن المرجة سنة ١٩٤٠

وعقب افضاء الخلافة للتمايشي وسع منزله حتى ادخل في الممدان
الذي كان بين منزله ومنزل المهدي
ولما نار الخليفة شريف وأقاربه وصارت مقدمات جماعة الخليفة
شريف تقع في وسط دار التمايشي خاف التمايشي عاقبة اختلاط المنازل
فامر باخراج جمع اقارب المهدي واتباع الخليفة شريف من منازلهم التي
هدم جلها وأسكن أقاربه البقارة فيما بقي منها ليكون منزله شامطاً من جمع
الجهات بمن يأمنهم على حياته

وأسكن من أخرجوا من منازلهم في الجهة الواقعة شمال مسكر ابن
النجوى الذي صار لا يسكن جنوبه غير البقارة وذو قانس الناس أحوالاً
شديدة من جراء اخراجهم من منازلهم وصاروا في حالة تفتت الكبد اذا
صاروا بينما يكونون في منازلهم يدنسل عليهم البقارة فيأصرونهم بالروح
منها بغير ان يتمكنوا من حمل امتهم التي يأخذ البقارة جلها فيخرجون
وليس عليهم غير ثيابهم وما في حملهم من نافع منافع فبعضون على هذه
الحالة النميسة زمنياً لا يستطيعون في خلاله تشييد مساكن الا ان كانوا من ولى
اليسار وقليل ما هم وظل الفقراء في هذا الشقاء سينا وقد كان نصيبهم
هذه للصدية عظيماً وسيأتي تفصيله بعد حيث اخرج الاسريون الساكنون
بالقرب من مسكر أبي عتبة من منازلهم وكنت اذا نجاتهم
على أن بناء سور أم درمان يدل على ماخسر التمايشي من الخوف على
حياته من ثورة الخليفة شريف

وفي ذات يوم رقى التمايشي منبر الخطابة وقارأ في منبره عليه وسلم
أمره باخراج من أخرجهم من منازلهم وأمره بناء سور أم درمان

من ضفة النهر حتى يبلغ منزله ثم يتجه الى الشمال حيث يصير شرقي المسجد
وغربي منزله ثم ينتهي الى ضفة النهر أيضا وانه صلى الله عليه وسلم أمر أن
لا يذوق السكنى داخل هذا السور لغير البقارة والجمادية ووضع أساس السور
وجعل عرضه أربعة أمتار ووزع حصصاً على القبائل ومن جملة المصريين
الذين كما مر الكلام كنت أسد أمرهم فكانت اذهب الى شاطئ النهر فنستخرج
منه الحجارة ونحملها الى محل العمل وسكننا على هذه الحالة نحو سنتين ثم في
خلالها تشييد السور بسخرة الناس وبلغ ارتفاعه فوق خمسة أمتار

ذكر قدوم الزاكي طمبل من فشودة الى أم درمان

لما فرغ الزاكي طمبل من فتل الشلك وأخضهم لسلطة المهديوية حيث
قتل ملكهم (عمر) الذي قيل عنه آفة انه مولى بن قبل المهدي وحمل رأسه
الى التمايشي الذي أمره بمهادنة الشلك وإبرام معاهدة معهم وتولية ملك
عليهم يكون من عداة طائفة الملك السابق وأقام رجلاً من أطراف الشعب
سماه (عبد فضيل) ملكاً عليهم فغادره فشوده بجيشه قاصداً أم درمان وذلك
في أوائل سنة ١٣١٠

ولما بلغ أم درمان استقبله التمايشي بالخفاوة والاكرام وقدم له الاغذية
ثم قدم الزاكي للتمايشي مقدماً عظيماً من المال الذي غنمه من الشلك وكثيراً
من الماشية وأمره بأخذ الأديبة والامهات لمغادرة أم درمان الى بلدة
أبو هرز

الزراكي في أبو حراز

أبو حراز قرية في الضفة الشرقية للنيل الأزرق تبعد عن أم درمان مسيرة سبع مراحل وهي مفتاح الطريق الموصل إلى القضاة، عن طريق الصحراء الدمامة (عقبه المنبليسة) وهي موطن لقبيلة صغيرة اسمها (العركيين) ومن هذه القبيلة نبع دجارج في القرون الماضية اشتهروا بالصصلاح وحازوا منزلة عالية في مشيخة الطريقة الزنادرية وأشهرهم زناد النابغين (شيخ الطربين) وكان ماصراً على ما يروونه في مشيخة تاج لابن الفاكحاني من مشاهير رجال الطريقة التي تربت في بلادهم وذلك في مشيخة الطربين وأقام معه في بغداد زهاء عشرين عاماً ثم عاد إلى قرية أبو حراز وانتشر نفوذه الديني في سائر أنحاء السودان في أكرمه ورثته له من الأقطام والاراضي الواسعة وخلق له من كبار أولاده من بعده من الشهرة واعتقاد الناس وماتوا كلهم وطعم بؤس نية قلبه بالدين

ومن تلامذته الشيخ محمد النيل الحرنجيني صاحب كتاب في سيرته وكتب له المهدى كتاباً في تاريخه وهو من تلامذته أيضاً

أبي سن زعيم قبائل الشكرية لأنهما ساءدا المشركين في حربه من قبله

أحمد طه الذي تقدم ذكر قتله

ولما ولي الخديوي بمصر المهدي صدر أمر بالسير عليه في صبراً في سجن أم درمان

ولمعه إلى ذكر زراكي من مشاهير علماء السودان في سيرته وكتب له المهدى كتاباً في تاريخه وهو من تلامذته أيضاً

داراً لسكناء وأطلق العنان لمقاتلته فانتشروا في مدن الجزيرة كلها ونهبوا أموال
الاهالي وحملوهم من المظالم والمغارم ما تنوء بحمله الجبال حتي كان آخر سنة ١٣١٠
أصدر التعايشي أمره الى الزاكي طبل بمنادرة أبو حراز واللاحاق بالقضارف وهي
البلاد التي ذكرنا فيما مضى أنه خربها وحمل أموالها الى التعايشي ثم من القضارف الى
كسله التي اتخذها معسكراً له بقصد شن الغارة على حدود الايطاليين في مصوع

علائق التعايشي ومنليك

يدل نتبع الحوادث التي جرت بين المهديين والاحباش على أن منليك
نجاشي الحبشة الذي خلف النجاشي يوحنا الذي مات قتيلاً بيد الدراويش
في واقعة القلابات التي مر الكلام عليها وعلى ما تقدمها من حروب الدراويش
والاحباش على هزيمة هؤلاء وظهور الاولين
وأول هاته الأدلة أن الاحباش لما انهزموا من القلابات وقتل ملكهم
يوحنا كان المنتظر أن يعيدوا الكرة لاخذ النار وجلاء العار فلم يفعلوا
وعلم من ذلك أن منليك الذي خلف يوحنا أيقن أن مصلحة مملكته تقضى
بالكف عن مناوأة الدراويش ليتفرغ لصد الفاتحين من الايطاليين الذين اغاروا
على الحبشة من جهة مصوع وانتصوا للملكة من أطرافها وهم طامعون في
الاستيلاء عليها والقضاء على استقلالها
وقد أشربنا فيما تقدم الى أن سبب الحرب بين المهديين والاحباش أن
النجاشي يوحنا خاف من انتشار دعوة المهدي بين مسلمي الاحباش فشرع
في اضطهادهم واجبارهم على اعتناق النصرانية دينا فساء عمله اقبال الحبشة
واستهجنوه وخافوا تفرق كلمة الاحباش الذي لا تحمد عاقبته وكان منليك

قبل (التيقره) وقتئذ أول مستهجن لهذه السياسة الحرقاء وقد نصح النجاشي بالعدول عنها فلم يلتفت لنصائحه

ولما قتل يوحنا النجاشي السابق وخلفه منليك أعاد الحرية الدينية الى حالتها الاولى ومن ثم لزم جنود الحبشة حدودها وامتنعت من الاعتداء على تخوم الدراويش وبعده سنة سحب النعاشي جيشه من القلابات كما تقدم ولم يترك لحراستها اكثر من ألف مقاتل

وقد ذكرنا أنه وجه جيش القلابات لاختضاع اشك في فشوده ثم وجهه الى القصارف ومنها الى كسله لمهاجمة تخوم الايطاليين من جهة مصوع وكان هذا الاستعداد في وقت كان الايطاليون يستعدون فيه للوثبة على الاحباش في (لاريتره) مما يدل على أن تقدم الزاكي الى كسله متفق عليه بن النعاشي ومنليك وسيجيء أن النعاشي لما أحس بدنو الحملة الانكليزية المصرية من أم درمان أفضد سفيرا يستصرخ عليك لمعاونته

ولا مندوحة لنا عن الاشارة هنا الى أن الايطاليين كانوا حلفاء للدراويش على الحبشة وقد تمت هذه المحالفة بمعاوضة بعض رؤساء الحبشة الذين كانوا على رأي البعض معاضدين لانكتر التي كانت ترمى بهذا الغرض لاشغال المهديين بمحاربة الحبشة عند حدود مصر حيث تجني انكترا وايطاليا من وراء تلك الحروب أضعاف ما يجني الدراويش والاحباش معاً لتقضى ايطاليا ايمانها من هؤلاء وتذكر انكترا غايتها من أولئك

على أن ذلك كله مأخوذ من قرائن الاحوال ومن درايات بعض الذين لهم اطلاع على سياسة النعاشي الذي لم يصرح بشيء من أمر المحالفتين مما يدل على أنهما سريتان والحاصل أن منليك أنلح في سياسته التي نهجها اذ جني

من عاقبتها اراحة المباشرة من حرب دينية كحرب الدراويش ومن جهة أخرى انه تمكن من اشغال قسم من حامية ايطاليا بدفع الدراويش عن حدود بلادهم ثم كان من وراء ذلك انتصاره الباهر في واقعة (الاريتره) التي لا يجهلها القراء وهو ما يجعلنا في غنى عن التصدي لابرادها وتدوين تفاصيلها

ذكر سجن الزاكي طمل وقتله بام درمان

الزاكي طمل هو لذي خلف القائد ابا عنجه في قيادة جيش القلابات كما بسطنا ذلك في مكانه وفي بداية ولايته انهزمت جيوش الحبشة في القلابات وقتل النجاشي يوحنا ثم وجهه التعاشي لاختضاع الشاك في فشوده فقتل زعيمها عمر وأتى فيها ما سبقت الاشارة اليه وأهله من قبيلة اسمها (البنضله) وهي التي منها أبو عنجه سلفه وهي قبيلة من العبيد المتوحشين في جنوب دارفور تسكن قبيلة (التعاشة) وقد تقدم تعريفها بأوفى من هذا فلا حاجة لتكراره هنا وكان الزاكي هذا في بداية أمره جنديا مع النخاسين الذين يعيشون النساء في بلاد العبيدوم المعروفون باسم (البحارة) وفي أيام المهديوة صار قائداً من قواد جيش أبي عنجه حتى صار وكيله

ولما خلف ابا عنجه في الامارة خلفه في كثير من أحواله وصار فظاً غليظا بسفك الدماء ويقتل مرؤسيه لاقبل هفوة وأخذ يتظاهر بالانفاس في الترف وشاد اسكناه القصور في القلابات حتى أنه شاد قصرأ زوج فيه ابنه وشرع في نقشه وزخرفته بصفار بيض الدجاج وفرض على الاهالي تقديم البيض ومن تأخر عن الميعاد المضروب له عاقبه عقابا صار ما فارتفع ثمن البيضة الواحدة الي بضعة قروش ورحل الناس من التضاريف على ظهور الهجن الي

بلاد الجزيرة جلب البيض حتى تم النقش والتبييض
ولما اتصل بالتعايشي خبر هذا القصر أرسل الى الزاكي يأمره بهدمه فهدم
الدور الاعلى وترك الدور الاسفل وكان قد جلب له البنائين والنجارين من
الخرطوم وكلمهم مصريون
وبعد هدم القصر أمر التعايشي الزاكي بمغادرة القضايف واللحاق بكسله
لاخذ الالهة للنارة على الايطاليين فنادر القضايف وعسكر في كسله
وكان الزاكي في جميع احوال ولايته حكاهم مطلق يفعل كل ما يراه واذا
قدم أم درمان يستقبل بالخفاوة والاكرام ويخرج أنى سار في موكب يحط به
خمسون حارسا مسلحون وكان بما احرزه من الانتصارات على الاحباش والشك
وما كان يقدمه للتعايشي من الاموال الطائلة يرى نفسه ذامنة على
التعايشي حتى أخذ يشقوه في حديثه بانه قادر على سلب الملك من يد التعايشي
ولولا انه لم تقم له قاعة فسعى به الى التعايشي وبعد وصوله القضايف نظمت فيه
السماية وارتاب التعايشي في أمره ونمي اليه انه طامح للاستقلال فارسل
اليه يستقدمه فقدم عليه وخرج للقائه وبالغ في الاحتفاء به حتى انه تنازل
الى معاقته وهي خفاوة لم يسبق من التعايشي مثلها وبعد بضعة أيام اجتمع في
منزل يعقوب جماعة من مشيريه أحدهم القاضى أحمد بن على وانفقوا على
طريقة القبض على الزاكي فاستدعوه من منزله وجلس يعقوب داخل ثلاثة
أبواب فلما دخل الزاكي الباب الاول حجبوا عنه الحراس فدخل بالاحراس
ثم قابله القاضى أحمد وجلس معه داخل الباب الثانى ثم فارقه حيث ولج الباب
الثالث الذى فى داخله يعقوب فجاء اليه جماعة بضعة رجال من حراس يعقوب وجثوا
على ركبهم امام الزاكي ومد أحدهم يديه مسلما عليه فدفع له يده ليقبلها فأسكها

ووثب الآخرون وأمسكوا سيفه ثم صرعوه وغلوا يديه فأخذ يصبح مستغيثا
 يعقوب الذي أمر بإرساله إلى السجن فوضعوا في رجله عشرة قيود
 وجزيرا كبيرا ومكث ثلاث ليال مع سائر المسجونين ثم عزل إلى غرفة في
 السجن تسمى (غرفة الأعدام) فأجلسوه في وسطها وشبهوه بالأغلال
 حتى كان لا يتمكن من التزحزح عن مقعده بمنة أو يسرة وربطوا أكام ملابسه
 وصار اثنان من السجنائين يذهبان إلى الخربات ويلتقطان المقارب ويدخلانها
 داخل ملابسه وقد منع عنه الغذاء والماء فكث أربع ليال يصبح صياحا يفتت
 الجمادات حتى ضعفت قوته ومات في منتصف الليلة الخامسة وحملت
 جثته وأقيمت خارج البلد غذاء للطيور والكلاب وعين أحمد علي التعايشي
 قائدا للجيش بدله ولحق بكسلا بمد أن تلقى أوامر التعايشي بالهجوم على
 الإيطاليين وسيأتي ذكر هزيمة الدراويش من وجه الإيطاليين

ذكر قتل صالح حسين خليفه

تقدم لنا إيراد شيء عن قبيلة (العبادة) والمناظرات الشديدة التي بين
 (المشاباب) و(المليكاب) وقد أوردنا أن المشاباب نالوا إرهم من المليكاب
 في دولة التعايشي وتمكنوا من الإيقاع بحسن أبي خليفه الذي كان معسكرا
 في نقطة آبار (المرات) بجيش من قبل التعايشي
 ولما قبض التعايشي على حسن أبي خليفه ونفاه إلى خط الاستواء كما مر
 ذلك احتل ابن عمه صالح بن حسين خليفه تلك النقطة برجال من قبيلته
 (المليكاب) الذين كانت الحكومة المصرية تدفع لكل رجل منهم رواتب
 من جنه لاشين فاخذوا يغيرون على حدود المهديين وقد ذكرنا فيما مضى

إغارتهم على (أبو حمد) وقتلهم ابن نيمان قاتل الكولونل ستيوار - قبل سقوط الخرطوم

وفي أوائل سنة ١٣١٠ هجرت شردمة بن الدراويش على ضابط انكليزي برتبة بكباشي وآخرين في جهة وادي حلفا وقتلوهم غرة وحملوا رؤسهم الى التعاشي وقعد صالح خليفة ومن معه بالسبل وقبضوا على كثير من جواسيس المهديوية الذين هم من مناظرهم (المشاباب) وعن بينهم رجل اسمه كرار ابن بشير كرار رئيس حملة بريد التعاشي وأسلموه للحكومة فأودعته سجن اسوان ولم تطلقه الا بعد ان كلها في شأنه بشير ابو جبران شيخ قبيلة المشاباب فماد الرجل الى أم درمان وأخبر التعاشي بما يقاسيه جواسيسه من تضيق صالح خليفة عليهم وقطعه السبل عليهم فسأله التعاشي عن عدد المقاتلة الذين معه فأجابه بأنهم لا يتجاوزون لما بين قارسل التعاشي الى يونس الديك أمير دنقله بأمره بانفاذ خمسمائة راكب من (المرات) تحت قيادة عثمان ازرق للهجوم على صالح خليفة فانفذهم وفي صباح بعض الايام هجموا عليه ونشبت الحرب بينهم فقتل صالح خليفة وحملت أسلابه الي التعاشي الذي خطب في الناس بأن الله تعالى قد أهلك صالح بن خليفة ومنتله بيد أنصار المهديوية شرقتة

ذکر واقعة (غوردت) بين الايطاليين والمهديين

لما وصل أحمد على الذي خاف الزاكي طمل في القيادة الى كسه سار بجيشه وكان نحو عشرين الف مقاتل واغار على حدود الايطاليين واتخن في القبائل الموالية للحكومة الايطالية واستولى على أحد الحصون وفر من

وجهه الايطاليون خدعة ثم كروا عليه وهاجموه على فرقة فسقط أكثر من
اثنى عشر الف قتيل من الدراويش وقتل أحمد على ومن معه من القواد
ولم ينج غير النور عمرة أحد القواد ومعه نحو ستة آلاف مقاتل ولو امدعورين
حتى وصلوا الى كسلة وأرسلوا يخبرون التمايشي بأمر الهزيمة التي ساء وقعها
عنده وجزع جزعا شديدا حيث لم يبق عنده جيش يعول عليه غير جيش
محمود الذي هزم في واقعة أتبره

ذكر احتلال الايطاليين كسلة

ذكرنا ما كان من أمر كسلة وسقوطها في قبضة المهديين الذين التفت
القبائل حولهم في بادي لاسر عدا القبائل التي كانت قاطنة بالارب من
نجر مصوع فانها بقيت على ولاء الحكومة حتى احتل الايطاليون نجر مصوع
وأشهرهاته القبائل قبيلتنا (بنى عامر ونهباب)

وكانت كسلة تابعة لامارة عثمان دقنة الذي لم يمض على سقوط المدينة
في قبضة الاعام واحد نفرت في خلاله القبائل عنه واشتدت وطأته عليهم
فلجأ جبالها الى ارباض مصوع واحتسوا بالايطاليين

وكان الحاكم على كسلة من قبل عثمان دقنة محمد بن علي دقنة وهو ابن
اخي عثمان دقنة وفي أيامه نارت قبيلة الهدندوه عليه لانه سجن زعيمها
وهجمت على السجن وأطلقت من اعتقاله

وعقب ذلك ولي التمايشي اباقرجة وعزل عثمان دقنة عن منصب الامارة
كما مر ثم عزل اباقرجه أيضا ونصل حكومة كسلة عن إمارة السودان
الشرقي وولى عليها حامد بن علي احد أقاربه البقارة فعمها الظلم والدمار

وهلكت قبيلة الهدندوه التي كان عدد نفوسها ثربو على مليون نسمة كما هلك غيرها من القبائل التي لا يقل مجموع نفوسها عن مليوني نسمة وحمل حامد بن علي القناطر المتنطرة من الذهب والفضة الى التعاشي وأخيه يعقوب وفي سنة ١٣٠٩ عزل التعاشي حامد بن علي وولي عليها مساعد بن قيدوم الذي كان في دنقلة مع ابن النجومى وقد ذكرنا بعض أخباره ضمن حوادثها التي تقدم إيرادها ثم تلا ذلك الواقعة التي قتل فيها أحمد بن علي وهلك معه أسن عشر ألفا من الدراويش

وكان مع مساعد في حامية كسله عبد الرحمن بن بان النقا الذي كان مع الجنرال هيكس وقد ذكرنا بعض أخباره هناك وأنه أصابه ضربة سيف فمات عينه فأخبر عبد الرحمن هذا مساعد بأن الإيطاليين اقتربوا من المدينة فهزأ بقوله ولم يأخذ لنفسه حيلة حتى ارتفعت الشمس فاذا الإيطاليون زاحفون على المدينة بانتظام حيث كانت القوة مشككة من قلب وجناحين فاندعر مساعد ومن معه من الدراويش وأسرعوا بالفرار وتركوا نساءهم في المعسكر الذي دخله الإيطاليون ووضعوا السيف في رقاب من فيه وأحرقوا الأكواخ بالبرول والنار

وتخلف عن الدراويش كثير من أسرى المصريين وكذلك تخلف في المعسكر عبد الرحمن بن بان النقا الآنف الذكر فاصابته رصاصة أودت بحياته ويقال أنه كان يرسل الإيطاليين ويطلعهم على عورات الدراويش هذا ما كان من أمر الإيطاليين أما مساعد ومن معه من المارين فانهم لحقوا بمكان اسمه (اصوري) في الضفة الاخرى من نهر اتبره وعلى

بعد نحو ست مراحل من كسله وهناك أرسلوا يلفون التعاشي الذي كاد
يفقد صوابه لشدة الفزع ما جرى فأرسل إلى بان النقا والد عبد الرحمن يخبره
أن ابنه مات كافراً لأن مساعدا لم يجد عذراً يمتد به عند التعاشي غير أخباره
بان عبد الرحمن كان بطلع العدو على عورات المعسكر ويرفع إليه أخباره
وأخيراً قدم مساعداً إلى أم درمان فتقبل من البقارة والتعاشي بالازدراء والاحتقار
لفراره من وجهه العدو ولكن التعاشي أصدر منشوراً قال فيه إن المهدي
أخبره بأمر هذه الواقعة وإن مساعداً شجاع وليس جباناً ونهى الناس عن
تحقيره وتعييره

وقد استولى الخوف والرعب على قلب التعاشي وخاف تقدم الإيطاليين
إلى جهات القضارف فأمر بإقامة معسكر في جهة (اصوبري) على ضفة
نهر اتبره

ذكر معسكر اصوبري وأخبار حامد علي وأحمد فضيل
(اصوبري) اسم لمكان على نهر اتبره لم يكن حوله عمران ولا بلاد
وغاية الأمر أنه علم على جهة صحراء (ريره) التي كانت قبيلة الشكرية البائدة
ضاربة أطنابها في أرجائها وهي صحراء واقعة بين النيل الأزرق ونهر اتبره
ولما خلت الصحراء من أعراب الشكرية باتت اصوبري وغيرها فقرا
بلقما ليس فيها دار ولا ديار غير وحوش الغلاة وحيوانات القفار
ولما انهزم الدراويش وأجلاوا عن كسله لحق الفاروق بجهة اصوبري
حيث اجتازوا النهر وصاروا آمنين غارة الإيطاليين الذين كانت طلائعهم تصل
إلى الضفة الشرقية من نهر اتبره لدى صار حداً فاصلاً بين الثنتين

وبعد ان جاءت اخبار الايطاليين الى أم درمان بايام جمع التماشي رؤساء قبيلتي (الجميلين) والدنقلين وجلبهم من التجار وأولى اليسار وخاطبهم في المسجد قائلاً انكم انصار الدين واصحاب المهدي الاقدمون وقد توفي المهدي وهو عنكم راض وقد علمتم امر الايطاليين وأنهم قد أخذوا كسله منا ونحن نود منكم ان تكفونا ما اهتمنا من أمرهم وقد جعلت لكم ميزة على غيركم وذلك اني تركت لكم الخيار في من رضونه أن يكون قائداً عاماً عليكم وانكم لا تجهلون ما فيه بيت المال من السر وأتم بحمد الله موسرون فليكم أيضاً أن تقوموا بنفقة سفركم من خاصة أموالكم، وأعقب ذلك بكلام طويل في مدح المجاهدين بأموالهم وأنفسهم واستشهد بالآيات الشريفة الآصرة والمادحة للمجاهدين بأموالهم وأنفسهم فقام جماعة منهم وقالوا لا نرى أهلاً لهذا المنصب غير حامد بن علي الذي كان أميراً على كسله وهو أخو أحمد بن علي الذي مات قتيلاً في واقعة تبره فاندھشنا من كلام هؤلاء الذين لم يروا أهلاً للرئاسة عليهم غير بقاري ولا كنا ما لبثنا أن علمنا أنهم موعز اليهم بهذا الاختيار لانه لا يمكن أن يولي الرئاسة في دولة التماشي غير البقارة . فاستدعي حامد بن علي وصعد نطق التماشي الذي كانوا يسمونه ابان دولته باسم (النطق الشريف) كما كانوا يسمون بابه باسم (الباب العالي) بتعيين حامد على قائداً على الجميلين والدنقلين وصرابطا في ماسكر أصوري هذا وقد كنا نظن أن التماشي يروم أن يري الايطاليين من هذا الجيش المرمر بما لا قبل لهم به ولم يكن يدور في خلدنا أن غايته الاستفادة من ثروة الجميلين والدنقلين وجعلهم كما قلنا من التجار وأولى اليسار فقد أصدر أمرا فخواه التفويض لحامد بن علي في إشخاص من يري إشخاصه وترك من يري تركه

من الرؤساء والرؤس من الاجناد والمقاتلة قبل الناس الى داره يقدمون له
الرشا على تركهم فكانت الرشوة عن كل شخص خمسين ريال فصاعدا
كل بحسب ثروته وما يملكه من المال فاضم حامد بن علي الغناطير المقنطرة
من الذهب والنقضة وقد كان لتعايشي وأخيه يعقوب النصيب الاوفر
من هذه الغنيمة

وبعد أن فرغ حامد بن علي من أخذ الرشا سار في بضعة آلاف
الى أصوبري وجعل معسكره على ضفة نهر (تبره) وأقام الناس وهم في حالة
ضنك شديد لان ما حوالى تبره لم يكن مأهولا بغير الاصراب الرحالة الذين
بادوا وختل الديار منهم منذ أعوام وكذلك كان من في المعسكر في شظف من
العيش تجلب لهم الجيوب من القضارف التي تبعد عنهم بمسيرة عشر مراحل
ودواب النقل قليلة جداً وليس في المعسكر شيء من الخضر وفس على ذلك
سائر حاجيات الافوات وشاد حامد داراً واسعة لسكناه وقصر همه على
مصادرة أموال من معه من المقاتلة واغتصاب نساءهم حتى جمع في داره من
المخزيات النواتى تضرب الامثال بجهنم اكثر من عشرين محظية ونحو أربعائة
غلام لا تتجاوز أعمارهم خمسة عشر عاماً فاشتد البلاء على الذين معه من
القواد وعيل صبرهم وأخذوا في رفع الشكاوى تباطا الى التعايشي يوضحون
بها سوء سلوك حامد المذكور ويخبرونه بأن معسكرهم لا أهمية له وأن
الاطالين لا يقدمون خارج كسله

وكان في القضارف أحمد بن فضيل البقاري ابن عمه التعايشي أميراً من
قبله عليها فكتب اليه يأمره بالشخص من القضارف الى معسكر أصوبري
لتحقيق شكاوى الامراء من حامد بن علي فشخص الي أصوبري وقدم له

الامراء أموالا طائلة ليد في خلاصهم من ظلم حامد بن علي أولا ومن
معسكر اصوبري ثانياً فأمرهم بتدوين مطالبهم في عريضة يقدمونها له فقبلوا
وكتب الى النعاشي يسأله اجابة التماسهم فاصدر أمره الى أحمد بن فضيل ، صادرة
أموال حامد بن علي والفاء معسكر اصوبري واضافة مقاتلته على القصارف
فتناول أحمد بن فضيل أموالا طائلة من حامد وأرسلها الى النعاشي وقفل
راجعاً الى القصارف ومن يومئذ أنى معسكر اصوبري

اجمال حال السودان بعد ذلك

رأيت من مفصلات ما سردناه أن حالة المهديوية تبدلت بدلا عظيما
وتوالى عليها الفشل في أماكن متعددة وبالجملة فإنها لم تقم لها قائمة منذ سنة
١٣٠٦ ولم تجني ثمرة انتصار في ميدان قتال بعد نصرتها على أبي جزة في
دارفور ونجاشي الحبشة يوحنا في (القلابات) وكلا الانتصارين كانا في سنة ١٣٠٦
ثم تلت ذلك الفتن الداخلية والاضطرابات الاهلية كانت ض الخليفة
الشريف وغيره ممن بينا لك حوادثهم واستقصينا فيما تقدم أخبارهم
وقد أضربنا عن ذكر كثير من سفاسف الامور فراراً من التطويل
ولانها كثيرة تحتاج الى مجلدات ومنها أخبار الذين حاولوا قتل النعاشي الذي
صار لاهم له غير المحافظة على حياته ودفع من يريدون به سوء ولذلك زاد
في عداد حراسه حتى بلغوا ثلاثين ألف مقاتل فكان اذا خرج من منزله الى
المسجد أحاط به عشرون ألفاً مدججون بالسلاح ثم يحيطون بالمتصورة به
دخوله فيها فلا يستطيع أحد الدنو منها
أما هو فقد اتفق في ملاقاته أكثر من ذي قبل واتفقهم جده حتى

صار أضعاف ما كان عليه قبل ذلك

أما الأهلون فقد فقدوا كل شيء ولم يبق بأيديهم من وسائل الحياة سوى بعض الأراضى التى يستغلون منها الحاصلات التى يأخذون بها المال نحو ثلاثة أرباعها

وكثرت النفي والتل فى الأعيان بلا باب غير انفاض الخليفة شريف ومن الذين نفوا وقتلوا في منامهم ما لى بن عبد القادر ابن أخت الشيخ المكي وكان فقيهاً أزهرياً اجتمع بالمهدي فى الأبيض واشتغل عدة سنوات بكتابة سيرة المهدي وتدوين وفائع المهدوية وفى أخريات أيامه صار من مقرري التعايشى فوشى به حساده بأنه يهتد انتما سراً ضد المهدوية فنفى الى خط الاستواء وهتل فى منماه

وأصدر التعايشى سراً ان غيبه ان كل رجلين اجتمعا بعد صلاة العشاء خارج المسجد بعد اجتماعهم امامه هى الاغناس كما صدر أصراً بابطال المتدييات العمومية (القهوى) لان أكثر الذين يدبرونها بصريون ولان الذين يجلسون فيها لشرب القهوة يتكلمون فى أشياء تمس المهدوية وهذا كله كما لا يخفى خوف من الاجماء التى ربما تنفق المجتمعون فيها على خلع طاعة التعايشى وقد تغيرت آلة العمل والاباء الذين سبق لنا الكلام عنهم حيث عين التعايشى أحمد السني جليلاً على أقسام الجزيرة وألزمه بتقديم مائتى ألف ريال الى أخيه بهتم به مايزن الب أردب من الذرة ومائة ألف ثوب من خرقة (المر) - الهدايا والتحف والجوارى الحسان والحبول

وعلى ذكر أحمد السني -

الى رجل اسمه مدني السني وأصله من عشيرة (البصيلية) في جنوب مقاطعة
قنا سكن هذا الرجل في قرية بين الخرطوم وسنار يطلق عليها اسم (ودمدني)
ثم مصرتها الحكومة ابان الفتح الاول وجعلتها قاعدة حكومة السودان وكان
الترجم من رعا و أوفاد هذه العشيرة وكان يرعي غنم المرحوم الشيخ محمد
بنحيت الجمل سر تجار تلك المدينة

ولما خضع السودان للمهدوية وصار ابراهيم عدلان الذي تقدم لنا
ذكره بينه أمينا لبيت مالها وكانت آه من هذه العشيرة لحق به للترجم فلم
يزال ابراهيم يرفعه رعاية حقوق الآباء حتى صار رئيسا لقلم مبيعات بيت
المال فكان جزاء ابراهيم أن أحمد السني هذا صار من أعدائه الذين وشوا
به عند التعايشي وكانوا السبب الاقوى في الايقاع به كما ألمعنا الى ذلك فيما
تقدم من هذا الكتاب

وبسبب وشاية هذا الوضع بمن آمن اليه ورفعته من حضيض
الحوال الى ذروة العلي التي صار بها ذا حيثية في الوجود رفعة التعايشي حيث
آنس منه لثوما ودناءة هوني حاجة الى استخدامهما للنهب والسلب وأكل
أموال الناس بالباطل فولاه على الجزيرة كلها فارفق أهلها ظلما يمجز عن
وصفه القلم وسلب ما بقى في يد الأهالي من الثروة ووسائل الحياة وجمع
لنفسه أموالا طائلة تقدر عتاش الالوف

والحاصل أن حالة السودان في هذه السنة أو سنة ١٣١١ هجرية
كانت تفتت الاكباد وتندرباء واء سيررا غراباء فان الظلم مدمر لكل عمران



ذكر قراءة الناس بالالواح

كان التعاشي أميا يجهل الكتابة والقراءة وكان، إذا أم الناس في الصلاة
الجهرية يسر في القراءة حتى لا يسمع من وراءه قراءته التي يرجح
الاكثرون انها لم تكن قرآنا لانه فضلا عن جهله المركب كان يلبس الفهم
حتى قيل ان الذي أقرأه فاتحة الكتاب رضي معه مدة في سبيل تلقينه اياها
وفي سنة ١٣١١ شرع في قراءة السور الصغيرة من القرآن الشريف
وخطب في الناس قائلا يجب على كل فرد من أفرادكم من غيرا كان أو كبيرا أن
يحضر بعد ثلاث ليال لوحا من الخشب ويبتدئ في كتابة القرآن كما يفعل صبية
المكاتب فاجابه أحدهم بأن كثيرا من الناس يحفظون القرآن عن ظهر قلبهم
ومهم العلماء والمفهاء فالأولى أن تكون قراءة الزاوية بالنسبة للاميين والذين
لا يحفظون القرآن فاجابه التعاشي بأن حفظ القرآن والعلماء والفقهاء لا تنفعهم
معرفةهم ولا تنفي عنهم شيئا الا اذا اشتهروا ما أشرف به عليهم فاجابوا بالسمع
والطاعة وانصرفوا الى حوايتهم لئلا يفتروا على حوايتهم فارتفعت أذان
الالواح وكان الفائز من يتحصل على يد الأمير فيسروبه لكي لا يصبح
تحت طائلة العقوبة

وبعد ثلاثة أيام أحضر جل الناس الالواح فلما رأى رقى سبوا الخطابة وقال
لهم هيا ابدأوا بقراءة القرآن من اوله رعى كل ميراثي بجمع أتباعه في المسجد
بعد غروب الشمس ويوقد ناراً من وراءهم بالاساس ويقرؤن ألواحهم
على ضوءها حيث يصير الامير كفقير، سلم التصديق فيتم هذا ويزجر ذلك
وهكذا ثم يمر التعاشي متفقدا تلك الحلقاء كما تناذ أكبر ويقف على كل حلقة

ويبدي ما يعين له من الانتقاد فانظروا الى هذه السخافة فكان هذا الطاغية
 العشوم لم يكنف بما صار له من السلطان على الناس يحكم بهم كيف شاء
 حتى أراد ان يجعل نفسه معلم صبيان ويجعل شعبة كاطفال يتعلمون
 على أنه ربما كان الباعث له على هذا الامر هو أن والده (التعميشي) كان
 يعلم الصبية القرآن وقد كانت نفسه قبل نيته الملك تتوق لان يكون معلم
 صبيان كايه وكان بينه وبين تلك الامنية صعوبة تعامه القراءة والكتابة فلما قدر
 له أن يكون ملكا رأى أن يقضي وطره من تلك الامنية التي كان دون وصوله
 اليها خرط القناد هذا ما يمكنني ان ابرر به سخافة ذلك الظالم ان كان تمت ما يبرر
 السخافة والا فالناس كلهم كانوا في حيرة لا يهتمون معالي الباعث له الي
 هذا الامر

والحاصل أن الناس ظلوا أكثر من عامين عاكفين على القراءة في المسجد
 والتعميشي يلهو بالتبختر حولهم وتفقد حركاتهم التي كانوا يتكوفون فيها
 ويرفمون أصواتهم بالقراءة

ولسنا ندري بعد ذلك هل زالت تلك العادة فيهم أو رثت الى حفظ بعض سور
 من القرآن الشريف فانه استمر على امره كما راينا في كتابنا في لالة مما يدبر في
 قراءتها أو يجهر فيها وكان يحمل لوسا مثل قبة سائر يخرج به من منزله ويود
 به ركان من جهة ما أمر به أن يحملها الى بيت من تجار والده ناعوا احا
 تكون معهم مسدة العمل وبعد ذروها الى المسجد لينضموا
 الى الحلقات التابعة لها حتى ارتفعت ألسنتهم في النصر والشكر وبعد
 اكثر من عامين أصدر أمرهم في قلوبهم من انهم قد فرغوا

ذكر بقية أخبار سلاطين باشا وفرار

وعدت بذكر بقية أخبار سلاطين باشا التي وفقت فيها عند ذكر سجنه لما وقعت عليه تهمة مخامرة المأسوف عليه غردون باشا واقول الآن انه ظل مسجوناً الى ما بعد سقوط الخرطوم حيث أطلقه التمايشي من السجن وأمره بلازمة بابه مع شريطة من حراسه يطلق عليهم اسم (الملازمة) فظل مقبلاً هكذا وشاد لنفسه داراً بالقرب من منزل يعقوب أخي التمايشي وكان يقضى معظم ليله ونهاره في باب التمايشي رافعا صوته بالتهليل وكان صوته أشبه بنغمة الافرنج وكان عنده من الخيل حصان يركبه كلما ركب التمايشي وكان في بيته جوارخدمته أهداهن له التمايشي وهن رقيات عليه وكان يلبس الملابس الرثة اظهاراً للزهد وتوحيها على اجتناب الرفاهية وكان يمضي في أكثر الاحيان حافياً وكان له حذاء من نوع النعل الذي يقال له (شقبانه) واذا ركب جواده في موكب التمايشي تميم بعمامة حمراء وتمنطق بمنطقة حمراء مثل سائر الفرسان وفي بعض الاوقات يحمل بندقية من طرز رامنتون من النوع المخصص للفرسان وكان شديد الحذر والنيقظ فلا يظهر ما تكنه نفسه من القاصد وله اصدقاء كثيرون منهم من لا يصدق بدعوى المهذوية أصلاً وهؤلاء لا يحتس من التصريح لهم بما يوافق مشربهم وله اصدقاء أيضاً من الذين يصدقون بدعوى المهذوية لكنهم يتقنون على التمايشي ويودون أن يكون سيره مطابقاً للمدالة التي تكفل عمران البلاد وتنظيم الحالة وهؤلاء يظهر لهم انه من الذين من الله عليهم بالهداية الى الاسلام وأنه يوء من صميم فؤاده ان تصبح دولة المهذوية من أدنى دول الارض وينحضم بكثير من أخبار تقدم المالك وما

يلزم له من ضمانه العدالة والمساواة اللتين هما اس العمران وله اصداق
غير هؤلاء واولئك وهم البقارة والذين معه في ملازمة باب التمايشي وهؤلاء
يظهر لهم في كل لحظة وحين انه من اخاص المخلصين للتمايشي وربما اتى عليهم
من المواعظ ما يزيدهم تمسكا بولاء التمايشي حيث يقول لهم ان لاسلامة
للانسان في الدنيا والاخرة بغير ان يكون طائعا لخليفة المهدي في كل
ما يأسر به

والخلاصة انه صار ذا صداقة مع جل الناس ومع ذلك كله لا تجد منهم
من لا يحترمه ويشهد له بالعقل والهدوء

وأما علاقته مع قلم المخابرات في مصر فبالطبع انه كان يكتبها كل
الكتمان ولكن يظهر انه كان ذا علاقات كثيرة معه اذ كان يوافيه ببعض الانباء
مع حذر وثيقظ

هذا مجمل حال سلاطين باشا وفي اواخر سنة ١٣٠٣ كان التمايشي
انفذه بأمورية الي يونس الديكيم لما كان مسكرا في (ود العباس) فعاد منها
ويقال انه قدم للتمايشي نصائح عديدة كان البض يظن وقوعها موقع القبول
عند التمايشي فغابت ظنونهم

وأما فراره فقد تم الاتفاق عليه بين قلم المخابرات وشخص يدعى
(احمد القحل) احد أفراد قبيلة الجليليين وكان علي ما بلغني جاسوسا لقلم المخابرات
براتب قدره عشر جنيهات وكان يتستر بالتجارة في ذهابه وايابه الي مصر
وكذلك يوجد شخص آخر اسمه (الصادق بن عثمان) كان يماون أحمد القحل
لانجاز هذه المهمة قدم الشخصان أم ديمان وخبأ الجال وادلاء الطريق خرج
ام درمان واخبراه بالامر فلم يربدا من الفرار لانه أصبح في خطر من

التعايشي بسبب ان بعض التجار جاء باعداد من احدي الجرائد المصرية وفيها من الاخبار ان الحكومة باذلة جهدها لاتقاذ سلاطين باشا وان الجائزة التي كانت جمولة لمن ينقذه ضوعف مقدارها فاشترى سلاطين باشا احدي تلك النسخ بمبلغ من الريالات ثم علم بوجود غيرها وانه لا سبيل الى شرائها بغير مبالغ عظيمة وذلك من جملة الاسباب التي جرته على المخاطرة بحياته في سبيل الفرار كما قيل

اذا لم يكن غير الاسنة مركبا فلا يسع المضطر الا ركوبها
وكان التعايشي وقتئذ ملازما داره لانحراف طرا على صحته فاغتم سلاطين
باشا الفرصة وغادر ام درمان فارا الى اصوان حتى بلغها بعد جهد جهيد وبعد
ما عين الهلاك بعينه ولا فائدة لنا بعد ذلك في سرد مآلقاته في الطريق من
الصعوبات وما قاساه من فادح الاخطار لانه والحق يقال شجاع من الذين
لا يبالون بالاخطار وذو ذكاء تضرب بحذوة الامثال على انه اذا كان الفضل
لكتشرباشا فيما أبداه من الحنكة والتدريب في فتح السودان ونجت باشا في
ادارة المخبرات التي تتوقف عليها أسباب النجاح فان سلاطين باشا لا يصح
أن يغفل ذكره كما ذكر همدان القائدان اذ هو صاحب المعلومات التي كان
الاثنان في حاجة لها في جميع أطوار الحملة. والخلاصة انه من الذين كانوا السبب
الاكبر في انقاذ بلاد السودان من ربة الظلم والاستبداد وسيدكر ما ذكر
هذا الفتح المجيد والى الله طيبة كل شيء

وأما التعايشي فلم يتصل به نبأ فرار سلاطين باشا الا بعد ايامين مضتا على
فراره فاحتدم غيظا واركب خلفه الركبان الذين رجعوا بنير أن يدركوا غباره
وقد كان من شدة غضب التعايشي انه أمر بسجنى خوفا من فرارى كما سيجي

ذكر لك مفصلاً فيما يأتي وكما سيحىء ذكر القبض على اللذين دبرا له الفرار
وهما أحمد الفحل والصادق عثمان

ذكر نفي أحمد الفحل والذين ساعدوه علي فرار سلاطين باشا
قلت ان أحمد بن الفحل كان جاسوساً لقلم المخابرات المصرية يتناول
راتباً قدره عشرة جنيهات ورفيقه الصادق بن عثمان كان كذلك لكنني لأعرف
مقدار الراتب الذي كان يتناوله على الجاسوسية

وأحمد الفحل هذا من قبيلة صغيرة من الجاملين تسكن قرية اسمها
(الفحلاب) في الضفة الغربية للنيل وعلى بعد بضعة أميال جنوب بربر وأما
الصادق عثمان فانه كان من أهالي بربر وكان من جنود الحكومة (الباشبوزق)
ثم ترك الجندية وصار يتجر بالسلع ظاهراً وبالجاسوسية باطناً

ولما عقدا الاتفاق مع قلم المخابرات الذي لا بد أن يكون تمدها شيئاً من
المال يستعينان به على ابتياع الجمال وشراء الدواب واستئجار الادلاء غادرا
القاهرة ولاحقا ببربر ويظهر أنهما كانا غير مباليين بما عقدا النية على انفاذه
حيث أخذوا في شراء الجمال بنفسها ومعها الادلاء وهما في بربر وقد كنت في
حيرة عسر على الاهتمام معها الى الاسباب التي ملات قلوبهما جرأة حتى
صارا في حركة كانت سببا في وقوعهما في بران التعاشي حتى نقل الى بعضهم
أن أحمد الفحل قدم رشوة من المال الي الزاكي عثمان أمير بربر يومئذ وأطلعه
على ما يتويه فوعده بالكف عن عرقته حتى صار يباشر شراء الجمال غير خائف
ولا متهيّب حتى أن التعاشي لم يستدل علي الذين هربوا سلاطين باشا الامن
احد أهالي بربر كما تراه مبسوطاً في هذا الباب ويظهر جلياً للمتأمل صحة هذا

القول ولو لم يكن كذلك لما خفي على الزاكي ما يحاوله أحمد الفحل ولا استطاع أن يقبض على سلاطين باشا قبل مفادرة قرية الفحلاب وقد نقل الى مخبري أيضاً أن أحد الجواسيس أخبره بأن سلاطين باشا لما بلغ قرية الفحلاب ذهب وأخبر الزاكي بمكمنه فأمر بإبداعه السجن لكيلا يذاع الخبر وبمد بضع ليال أطلقه بعد أن أمره بكتمان هذا الامر

والخلاصة اني أرجح اشتراك الزاكي في مسألة هرب سلاطين باشا وأنه تناول رشوة اذ كان أحمد الفحل صديقاً حميماً له ومقرباً عنده. والحاصل أن أحمد الفحل ورفيقه لما غادرا بربر ولحقا بأمر درمان وأوعزا الي سلاطين بالهرب وظل التمايشي في حيرة لا يعرف معها من ساعده علي الهرب قدم عليه عبد الماجد بن الحاج محمد وهو ابن أخي محمد الخير الذي كان داعية المهدى في بربر فأخبره أنه رأي أحمد الفحل ورفيقه الصادق عثمان ومعهما دليل يتعاون الجمال في بربر فأرسل التمايشي الموض المرضي أمين بيت المال الى أحمد الفحل فاستدماه اليد وقال له اننا نريد منك أن تجلب لنا موسيقي من القاهرة فقال لهم نعم أتهدد لكم باحضارها وبينما هو في الكلام اذ هجم عليه العبيد وقبضوا عليه وأوثقوه كتافاً ثم زجوه في السجن وكذلك قبض على رفيقه الصادق عثمان وعلى شخص آخر يدعي ابن أبي بشر اتهم بأنه كان يعينهما ثم أرسل التمايشي الي بربر فقبضوا على الدليل الذي رآه معهم وهو عبد الماجد الآنف الذكر ولما أوقف الدليل بين يدي التمايشي خاطبه قائلاً اذا صدقتني الخبر فانت آمن علي نفسك ومالك فاجابه قائلاً ان أحمد بن الفحل والصادق عثمان استأجرا من بربر وجاءا بي مع الجمال التي اشترياهما منها وتركاني في سفح جبل (كردي) ثم أتيا في يوم كذا بنصراني مبهتور الاصبغ الوسطى وقالوا

لى أوصله قرية (الفحلاب) وسلمه الى أخوة أحدنا أحمد الفحل فذهبت
وأوصاته لهم ثم لا أعلم ماذا صار فامر به الى السجن وبعد أيام أطلقه ولم
يصبه بسوء إذ تحقق صدقه ثم أرسل نقبض على أخوة أحمد بن الفحل
الثلاثة وأودعوا السجن وبعد أن مضى عليهم شهران في السجن سجت في
خلالها معهم كما ذكر ذلك في مكانه فاشمرت الاونحو خمسين عبداً من حراس
يعقوب دخلوا السجن وبايديهم السباط فاخرجوا أحمد الفحل والصادق ثمان
وابن أبي بشر وأخوة أحمد الفحل الثلاثة ونزعوا ثيابهم عنهم وقرنوهم في
الاصفاة وأخذوا يضربونهم بالسباط حتى تمزقت بلودهم وسالت الدماء منهم
وكانت احدى البواخر راسية على ضفة النهر فسيقوا اليها وهي تلى وشك
النهر الى خط الاستواء ولما وصل هؤلاء المسجونون الى ضفة النهر أغمى
عليهم من شدة الضرب فكان الحراس يحملونهم كما يحمل المتاع ويلقونهم
في عنابر الباخرة فنكتت تسمع مصدمة اجسامهم مع جسم قاع الباخرة
كانهم من نوع المتاع ثم اقلعت بهم الباخرة الى خط الاستواء وهناك لقوا حتفهم
فهؤلاء هم الذين ذهبوا ضحية سلاطين باشا وانا سابعهم اسكنني ولله الحمد
نجوت بعد عذاب قاسيته خمس سنوات في السجن كما سيأتي ذكر ذلك

ذكر سجن ابراهيم حمزة وجماعة من اعيان بربر

ابراهيم حمزة عميد قبيلة في بربر اسمها (الاقرباب) ولما وصلت دعوة
المهدي الى بربر نفر عنها ابراهيم وقومه ربق على ولاء الحكومة حتى اكره على
الخنوع للمهدوية وهو كريم جواد ذو أيد بيضاء على حل اسرى المصريين
وذو سمة وسبجىء في اخبار سجن المزان ذكر كثير من شامائه الغراء

ولما فر سلاطين باشا كما تقدم وبلغ قرية (الفحلاب) ذهب مخبر الى ابراهيم حمزة هـ ما وأعلمه بممكن سلاطين فامتنع من القبض عليه وبحث اليه من حذره وامره بسرعه الريل وأوصي تومه بعدم التعرض له وتظاهر بعدم العلم بامرءه فاتصل ذلك بالتمايشى فارسل مستقدم ابراهيم وبعض أقاربه ومنهم ابن عمه محمد الشايقي وكذلك استقدم منصوراً ومحمداً ابني المعجمي وهما عمدا عشيرة في بربر ايضا

ولما قدم ابراهيم جلس التمايشى مع القضاة واهل الشورى وادخل عليه فسأله قائلاً لماذا تركت سلاطين اجتاز بلادك فاجابه يا مولاي اني لم اعلم بامرءه وانه شيطان قدر على الفرار من بابك وفتت من ايدي الالوف من حراسك فكيف لا يقدر على اجتيار بلائي التي هي فلاة مملوءة بالادغال والغابات فاطرق التمايشى ثم امر بسجنه وابن عمه وكذلك ابني المعجمي ووضع في رقبة كل منهم جنزيراً من الحديد وجملة من القيود فكثروا في السجن خمس سنوات حتى انقذهم اللورد كتشير يوم فتح ام درمان وسنذكر بقية اخبارهم في السجن وما كان من احتفالهم بي فيه اذ لولا ما كان يبذله ابراهيم حمزة من المال في سبيل دفع اذي السجنانيين عنى لهالكت فجزاه الله عنى أحسن الجزاء

تمهيد في ذكر السجن ونظاماته واطلاق اسم الساير على كل سجين

علمت بما تقدم بين هرب سلاطين باشا الذي لم ألبث بعد فراره الا أياماً قلائل صار سجنى عقبها حيث ظلمت في السجن خمس سنوات ثم أطلق

اعتقالي منه اللورد كتشنر يوم دخل أم درمان
ولما كان جل ما يجيء ذكره في أخريات هذا الجزء من أخبار السجن
التي قاسيتها رأيت أن أقدم هذا التمهيد في ذكر نظمات السجن وترجمة السجنان
المسمى (الساير) ادريس الذي اطلق اسم الساير على كل سجن من سجون
المهدوية وفي الانحاء الخاضعة لها لاجله فاقول أما ترجمة الساير المذكور فانه أعرابي
من قبيلة (الجمع) التي تسكن شرقي كردفان وقد تقدم لنا ذكر شيء من
عوائدها التي من جعلها ان الفناة لا تزوج الا بعد ان تلد بضمة أولاد من الزنا
ليبينوا اخاها ويطلق عليهم اسم (عينة خالهم) وكان الساير هذا من أكبر أشقياء
تلك القبيلة وكان رئيس عصابة تقطع الطرق بالهيب والسلب
ولما ظهرت دعوة المهدوية في جبال قدير لحق بها الساير فقلده المهدى
وظيفة سجان ومن ثم اطلق على السجن اسم الساير
وأما أوصافه فانه كان ربة في الطول يدين الجسم ولونه نحاسي غامق ووجهه
عبوس وكان عيذه شعلة نار
وكان الثماني لا يدفع له مرتبا ولكنه ذو ردة عظيمة تقدر بمئات الالوف
جمعها من الذين أوقفهم تكند الطالع بين يديه وسترى فيما يأتي أمثلة من ضروب
ابتزازة اموال المسجونين
وأما معاوناه فاهم كثيرون وجلهم من البييد (الجهادية) ورؤساؤهم من ذوى
قرايته من قبيلة الجمع
وأما السجن نفسه فانه عبارة عن سور من اللبن الاخضر على أكمة
مرتفعة عند ضفة النهر وفي داخل السور انعام عدة سران وبيوت سكنى
الحفراء وجلوس الامهجان

وأما غرف المسجونين فهي كثيرة منها ما هو مشيد بالحجارة وجلها ليس له نوافذ لتبدل الهواء ويوجد من الغرف ما يطلق عليهما اسم (الاعدام) وعلى كل حال فإن السجن نوعان خفيف وثقيل أما الخفيف فهو عبارة عما يعامل به الذين يسجنهم القضاة بسبب الديون أو الحدود وغيرها وأما الثقيل فمخصوص بالذين يسجنهم التعاشي وهم في الغالب ذوو الجرائم السياسية وما يلحق بها وسترى فيما يأتي ذكر كثير من أخبار السجن وغرائبه والله الموفق



ذكر سجن المؤلف

لما فر سلاطين باشا استدعى التعاشي القضاة وكثيراً من أهل شوره وجلس معهم وعدد أهم ما أتاه مع سلاطين باشا من أنواع الأكرام وما غمره به من الاحسان ومع ذلك فقد كفر تلك النعماء وارتد عن الاسلام ولحق ببلاد الكفار فأجابوه بالاستغراب وقال له أحدهم انه لا أمان لمن كان وجهه أبيض خصوصاً اذا كان ذا وظيفة في الحكومة وقال له آخر ان سلاطين قد كان مضراً للكفر مظهراً للاسلام والدليل على ذلك انه كان صديقاً حميماً لبراهيم فوزي (المؤلف) وكانا يجتمعان في منزليهما ويشربان الخمر ويدخان التنباك ولا بد أن يكون ابراهيم فوزي ذا ضلع في مسألة فراره فقام ثالث وقال للتعاشي انك اذا لم تأمر بسجن ابراهيم فوزي فر ولحق بسلاطين لان سلاطين أصغر منزلة في الحكومة من ابراهيم فوزي اذ هو حائز رتبة (باشا) أما سلاطين فلم يكن حائزاً الا على رتبة (بك) فصادفت هذه الاقوال أذنا صاغية من التعاشي فأرسل أحد حراسه لحضاري

وبينما أنا في غفلة من هذا اذ فاجأني الطلب فارتمت له وأدركت ان
 المصير سيئ فحاولت اخفاء ما ألم بي فلم أفصح وذهبت وكأني أودع الحياة
 على أن ماقاله مشيرو السوء لم يكن له نصيب من الصحة اذ صكنت
 لا أجتمع بسلاطين باشا الا نادراً وليس بيني وبينه غير مودة سطحية لانه
 كان يخاف علي من تهمة كهذه ولكن لا يعني حذر من قدر
 ولما دخلت على التعايشي ألقيته جالسا على عنقريب (سرير) وحوله
 القضاة والمشايرون جاثين على الارض كعادتهم وسيفه موضوع علي فخذه
 ممسكا بيمينه علي قبضته كانه يريد أن يستله والفضب باد علي وجهه فخطبني
 قائلاً يا ابراهيم فوزي فقلت ليبيك يا خليفة المهدي عليه السلام فقال أين سلاطين
 صاحبك فقلت لا أعلم ياسيدي وأظن انه في منزله فانه في بصوت جهوري
 قائلاً اذهب اليه وأحضره لي فمشيت بضع خطوات نحو الباب فقال لي
 يا ابراهيم فوزي فعدت اليه فقال ألم يكن عندك خبر بهروب سلاطين فقلت
 كلا فقال لي انه هرب فقلت باندهاش (أهرب أهرب) فقال لي ماذا تقول
 في أمر هربه فقلت يا خليفة المهدي عليه السلام ان سلاطين نصراني ارتد
 عن الاسلام وعاد الي دينه النصرانية وقد أبعد الله عن التمتع بمشاهدة أنوار
 خليفة المهدي عليه السلام في الدنيا والآخرة ومع ذلك فانه حُوق بمصر التي
 ينوي مولانا الزحف عليها في هذا العام ولا بد من وقوعه في قبضة المهديّة
 ويذوق جزاء خيائته وفراره فأطرق التعايشي الي الارض هنيئة ثم رفع رأسه
 وألقى عليّ الاسئلة الآتية

س - هل كان سلاطين يدخن التباك - ج - لا أعلم شيئاً من هذا -
 س - هل كان سلاطين يشرب الخمر - ج - أستغفر الله يا خليفة المهدي عليه

السلام أنا أعتقد أن مدينتك طاهرة مطهرة من كل رجس وليس فيها خمر أو محرم - س - هل كان سلاطين تاركا للصلوات الخمس - ج - ان سلاطين كان ملازما لخليفة المهدي عليه السلام في أوقات الصلوات الخمس وبذا لا يكون تاركا للصلاة وهذا ما نراه نحن بأعيننا أما البواطن وما تخفي الصدور فان علمها عند خليفة المهدي عليه السلام

وعند نهاية هذه الكلمة التفت التعاشي لمن حوله وقال خذوا هذا (وأشار الي) الى السجن وكان ذلك آخر عهدى بمحادثته ورؤية وجهه فاجتذبتني أربعة من الحراس الى خارج الباب وهناك اجتمع علي نحو خمسين منهم فاخذوا يضربونني حتى سال الدم من أنفي وجسدي ثم نزعوا عمامتي وشدوا بها وثاقي وساروا بي الى السجن والسياط تمزق جسدي فلم أقدر أن أمشي الا بعض خطوات ثم سقطت على وجهي وقد أغمى علي فأمسكوني وأسندني بعضهم والبعض الآخر يضربني بالسياط حتى بلغت باب السجن فتلقتني حراسه بالضرب بالسياط أيضا ووضعوا في رجلي ستة قيود يربو وزنها على أربعين رطلا ووضعوا في رقبتي غلا كبيرا (جنزيرا) وامسك الحراس عن ضربني بالسياط فالتفت اليهم وقلت اسقوني ماء فكان جوابهم الضرب بالسياط وقالوا لي مثلك لا يستحق شربة ماء ياعدو خليفة المهدي عليه السلام ثم أدخلوني السجن

اول ليلة في السجن واخبار اثنين يدعيان النبوة

كان وصولي الى دائرة السجن في أصيل النهار وبعد وضع الحديد في رجلي ادخلت الى أودة يطلق عليها اسم (أودة الحجر) لانها مشيدة

بالاحجار وليس فيها نوافذ غير الباب الذى يدخل منه وهى مظلمة جدا
 فدخلت وليس على جسمى من الملابس غير السراويل فوجدت فيها نحو مائتى
 مسجون وهى لاتسع أكثر من ربع هذا العدد فرأيت بينهم ثلاثة رجال
 بيض الوجوه يكادون تقرط ما هم فيه من العذاب مع طول مدة السجن أن يكونوا
 أشباحا بلا أرواح فدنوت منهم وجلست بجانبهم فاذا أحدهم الموسيو شارل
 نيوفيلد الذى تقدم لنا ذكر خبره والآخر صيدلى مصرى اسمه خليل أفندى
 بسيم والثالث رجل من تجار اليهود فى أم درمان جلست بينهم وأنا اتقلب
 فى آلام الجروح والضرب اللذين ذكرتهما قبل فآظهوروا لى من المواساة
 والتوجع لمصابى ما كاد يعزبنى واخذت أجيل نظرى فى الثرفة فاذا الذين
 فيها جلهم مرضى مصابون بالاسهال واذا بجانب كل واحد حفرة يتغوط
 فيها ولضيق الثرفة كان الناس متراكمين على بعضهم ومنهم من هو واقف
 على فخذه غيره ومنهم من يصيح وطئت على رقبتي كل ذلك ولا منقذ يستنشق
 منه الهواء غير الشقوق التى فى الباب

ولم يمض على أكثر من ساعة حتى أغمى على وفقدت الشعور ولم أفق
 الا على صوت الموسيو نيوفيلد الذى كان يصيح من داخل الباب لخفير
 السجن قائلاً (ان الرجل الذى جثم به قدمات) لانهم أيقنوا بموتى فلم يعبا
 الخفير ولا السجنان بكلامه ولما رفعت رأسى سمعت أصحابى الثلاثة
 يقولون ظنناك فارقت الحياة فالحمد لله على سلامتك وكان عند كل واحد
 قطعة من الخرق بالية يروح بها على نفسه من شدة الحر فكان
 الثلاثة يروحون على بخرقهم وقد نسوا أنفسهم فجزاهم الله عنى
 أحسن الجزاء

وقبيل الصباح دخل علينا السجانون فأوسعوني واصحابي ضربا بالسياط
قائلين لنا لماذا يا أولاد الريف يا كفار تجلسون مع بعضكم ثم وضعوا كل
واحد منا في أودة مع أناس من المسجونين فجلست بجانب عبد أسود تظهر
عليه علامة المرض فبدأته بالحديث مستفهما عن جريمته فرفع رأسه وقال لي
أما تعرفني فقلت كلا فقال أنا عيسى بن مريم نبي الله ورسوله فظننته مازحا
فقلت له أصحيح ما نقوله فالتفت اليّ وقال لي ستري مصداق ذلك قريبا فقلت
له ان عيسى صلوات الله وسلامه عليه أبيض اللون وانت عبد أسود فأجابني
بثبات جاش ان جميع الالوان بيدي ولوشئت جعلت لوني أبيض ولكنني اخترت
سواد اللون تواضعا لله تعالى ثم رأيت بجانب رجلا آخر ذا ملابس نظيفة
وهيئة مهيبة فقلت له هل سمعت ما يقوله هذا الذي يزعم انه عيسى بن مريم
عليه السلام فلم يرد عليّ فظننت انه مستغرب هذا الخبر وأخذت أكله
وقلت له حقا ان هذا الامر غريب جدا وهل يظن مثل هذا الكذاب
ان دعواه تقابل بالتصديق ولو من البسطاء فلم يرد عليّ بشيء بل أعرض
عني وبينما أنا متعجب اذ التفت الى خلفي فرأيت احمد الفحل ورفيقه
الصادق بن عثمان اللذين سبق لنا الكلام عنهما وانهما هربا سلاطين باشا
يضحكان فلم أفهم لماذا يضحكان فدنوت منهما وسألتهما عن سبب
ضحكما فقالا لي ان الرجل الذي تكلمه وتشكوه امر المتنبئ يدعي هو ايضا
انه عيسى بن مريم عليه السلام فازددت تعجبا ودخل ساغشذ أحد
السجانين واسمه (ابواباده) وقال لي يا ابن الريف لماذا حبسوك فقلت
لا أدري فقال لي انكم معسر أولاد الريف لا تتركون كفركم وانكازكم على
المهدي وخليفته فدنوت منه وأخذت أترامى على اقدامه ورجوته أن ينقلني

من هذه الغرفة التي فيها متبئان فقال لي على شرط أن تنقذني ريالاً فقلت له
أأنقذك الريال مع اني لا أملك قرشاً واحداً ولا في بيتي درهم ولا دينار
فأخرجني من تلك الغرفة الى غرفة أخرى فيها أكثر من مائة مسجون فقضيت
بقية الليل واقفاً على قدمي والناس يضحون من شدة الحر والازدحام
وتوفي اثنان منهم في تلك الليلة

ولما لاح الصباح أخرجونا من الاودة فسمعت السجناء يقولون ان
(الاودة كرمت) اي أنها ضحت هذين الرجلين ثم جروا الرجلين من
أرجلها وألقوهما في النهر

هذه أخبار الليلة الاولى في السجن أوردتها بإيجاز كثير وسأعود الى
ذكر بقية الاخبار في محالها والله الهادي الى سواء السبيل

انذار المؤلف بالاعدام

وبعد خروجي من الأودة جلست مع المسجونين في حوش السجن
وبعد بضع ساعات كنت أستنشق الهواء في خلالها جاءني أحد السجناء
يدعوني للخروج الى أودة أمير السجن فخرجت أرسف في قيودي فوجدت
بها اثنين من القضاة أحدهما سليمان بن الحجاز والثاني احمد بن حمدان
فقالا لي ان خليفة المهدي عليه السلام بلغه عنك انك كنت تصنع أشياء
مخالفة لمنشورات المهدي عليه السلام وانه رأى وجوب قتلك فقلت ان خليفة
المهدي عليه السلام أوتي الحكمة وفصل الخطاب وان المهدي عليه السلام
أخبر بانه من اهل الكشف فاذا كان هذا القول من عندياته فهو
صادق والافان لي أعداء يرومون التشكيل بي من قبل زمن المهدي فهم

كذابون وعلى كل حال فأنا لا اطلب لديناي أو آخرتي غير رضا خليفة المهدي
 فاذا عزم على قتلي فأنا راض بأمره واسأله أن يرضى عني وان شاء استحيائي
 فاني لا أرغب في الحياة الا اذا كانت مصحوبة برضاه فذهب القاضيان له
 وأخبراه بما قلته وبعد ساعتين عادا الى وقالوا لي ان خليفة المهدي عفا عنك
 واستبدل قتلك بسجنك مؤبداً فسجدت بين يديهما شاكرًا لله تعالى ثم
 رفعت رأسي وقلت لهما أبلغا تحيتي لمولاي خليفة المهدي عليه السلام وقولا
 له ان عبدك طامع في عفوك ومتوسل اليك بحلمك وحنانك فذهبا ولم يعودا
 الا بعد سنتين وسيجيء ذكر ذلك في مكانه

ذكر قتل القاضي احمد بن علي

القاضي احمد بن علي أصله من عشيرة اسمها (بنى هلبه) تسكن جنوب
 دارفور وكان يحفظ القرآن الشريف ويعرف قليلا من الفقه على مذهب
 الامام مالك وولى القضاء في أحد مراكز مديرية (شكا) إحدى مديريات
 دارفور ولما ظهرت دعوة المهديوية في جبال قدير فر احمد المذكور وخلق بها
 وشهد مع المهدي واقعة يوسف باشا الشلالى وقدم معه الى الابيض عاصمة
 كردفان حتى كانت وقعة يوم الجمعة التي قتل فيها احمد بن جباره الذي كان
 قاضيا للمهدوية كما مر ذكر ذلك باسهاب في الجزء الاول

وكان احمد هذا ميالا بجانب عبد الله التعايشي الذي جعله قائدا صغيرا
 على عشيرته^{٩٩} (بنى هلبه) وأعطاه راية صيرها تابعة لرايته الزرقاء فتكلم
 مع المهدي في شأنه وسأله أن يوليه القضاء بدل احمد جباره فولاه
 ولقبه بلقب (قاضي الاسلام) ولكن وظيفته هذه صارت اسما بلا مسمى

وذلك لان المهدي أقام نوابا للفصل في القضايا المهمة ونصب أمناء ينوبون عنه في نظر ما يرفع اليه من المسائل وقد تقدم ذكر ذلك فيما مر من الكتاب

وقد ذكرنا ان الكل من القاضي والنواب والامناء اختصاصا في وظيفته ولكن النواب والامناء تجاوزوا حدود اختصاصهم ولم يتركوا للقاضي اختصاصا ينظر فيه حتى صارت وظيفته اسما بلا مسمى الى أن هلك المهدي واستبد التعايشي بالملك فالنبي وظيفته الامناء ثم النواب وجعل المحكمة واحدة تحت رئاسة أحمد بن علي تنظر في كل ما يرفع اليها من الدعاوى والخصومات وقد أشرنا فيما مضى الى الغرض الذي كان يرمى اليه التعايشي من وراء هذا الانقلاب الذي يتوخى به الاضرار بأقارب المهدي واضطهادهم. وحاصل القول ان أحمد بن علي أصبح ذا مركز سام وتقوذ عظيم ولم تقف حظوته عند القضاء فان التعايشي وأخاه يعقوب كانا لا يقطعان أمرا دون مشاورته فاستفحل أمره وتلاعب بالقضاء أي تلاعب وانضم الى رايته أغنياء البلاد وسراتهم في سائر أنحاء السودان وصار يكتب الى الجبابة بمعاذرة المتتمين اليه من أهالي البلاد من الضريبة والخراج التي صاروا يؤدونها له واقتنى عددا كبيرا من السفن الشراعية وامتلك كثيرا من قطع الاراضي الخصبة أما الرشوة فقد كان دخله اليومي منها يقدر بالالوف من الريالات وشاد لنفسه دارا واسعة بالقرب من ضفة النهر ملاءها بالنساء الحسان من السودانيات والمصريات وجاهن قبليات من سكان الخرطوم اللاتي استباحهن المهديون وامتلات القياقي وأماكن المرعى بقطعان ماشيته من الابل والبقر والغنم وبالجملة فقد أصبح ذا ثروة طائلة

ومن غرائب شعوذته في القضاء وخراب ذمته وميله الى الارتشاء ما أورد منه هذه النكتة ليقاس عليها بقية أعماله وذلك انه في احدى السنين تشاجر جاب اسمه حبيب مع احدى قبائل البحر الابيض لاسباب طقيفة كان الحق فيها مع رجال تلك القبيلة فأمر مقاتلته باطلاق الرصاص على الحى فقتل من الرجال نحو ثلاثين رجلا عدا الجرحى فرغمت الحادثة للتعاشي فأكبرها وغضب على الجابي وأحال محاكمته على القضاء فعمدت الجلسة الاولى ثم ارجئت الى الندوة في تلك الليلة حمل الجابي الى القاضي أحمد بن علي ثلاثة آلاف ريال فأمر في الغد بايداع المتظلمين من تلك القبيلة السجن وأفهم التعاشي انهم شهروا حربا على المهدي وخليفته وبعد عناء شديد اخرجوا من السجن وذهبت دماء القتولين هدرًا ومثل هذا كثير لا يسع المقام ايراده وانما أوردنا هذا مثالا تقاس عليه حالة ذلك القاضي

وفي أواخر سنة ١٣١١ كتب التعاشي سرا الى الجباة يأمرهم بإرسال الكتب التي ترد اليهم من القاضي احمد بن علي يأمرهم فيها بمعافة المنتمين لرايته من الضرائب والخراج فاجتمع عنده شيء كثير منها فجلس ذات يوم ومعه القضاة واستدعى القاضي أحمد وقال للحاضرين ما يأتي

أيها القضاة أخبركم انني اجتمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم والخضر والمهدي عليهما السلام وبينما كنت معهم اذ رأيت شخصا معذبا بين السماء والارض فسألت عنه فأجابني المهدي بانه القاضي احمد بن علي فدهشت لذلك فقال لي الخضر عليه السلام انه نقض عهدك وجمع الاموال وظلم العباد فلماذا أنا أمر القاضي احمد بالتوبة والاستغفار كما أمره بالتخلي عن الرايات التي يقودها والانقطاع الى القضاء فقط اه

فقام القاضى وقبل يد التعاشى وبكى واتعجب وتاب واستغفر وخرج مع زملائه يرجوهم أن لا يذكروا شيئا مما جرى في هذه الحضرة لاحد من الناس وبعد مضى بضعة أسابيع على هذه الحادثة ضبط محتسب السوق شخصين يدعى أحدهما عبد المجيد عبد الله الدنقى ويدعى الآخر عبد الله سليمان يزيفان المسكوكات من نوع ريبالات المهدوية وأحضرهما امام التعاشى الذى سألهما عن جنائيهما فقالا له لم تزيف بل نضرب العملة لك فتعجب من هذه الجرأة وسألهما الايضاح فقالا ان القاضى احمد بن على هو الذى أمرها بسك هذه النقود وأفهمهما انه مأمور من قبل التعاشى وكانا يؤديان له كل ما يصنعانه منها ثم أبرزنا كتابا من القاضى بخطه متضمنا هذا المعنى فأمسك التعاشى الكتاب واطلع من حوله عليه فأكدوا صحة صدوره من القاضى احمد بن على فاستدعاه وسأله قائلا ألم يكفك ما اغتلته من الاموال حتى صرت تزيف النقود فأنكر ذلك فأبرز له التعاشى الكتاب المذيل بتوقيعه ثم عاد الى الاعتراف فاحتدم التعاشى غضبا وقام من مجلسه ودخل الى أودة جلوسه واستدعى القضاة فجلسوا ولم يكلمهم بشيء بل أمر باحضار القاضى احمد ابن على فلما حضر بين يديه أمر الحراس بايداعه فى السجن فسبق اليه ثم قال لمن حوله من القضاة سأقوم فيكم خطيبا بعد صلاة المغرب فليكنم أن تسمعوا ما أقوله لكم ومروا الناس بانتظارى لسماع ما أقوله فخرجوا من عنده وبعد صلاة المغرب صعد منبر الخطابة وقال ما يأتى

ان احمد الاسود (لانه كان أسود اللون) أصله مولى قبيلة بنى هلبه ولم يكن منها وقد أفسد وظلم العباد واغتال أموال المسلمين فلذلك أرى ان موته خير من حياته فرد عليه الحاضرون بلسان واحد حسنا تفعل

ومن هذه الخطبة أيقن الناس ان القاضي احمد سيقتل
وفي اليوم التالي ذهب يعقوب أخو التعايشي الى السجن وانفرد بالقاضي
احمد وخدعه بانه سيسعى في خلاصه من السجن فانخدع له ثم سأله عن
أمواله فأوضحها له وكانت شيئاً كثيراً من الذهب والفضة فضبطت كلها
وصودرت لجانب بيت المال

وبعد استنفاء أمواله طرح منفرداً في احدى غرف السجن ومنع عنه
الطعام والشراب حتى توفي بعد بضعة ليال وكان طويل القامة بدين الجسم
شديد سواد اللون وكان غير مصدق بدعوى المهديّة وكثيراً ما رأيت
منه محاباة لجاني في أمور احدثت محاکمتي فيها عليه بسبب فلتات من اللسان
عقوبتها الجلد بالسياط عند الدراويش

ذكر تولية الشيخ الحسين الزهراء (القضاء وقتله صبراً)

تقدم لنا في الجزء الاول من هذا الكتاب شيء من أخبار الشيخ
الحسين بن الزهراء وما كان من أمر قصيدته الهمزية التي نصح بها المهدي
وقد نشرناها برهتها وأن المهدي أتقذه الى كسلا وقد كان التعايشي
حاقداً عليه بسبب النصيحة المذكورة اما هو فقد رجع على نفسه باللائمة
لما فرط منه من الميل الى دعوى المهديّة التي انكر كل اعمالها وجاهر
المهدي بانكاره والمهدي يغض عن عقابه رعاية لجلالة قدره وتقواه حتى
توفي المهدي وخلفه التعايشي الذي كان ذا ميل شديد للاتقام من الشيخ
الحسين المذكور

وقد كان التعايشي استقدم الشيخ الحسين من بلده في الجزيرة وعهد
اليه بالقاء دروس في علمي الحديث والمواريث في المسجد ولما قبض على القاضي
احمد بن علي ولاء القضاء بدله

ولما ولي القضاء قال لخواصه اني لا أريد المحاباة بل أريد الوقوف عند
حد الشرع وكل أمر يمرض علي لا أقول فيه غير الحق وأنا لا أجهل ان
عاقبة ذلك ستكون الموت

وبعد أن تولى القضاء عرضت عليه مسألة وهي (ان رجلاً من الموسرين
اسمه عوض الكريم من أهالي قرية (التممة) بمقاطعة بربر هجر دياره
فراراً من ظلم المهذوية ولحق بالحرمين الشريفين وتوفي هناك فافتى القضاة
بكفره ووجوب مصادرة أمواله) فقال الشيخ الحسين لم يكفر هذا الرجل ولا
تجوز مصادرة أمواله أبداً فحقد التعايشي عليه وأضر له السوء

وفي ذات يوم دعاه ومعه قاضيان هما حسين جزو ومحمد حمدان وكلاهما من
أهالي السودان العربي لا يعرفان شيئاً من الاحكام الشرعية ولكنهما يحفظان
الفاظ القرآن وكانا من اكبر قضاة الجهل والظلم ومعهما أمين بيت المال ولما
استقر بهم الجلوس بين يدي التعايشي خاطبهم قائلاً « أيها القضاة ان بيت
المال ليس فيه نقود وان الانصار يطلبون أعطيتهم فماذا نضع » فاجابه محمد
حمدان بما يأتي

انني مع المهدي عليه السلام يقول ان الناس يبعونني علي ان
اصرف في رقابهم واموالهم تصرف المالك وما يملك لاني حليبه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعليه فيجوز لامين بيت المال ان يكفره ذوى اليسار علي
ان يقرضوه ما يطلبه منهم وليس بيت المال ملزماً بالسداد ولكن بعد الدائنين

بالوفاء تطيبنا نحو اطهرهم فاحتدم الشيخ الحسين غضبا وضرب ييده محمد
حمدان قائلا

استغفر الله مما قلته فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقترض ويوفي
دائنيه ولا يجوز ابدا أخذ اموال الناس بالطريقة التي قلتها فساء ذلك التعايشي
واحتدم غضبا وقال مخاطبا الشيخ الحسين

لقد كذبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يكن ملزما بتأدية
ما يقترضه وقد اباح الله اخذ اموال الناس تم أمرهم بالانصراف وقال
للقاضيين الضالين حسين جزو ومحمد حمدان احكما بكفره لانكما قاضيان
يجب انقاذ ما تحكمان به فاخذاه وذهبا به الى السجن وامرا بوضع ثلاثة
قيود في رجله وغل في عنقه تم ذهبا الى منزل يعقوب اخي التعايشي
ليتداولوا في الامر ثم رفعا الى التعايشي حكما فحواه ان الشيخ الحسين كفر
وان عقوبته احدى ثلاث اما ان بنى واما ان تقطع يده ورجله من خلاف
واما ان يسجن مؤبدا فاختر التعايشي هذه ظاهرا واضمر قتله فاعزز الى
السجان بوضعه في احدى غرف الاعدام ومنع الاغذية عنه فنقله اليها بعد ان
وضع في رجله اثني عشر قيذا وجزيرين ومنعوا عنه الماء فكان يستغيث من
الظما وفي ذات ليلة رفع صوته بالاستغاثة طالبا شربة ماء ليستعين بها على معالجة
سكرات الموت فلم يمطوه شيئا وكانت ليلة شديدة الحر فلم يشعر الا بالمطر قد
هطل على السجن كافواه القرب مع اننا في فصل لا تمطر السماء فيه في السودان
ابدا ونداعى ركن من اركان العرفة المسجون بها فامتلات بماء المطر فشرب
الشيخ واعتسل وتوصأ وملا ابريقه وقاض الماء حتى تجاوز ركبته
وفي الغد دخل عليه السجناء ووسعوه ضربا قائلين انك ساحر فقال

لهم لست بساحر ولكن الله سقاني الماء لما طلبته منه .فاخذوا منه الابريق
واصلحوا ما تدعى من ركن العرفة وبعد ليلتين دخلوا عليه فالتوه في سكرات
الموت بثبات جاش غريب ولما توفى أمر التعاشي بعدم غسل جثته وتكفينها ودفنها
وصرح بان تلقى على وجه الارض لانه كافر بزعمه وأمر بكتمان أمر وفاته عن
ذويه الذين ظلوا يروحون وينغدون الى السجن حاملين له الاطعمة والملابس
فكان السجناء يأخذونها منهم ويمودون لهم قائلين ان الشيخ يأمركم
باحضار كذا وكذا من الاطعمة والملابس فيسرعون باجابتهم وهم لا يعلمون
ان الشيخ مضت على مفارقتها الحياة بضعة أسابيع وجثته قدمت غذاء للنسور
وظلوا على هذا الحال زهاء شهر من الزمان حتى أمر التعاشي عقيها بمصادرة
امواله وأخذ نساته فلم ذووه انه فارق الحياة

أما وفاته فقد كان لها تأثير سيء عند الاهلين واظهر المسجونون حزنهم
عليه وكان له تلامذة عديدون اختفوا وخافوا الايقاع بهم .ولا بأس بايراد لمعة
من ترجمته اتماما للفائدة فنقول .هو من قبيلة صغيرة في الجزيرة قدم القاهرة
صغيرا وتلقى العلوم بالازهر الشريف وبرع في العلوم العقلية وكان ذا ذكاء
عظيم ودين متين حتى قال أحد مشايخه الازهريين انه لم ير سودانيا يماثله ذكاء
ولما قفل راجعا الى دياره وهبت ثورة المهديونية صادفت هوى في قلبه
لانه كان ناظرا اليها من الوجهة السيادية وقد تقدم أنه لما قابل المهدي
ونصحه بقصيدهته التي أودعها مغامر كثيرة ندم ولم يعد قادرا على احتمال
معاشرة المهديونية فكان يقضى اكثر أوقاته في قرية بالجزيرة راضيا بالحمول
والبعد عن المهديونية وشروورها حتى استدعاه التعاشي وكلفه قراءة درسين
في الحديث والمواريث وكان قصده من ذلك الحجر عليه بام درمان تمهيدا

لما حل به من القضاء المحتوم

وعلى ذكر الشيخ الحسين نقول ان من الوشائيات التي كان التعاشي
يقبلها ويبطش بالموشى به ان يقال له ان فلانا من أهل العلم لانه يوقن اذ
ذلك بان من كان عالماً لا بد ان يكون غير راض بالمهدوية وفي ذات يوم قال
ان العلماء مفسدون في الارض ولا امان لنا من مفسدهم التي يفرسونها في
افتدة الناس الا يقتلهم ومثل العالم في البلاد كمثل شجرة في وسط مزرعة
تاوى العصافير اليها وتقتات ثمار المزرعة وهكذا العالم ياوى اليه الناس ثم يبيت
فيهم معارفه التي تأكل ايمانهم وتصديقهم بالمهدوية كما تأكل كل العصافير ثمار
المزرعة فكما انه لا سبيل لحفظ المزرعة من عبث العصافير الا بقطع الشجرة
كذلك لا سبيل لحفظ عقائد الناس في المهدوية بغير قتل العلماء
وخلاصة القول ان الشيخ الحسين كان اعلم أهل السودان ومن اكبر
الذين شايعوا المهدوية في بدايتها وقد رأيت ما حل به من الانتقام مثل كثير
من الذين ساعدوا المهدي وأعانوه على دعوته ومن اعان ظالماً سلط عليه

خفراء السجبن

كل خفراء السجبن والسجانين من أقارب السائر السجان أي من قبيلة
الجوامعة التي عرفناها فيما تقدم من هذا الكتاب وجلهم من أبناء السفاح
الذين يقال لهم (عينة خاله) فاذا سألت واحداً منهم عن اسم أبيه يجيبك
بقوله «أنا ابن أخت فلان» ولم اسمع بواحد منهم اسمه من الاسماء المألوفة
والاعلام المعروفة كمحمد واحمد وغيرهما بل لهم اعلام هي في الحقيقة صفاتهم
مثل ذلك ان احدهم اسمه (شقيب) ومعنى هذا الاسم «الصارع اي انه

يصرع كل من صارعه وآخر اسمه « كبه كاه » ومعناه ان خلاله كلها مما
 يمجه الانسان ولا يقبله احد وقس على هذين العلمين سائر اسماء الخفراء
 والسجانين

وهؤلاء لا يدفع لهم التعاشي مرتبا ولا يجري عليهم رزقا فاذا ذهبوا
 الى بيت المال طالين اعطية قابلهم وموظفوه بالاستغراب قائلين كيف تطلبون
 عطاءً من بيت المال وعندكم من الناس المسجونين من يمكنكم ابتزاز المال
 منهم وضرب الضرائب عليهم وهم مرغمون على اجابة مطالبكم فكان امير
 السجن يفرض الضرائب على كل مسجون بما يزيد عن طاقته وكان ابراهيم
 حمزة عميد قبيلة (الاتقريب) الذي ذكرت امر سجنه كثيراً ما يؤدي تلك
 الضريبة عنى اذ لم اكن املك درهما منها وكنافى ايام الاعياد والمواسم تؤدي
 ضريبة فوق العادة عدا الضريبة الشهرية التي لامناس من دفعها وعدا
 ما ندفعه كل يوم وليلة للسجانين الذين كثيرا ما كانوا يأخذون، لابسنابدل الرشوة
 ومن نظامات السجن ادخال المسجونين في الغرف التي لا منفذ فيها
 ليقضوا الليل في فصلى الصيف والربيع في الحر الشديد أما في فصلى الخريف
 والشتاء فينامون تحت السماء مقرنين في الاعلال فراشهم الارض وغطاؤهم
 السماء يحيط بهم السجانون بايديهم السياط ويأمرونهم بالاضطجاع على جنب
 واحد فاذا تحرك احدهم حركة ولو خفيفة اوسعوه ضربا بالسياط

الايام الاولى في السجن

لما ادخلوني السجن ضاعفوا قيودي حتى بلغت ستة قيود ثم
 اتدبوني مع آخرين لحفر بئر في منزل امير السجن المجاور للسجن فكان

اننان يخران بداخل وأنا أجذب الاتاء الذي يضعان فيه التراب وكان هذا الاتاء من الحديدورنه لا يقل عن خمسين رطلا والحبل الذي أجذبه به جنزير من حديد فتورمت ككفاى بسبب ذلك وسالت الدماء منها والسجانون حولى يضربونى بالسياط فمدت يدي لهم با كيا مسترحما من ألم الجروح التى بهما فما كان منهم الا ان ضربونى بالسياط عليهما فوقعت مغشيا على فاخذوا يضربونى ضربا مبرحا

شارل نيوفيلد

والمؤلف مقرونان فى القيود

ذكرت انى فى الليلة الاولى التى سجنت فيها كنت مع شارل نيوفيلد ثم فرقوا بيننا وكان كثيرا ما يجتمع بي كلما لاحت له فرصة فى غفلة السجانين الذين كانوا قد تلقوا عن التعاشى تعليمات سرية بالحيلولة بيننا خشية ان نتفق على الهرب

وفى ذات يوم كان السجان الاكبر مارا فوقع نظره علينا فامر بجعلنا فى قيد واحد زيادة فى تعذيبنا وبعد بضعة أيام أصبت بحمى شديدة كادت تودى بحياتى وأصيب شارل نيوفيلد باسهال شديد يضطره الى الذهاب الى المراض كل خمس دقائق وأنا بسبب شدة الحمى لا أقدر على القيام من مضجعى وكان الفصل صيفا شديد الحر فثقب ثوبا فى الارض بجوار مضجعتنا لقضاء حاجته فكنت على ما بى من الم الحمى فى أشد حالة من تن رائحة المراض الذى بجانبى وظللنا على هذه الحالة السيئة مدة خمس ليال

ثم مرت بنا ذات يوم أم احدي نساء امير السجن وكانت مصرية من أهل

انخرطوم فوقت وسلمت علينا وهي باكية متحسرة وسألنا لماذا قرنتما في قيد واحد فقلنا لها هكذا أمر أمير السجن فذهبت متشفعة ومسترحمة لنا فقبل شفاعتها وأمر بوضع كل واحد منا في قيود على حدته

أمير السجن في منزله ونسائه

لامير السجن دار بالقرب من المسجد لم ينفق في تشييدها قرشا بل كان يشغل المسجونين في بنائها وكان عنده من النساء خمس عشرة امرأة منهن واحدة مصرية من اللواتي أخذن مسبيات من انخرطوم والبقية من أجناس مختلفة من السودانيات وكان له حارس اسمه طنبل الشايق يجلس على باب المنزل وله سلطة كبيرة في السجن اذ لا يؤذن بادخال طعام الى أحد المسجونين الا اذا رآه طنبل فاذا كان جيدا أمر بادخاله الى منزل أمير السجن واذا كان متوسطا دعا بقية الخفراء الى الاكل منه وقل ان يتركوا لصاحبه ربهه وقد أطلق المسجونون على طنبل لقب (شنقل منقل) ومعناه المنشار يأكل صاعدا ونازلاً

هذا وقد ذكرت الضريبة الشهرية التي كنا تؤديها الى أمير السجن وعدا ذلك فانه كان يجمع المسجونين كلما أراد ان يشتري محظية أو يتزوج امرأة جديدة أو يولد له ولد ويخاطبهم قائلاً انكم لا تجهلون اننى لست تاجرا ولازارعا بل اتم زراعتي وتجارتى فعليكم ان تجمعوا الى مائة ريال لاننى أريد الزواج أو ولد لى ولد نم يضرب لهم موعدا للدفع فاذا تأخروا أمر السجنائين بتعذيب المسجونين فاذا كان الفصل شتاء يكون التعذيب بصب الماء البارد

على اجسامهم ليلا مع الضرب بالسياط واذا كان الوقت صيفا وضعوا الاغلال في اعناقهم وجردوهم من ملابسهم واجلسوهم في الشمس مع الضرب بالسياط أيضا كل ذلك عدا ما تؤديه الى السجناء والخبراء فلكل واحد الحق في طلب ما يريد من المسجونين مثل مطالب اميرهم التي هي الضريبة الشهرية وضريبة المواسم والاعياد وضريبة الزواج وضريبة الاولاد وعدد الخبراء يبلغ المائة ورؤساؤهم اربعة لكل واحد منهم نوبة يوم وليلة يتصرف في خلالها التصرف المطلق بدون ادنى معارضة من امير السجن

صلاة المسجونين

من نظامات السجن ان المسجونين يصلون الصلوات الخمس جماعة ولهم امام منهم وفي كثير من الاحيان تكون وقوفا في الصلاة فيهجم علينا الخبراء بالسياط ويضربوننا بحجة اننا لم نحسن الصلاة فنفرع وتترك الصلاة ونهرب مذعورين

وفي احدى ليالى الصيف قننا لصلاة المغرب التي بعد انتهائها يدخلوننا الى الغرف التي تقدم لنا وصفها فرجونا الامام ان يطيل القيام والسجود لتتمكن من استنشاق النسيم في خلالها ففعل وكأن الخبراء ادركوا ذلك فوثبوا علينا بالسياط واوسعونا والامام ضربا ففترقنا شذرا مذر واسرعنا الدخول الى الغرف

ضريبة ريال كل يوم على المؤلف

قلت ان المسجونين يدخلون الغرف في ليالى الصيف وفي كل ليلة

يموت بعضهم اختناقاً وفي إحدى الليالي اتفقت مع أمير السجن علي أن ادفع له في كل ليلة ريالاً وهو في نظير ذلك يأمر بتركي جالساً عند باب الغرفة لاستنشق الهواء من شقوق الباب

ولقد كنت لأملك قرشاً من هذا الريال ولكنني أقدمت على الاتفاق معه رجاء تركي تلك الليلة فمضى الخبر إلي أحد معارفي وهو يوناني اسمه الخواجه مانولي ديا كويني كان تاجراً في الخرطوم وله في معي صداقة قديمة ومعاملات منذ كنت حاكماً على إقليم خط الاستواء وبعد سقوط الخرطوم وقع أسيراً في قبضة المهديوية فاستعمله التعاشي في صناعة الصابون فأرسل إلي أمير السجن وتمهد له بتأدية الريال في كل يوم وإن لا يطلبني به بل يدفعه هو في نظير مطالب قديمة كانت لي في ذمته وبذلك تمكنت من الجلوس خلف الباب كل ليلة واستمر الخواجه مانولي يؤدي عني ضريبة الريال حتى من الله علي بالخلاص لما دخل اللورد كتشنر أم درمان فاتحاً

النادرة العباسية في السجن

رأيت أن أعنون هذه النادرة بهذا العنوان لما تراه فيها من الخبر الغريب الذي أقصه عليك وقد كنت ذكرت أن التعاشي زوجني امرأة من نساء الخرطوم اللاتي كن عنده وكانت لها أخت متزوجة بسوداني اسمه «عباس» وفي ذات يوم دخل علي بضعة أشخاص من البقارة وكنت وقتئذ جالساً بالقرب من عبد متهم بقتل واسمه (عاكيش) فخطبني أو أهلك الأشخاص قائلين يافوزي فقلت نعم فقالوا أصدقنا ما هي قرابتك من عباس فقلت انه عديلي فقالوا كلا بل هو ابن أختك فقلت كلا كيف يكون ذلك وأنا

مصرى وهو سودانى فقالوا وضح لنا الحقيقة فقلت لهم ان خليفة المهدي عليه السلام زوجنى امرأة عباس هذا زوج أختها فقالوا يظهر انك لم تفهم كلامنا لانا نسألك عن (عباس خديوى مصر) وفي غضون ذلك كان شارل نيوفيلد قد وقف بجانبنا فالتفت اليه وقلت ان الفرق بينى وبين عباس خديوى مصر كالفرق بين خليفتم وبين «عاكيش» هذا وأشارت الى العبد السالف الذكر فقالوا كذبت فقد علمنا انك خاله ثم انصرفوا عنى وذهبوا الى امير السجن فقصوا عليه ما دار بينى وبينهم من الكلام فغضب وامر الخفراء باحضارنى فساقونى اليه بعد ان اوسعونى ضربا ولما وقفت بين يديه امر الخفراء بضربى حتى صرت اسنغيت فلا اناث وبعد ان مزقوا جسمى امرهم بالكف عنى وقال لى يا كافر انت شاك فى خليفة المهدي عليه السلام فقلت ياسيدى ما الدليل على ذلك فقال انك قلت للذين كانوا يحادونك «خليفتم» ولم تقل خليفة المهدي عليه السلام وهذا يدل على كفرك فانكرت اننى قلت هذه الكلمة واستشهدت بشارل نيوفيلد فاحضره بحالة تشبه الحالة التى احضرونى بها وبعد ان اوسعوه ضربا سألوه فانكر انه سمع هذه اللفظة منى وأصر على الانكار فقال له انت تشهد لابن عمك وامر امير السجن بمجلد شارل نيوفيلد خمسين جلدة وضاعفوا قيوده

اما انا فقد ضوعفت قيودى واغلالى وغللت يداى الى عنقى وامر بوضعى فى الغرفة المعدة لمن يراد قتله وهى التى اعدم فيها القاضيان احمد بن على والحسين بن الزهراء اللذان تقدم لنا ذكرهما وهم امير السجن بالذهاب الى منزل التعايشى لاستصدار امر باعدامى وفي الحقيقة لو ابلغه القصة لامره بذلك فترامى المسجونون على اقدامه يرجونه الصفح عنى فقال لهم لا بد من

ان يحضر عشرين ريالاً فدخّل على صديقاي ابراهيم حمزه ومحمد الشافعي عميدا
 بربر اللذان سجنا من أجل تهمة الاشتراك في تهريب سلاطين باشا وقالوا
 ان أمير السجن وعدنا بالصنح عنك على ان تدفع له عشرين ريالاً فقلت لهما
 كيف ذلك واتما لا تجهلان اني لا املك قرشا من العشرين ريالاً وليس
 عندي متاع ولا أرقاء غير عبدي المسمى «لدوم» وهو لا يبلغ ثمنه عشرين ريالاً
 مع ان قيمته الادبية عند توازي الآلاف من الريالات لانه كما تعلمان يطوف
 على منازل اصدقائي واخواني المصريين يجمع منهم ما تجود به مروءتهم
 لغذائي وغذاء زوجتي وولدي فاذا كان لا يعنيني فاني اختار الموت لارتاح
 ويبقى عبدي «لدوم» ليقوم بحمل تغذية عائلتي الشقية اذ هو ينفق كسبه
 عليها زيادة على ما يتبرع به المصريون لي فرقالي ورثيا لحالي ودفعا العشرين
 ريالاً من مالهما وخلصاني من هذه الورطة التي لارتاب ان التعايشي يأمر
 باعدامي لو وصلت اليه هذه القصة فجزاها الله خيرا الجزاء وعوضها عن ثروتها
 وما خسراه من الاموال الطائلة التي اتفقاها في السجن خيرا أما مشار القصة
 فان احد اعدائي وشي بي عند اقارب التعايشي وافهمهم اني خال مولانا
 الخديوي عباس حلمي باشا وقصده من ذلك زيادة تعذيبي او اعدامي لان
 انسابا كهذا مما يضر ضررا بليغاً بل يكون وبالاً لك فأمل في نباوة هؤلاء
 المهديين وطلهم

ذكر ابطال القهوة

من غرائب احكام التعايشي انه امر بابطال الاماكن العمومية التي تباع
 فيها القهوة ويجلس الناس فيها للسمر واصحابها في الغالب من المصريين وهي عبارة

عن الكواخ من الخوص فيها كراسي من الخشب والجلد تشبه (العقرب) وفي بداية الامر اصدر امرا بابطال المقاعد وان لا يجلس شاربو القهوة الا على الارض فاستعاض اصحاب القهاوى عن المقاعد بالحصر السودانية التي تسمى (برشا) ثم وشي له واش بأن الذين يتسامرون في القهاوى جلهم من المصريين وانهم اذا جلسوا في تلك الاماكن يخوضون ويتحدثون في شأنك وهم يطلقون عليك اسم (الزر) فاذا جلسوا تحدثوا مع بعضهم ماذا فعل الزر فيحيون بعضهم فعل كيت وكيت فاصدر امرا بابطال القهاوي وجرت في ذلك محادثات ومداولات كثيرة وكان التعايشي ميالا الى وضع قانون يحرم به القهوة كتحرим الدخان الا انه عاد الى الصواب وقال لولا اني رأيت المهدي يشربها لحرمتها ولاغرابة في ذلك فان اعراب السودان الغربي الذين منهم التعايشي لا يعرفون القهوة ولا البن ولما قدموا الى الخرطوم ورأوا الكثيرين من الاهلين يشربونها كانوا يجاهرون بانكار ذلك ويعدونه من دلائل قلة العقل وفقدان الرشده فيقولون ماهي الفائدة من شرب شي شديد الحرارة مر الطعم أسود اللون وبعضهم يسميها «القطران» ومن الشتائم التي يشتمون بها الاهالي (ياشاربي القطران) ولهم نوادر كثيرة في القهوة لا باس من اراد بعضها لما فيها من التفككة. منها ان اعرابيا قدم له «فنجال قهوة» ففتح فاه فلما وصل جوفه كان سببا في موته ومنها أنه نزل اضياف من أهالي السودان على أحد امراء البقارة فقال لهم انتم اضيافى وانا ابذل الجهد في اكرامكم اكراما حقيقيا اقدم لكم فيه الاغذية من الخبز واللحم واللبين والعسل اما الشيء القبيح الاسود فانه يدل على قلة عقل من يستعمله فلذلك لا اقدمه لكم ابدا فضحكوا وقالوا نحن لانكلفك ذلك بل نصنعه بايدينا وتناوله فقال لهم لو لم

يكن قدركم معظما عندي لما سمحت لكم باستعمال هذه الدنيا في منزلي
وقس على ذلك وقد ذكرنا ان التعايشي كان يريد ان يحومها لولم يعارضه الناس
ويخبرونه بان تجارة البن منبع ثروة عظيمة لبيت المال وانه هو رأى المهدي يشربها
ولولا ذلك لحمل الناس على تركها فتأمل

ذكر ختان المسيحيين واجبارهم

على تعدد الزوجات

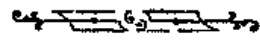
كان في السودان تاجر من اهل حلب الشهباء مسيحي اسمه «جورج
اسلامبوليه» يتردد بالتجارة بين الخرطوم وكردفان حتى ادركته الثورة
المهدية في مدينة الابيض فغادرها واسلم نفسه للمهدي صيانة لامواله وجاهر
باعتراف دين الاسلام ولكنه مالث طويلا حتى نكب وصودرت امواله
واتهم بانه يبطن النصرانية ويقلد اطفاله الصلبان من داخل الملابس وانه
يراسل الحكومة في الخرطوم فضبط كتاب منه باحدى اللغات الاجنبية
فطلب التعايشي مترجما يترجم له الكتاب فتصدي للترجمة يهودي اسمه
(داود منديل) مع انه لا يعرف لغة اجنبية وتوعد جورج بانه اذا لم يدفع له
خمسائة ربال ترجم الكتاب بما يوجب قتله فاسرع جورج باجابة ماطلبه
اليهودي الذي ترجم الكتاب بان جورج يدعو الحكومة للتسليم للمهدوية
ويحذرهما مغبة عدم التسليم فسجن الرجل وصودرت امواله ثم اطلق سبيله
وقدم الخرطوم مع المهدي وهناك اجتمع برجل آخر حلبي ايضا
اسمه (نعوم العجي) وتصاهرا بزواج اولادهما وكان نعوم مدعيًا انه يعلم
بعض العلوم الكيماوية فذهبا الى التعايشي ذات يوم وقالوا انهما يعرفان

بصناعة صك النقود وانهما قادران على تحسين حالة المعاملة فقبول طلبهما من
التعايشي بالاستحسان فكتب الى أمين بيت المال يأمره بمساعدتهما على جلب
ما يطلبانه من القوالب بواسطة الترسانة فاخذ يماطلها ويعدهما من يوم لآخر حتى
يدبر حيلة للايقاع بهما تخلصا من استيلائهما على دار الضرب الذي يتسرب من
ايرادها شيء كثير الى جيب النور الجريفاوي امين بيت المال واقاربه القايضين
على منابع تلك الايرادات. وبالجملة فانه اخذ يفرر بهما حتى اتفقا نحو مائة
جنيه من مالهما في سبيل تهيئة القوالب واعداد المعدات

ولما يئسا وايقنا انهما خدعنا النور الجريفاوي ذهبا متظلمين الى
الطاغية التعايشي الذي استدعى النور وعنفه على ما ارتكبه فاخذ يعتذر بان
ابدال المسكوكات يوقع بيت المال في أزمة مالية شديدة اذ تكون النقود
القديمة بأيدي الناس ثم يطلبونها مما ضرب حديثا ثم ذيل اعتذاره بأن
ذيك الرجلين لا يزالان نصرانيين فسأله التعايشي كيف يكونان كذلك
وما هو الدليل على صدق هذا القول فقال الجريفاوي انهما وسائر الذين
أسلموا على يد المهذوية لا يزالون غلغا لم يختنوا حتى الآن وهناك دليل
آخر وذلك انهم لا يزالون يحافظون على توحيد الزوجة فغضب التعايشي
وأرغى وأزبد واستدعى القضاة وسائر المسيحيين الذين تظاهروا باعتناق
الاسلام وفي مقدمتهم جورج ونوم فسألوهم هل أتم غلف فاعترفوا
بذلك فدخل القضاة على التعايشي وأخبروه بهذا الاعتراف فخرج علي عادته
متسربلا سربال القهر وخاطبهم بعبارات التعنيف ولم يسكن غضبه حتى بالغوا
في الاعتذار باتهم لم يمنعمهم من الاختتان غير الخوف من ألم الجروح فقال لهم
اذهبوا واختنوا على يد متطبب اسمه شعبان فذهبوا وهم لا يصدقون بالنجاة

وشرعوا في الاختتان وكانت عدتهم نحو أربعمائة فكان الرجل يختن مع ابنه وأخيه ومنهم من قاسوا آلاما شديدة من الجروح ومكثوا نحو شهرين طريحي الفراش

ثم بعد ذلك ذهبوا إلى التعايشي إليه متظاهرين من عدم مقدرتهم على نفقات أكثر من زوجة لما هم فيه من شظف العيش والفقير المدقع فلم يقبل منهم بل توعدهم فمادوا وشرعوا يعشقون الجوارى ويتزوجون بهن لأن المسلمين لا يرضون بمصاهرتهم وعلى ذكر ختان هؤلاء نورد هنا قصة مصري مكث عدة سنوات لا يعيش له ولا كسب الا من تهديد جماعة المسيحيين بأنه سيعرض على التعايشي أنهم غلف فكانوا يدارونه ويؤدون له ماشاء من المال حتى جاءت حادثة جورج ونعوم بما لا يستطيعون دفعه فكانوا يتذمرون منها ويسخطون عليهما زيادة على ما أصابهما من ضياع مالهما ومقاساتهما آلام الجروح وزد على ذلك اضطرابهما الي تعدد الزوجات التي لم يجدوا منه مفرًا



ذكر سجن ابن المؤلف

مر الكلام على ان زوجتي كانت على وشك الوضع لما سقطت مدينة الخرطوم وفي شهر ذي القعدة سنة ١٣٠٢ سكنت بالخرطوم ابتغاء الحصول على قايمة مصرية تساعدني على الوضع وقد تقدمتني بسبب ذلك وشي بي للتعايشي واتهمت بانني انما قدمت الخرطوم لتدبير مكيدة ضد المهديوية ولذلك أمرت أنا وسائر المصريين بمغادرة الخرطوم وسكني أم درمان التي بعد ان وصات اليها بايام فلائل وضعت زوجتي غلاما سميته (محمد فوزي) ولما أن سجنتم كان عمره زهاء عشر سنوات فوتمت عائلتي في

الشقاء الاليم ولما مضى عليّ ثلاث سنوات ونصف في السجن كان سن ابني هذا عشر سنوات وشهورا فذهب في أحد الايام الى التعايشي باصكيا مسترحما يسأله ان يطلق سراحي فرق له وقال له اذهب الى أهلك وأخبرهم انني ساطلق عقال أتيك في الغد فاقضوا ليلتكم هذه بفرح وسرور فذهب الولد واخبر اخوته بذلك فقضوا تلك الليلة بفرح وسرور

وفي الغد ذهب الولد مستنجزا للوعد فأعرض عنه التعايشي فصار يتعرض له حتى التئمت اليه غاضبا وقال لمن حوله « هل يلد الثعبان الاثعبانا » فقالوا نعم فقال « وهل يحسن بالانسان ان يربي ابن الثعبان » فقالوا كلا فقال أليس هذا الولد ابن المنافق ابراهيم فوزى فقالوا بلى فقال لا بد من الحاقه بابيه فاستدعى كاتب أخيه يعقوب المسمى « بان النقاموسى » وقال له خذ هذا الولد الى بيتك وضع في رجليه القيود ووكل به غلمانك يجرسونه ويشغلونه بسياسة خيلك ودوابك

فأخذه بان النقا ووضع في رجليه القيود ومع كونه كان يراعيه ويرأف به في السر فانه كان يلاقى من عبيده وخدمه المذلة وسوء المعاملة

والسبب في اخلاف التعايشي ما وعد به وعدوله الى حبسه انه في نفس اليوم كانت جواسيسه قبضت على واحد من جواسيس اللورد كتشنر جاء أم درمان من قبل سلاطين باشا لارسال مكاتيب الى بعض الناس وكان ذلك الجاسوس يسأل بعض الناس هل ابراهيم فوزى حي يرزق وهل شارل نيوفيلد على قيد الحياة وسأل عن بقية المسجونين بتهمة تهريب سلاطين باشا كبراهيم حمزة وغيره من الذين مر ذكرهم فقبض علي ذلك الجاسوس وكانت الحملة المصرية وقتئذ في دنقلا

والخلاصة ان الولد بقي محجورا في منزل بان النقا الى يوم دخول اللورد
 كتشنر أم درمان ظافرا حيث أصيب بان النقا بجروح بليغة كانت من أقوى
 الاسباب على نجاة الولد لانه لما انهزم التعاشي وركن الى القرار اتقد الى بان
 النقا يأمره باللاحاق به مستصحباً الولد فلم يستطيع مغادرة فراشه بسبب الجراح
 ولما دخل كثير من اخواني الضباط المصريين منزل بان النقا ورأوا
 الولد فيه وضعوا الحراس على المنزل لحفظ من عبث بعض الاعراب
 الموالية للحكومة وهم الذين اعملوا النهب والسلب على أتر دخول الجنود المدينة
 أماتاً غير حبس ابني علي فكان سيئاً جداً حيث فقدت الرشد ولقد أخبرني
 من كانوا حولي أنه لما فاجأني ذلك الخبر قطعت سبحتي وقلت وأنا ذاهل يا الله
 رضيت ببلاتك في نفسي ولزمت طاعتك شاكر ا على السراء والضراء فابتليتني
 بحبس ابني لا تركز الصلاة وسائر العبادات

ولما عدت الى صوابي واخبروني بما قلت أسرع بالتوبة والاستغفار وعدت
 الى ما نافية من ملازمة الفكر والانقطاع الى الذكر ولم أعلم أن رحمة الله تعالى
 ستدركني وابني الذي صار حبسه سبباً لصيانة من حبس عنده فالحمد لله
 الذي انقذني وابني وجعل لنا بعد الضيق فرجا وبعد الخوف أمناً ونجاة

التعاشي قبل حملة دنقلة

لما تمكن التعاشي من قهر أقارب المهديّ وسجن مناظره الخليفة
 شريفاً كما تقدم اطلق لا قاربه البقارة العنان في البلاد يظلمون وينهبون
 وعكف على شهواته وصار يركب العربية التي ذكرنا في اخبار فتوحات خط
 الاستواء ان الطيب الذكر غردون باشا جلبها من القاهرة ليقدمها هدية الى

الملك « امتيسه » صاحب أوغنده وقتشد

على ان هاته العربية لم تكن مقصورة على ركوبه بل كانت تسير في شوارع المدينة ليلا فيها الخصيان ليقبضوا على النساء البارعات في الجمال ويمضوا بهن الى دارالتعايشي فيلبثن بها حتى اذا قضى وطره منهن أعادوهن الى بيوتهن وقد كانت بداية عملهم هذا اثر القبض على الخليفة شريف وسائر أقارب المهدي الذين تفوا وقتلوا في زمن تلك الحوادث المرعبة ولا فرق بين امرأة ذات بعل أو أيم أما ذات البعل فان الخصيان يفهمون بعلها أن خليفة المهدي يريد اسماعها مواعظه التي يسمونها (المذاكرة) وأما التي لا بعل لها فليسوا في حاجة الا الى أخذها وادخالها العربية

ومن اللواتي أخذن بهذه الصورة زهراء بنت محمد شقيق المهدي الذي تقدم انه قتل يوم الهجوم على الابيض عاصمة كردفان وكانت تحت أحد أقاربها الذين تفاهم التعايشي الى خط الاستواء وكذلك فعل بينات حامد شقيق المهدي وفد مر أنه قتل في احدي وقائع جبال قدير

وقد كان التعايشي متزوجا بأب كلثوم بنت المهدي وأولدها بضعة أولاد ثم طلقها لغير ذنب جنته غير انه أراد الاقتران باختها مريم لجمالها المفرط حيث تزوجها ودخل بها بعد وقوع الطلاق بيوم و ليلة

أما المظالم فقد تضاعفت ويشس الناس من الخلاص بثورة داخلية حيث تمكن الطاغية من الفضاء على كل قوة يتوقع منها القيام للخلاص من ظلمه

وبالجملة فان حلقات المصائب قد استحكمت ولم يبق للناس صبر على الخطوب المتوالية والمصائب النازلة على رؤسهم حتى أنهم كانوا ينقطعون في

الخلوات يضرعون الى الله أن يخلصهم من هذا البلاء واذا سمعوا بشيء من أخبار الحملة ظهرت عليهم علامات الفرح والسرور وبذلوا الصدقات للفقراء والمعوزين شكر الله تعالى وقد كان التعايشي أول من أنبأ بتقدم الحملة علي دنقلة قبل تقدمها ببضعة شهور وسيأتي ذكر ذلك

جواسيس المهديّة

قلنا فيما مر ان أهالي مديرية الحدود كانوا ميالين الى دعوة المهديّة في بداية امرها وخصوصا (البرابرة) الذين يسكنون بين أسوان وحلّا وقد أشرنا الى العذاب الممين الذي أرهقهم به النور الجرفاوى في بربر اذ كانت مغبته تفورهم عن المهديّة وانحراف جلمهم عن موالاتها وقبل ذلك كان جلمهم يتقربون الى المهديّة بابلاغها أخبار الحكومة بغلوا فاحش في اسناد العيوب اليها ونسبة الوهن الى حامياتها في الحدود وبقي كثير منهم على الولاء حتى قتل عبد الرحمن النجومى حيث كانوا يستعدون لمعاونتته والانضواء الى لوائه بالرغم عن فظائع النور الجرفاوى التي عامل بها تجارهم اولاً الحيلة التي اتخذها السير غرانفيل باشا سردار الجيش المضربى وقتئذ ويقال ان الاسباب التي دعت هؤلاء الى التمسك بولاء المهديّة والانحراف عن الحكومة هي تحرير الارقاء وابطال النخاسة واذا ذاك أى في بداية دعوة المهديّة كان كبراء مديرية الحدود كما قلنا يرسلون أمراء المهديّة بالاخبار وينطوعون لهم بالتجسس وفي كثير من الاحيان كانت أخبار سوكن وما يقع فيها من الحوادث تبلغ التعايشي قبل وصول برید سوكن اليه فكانوا اذا حملها البرق من سوكن ينلقاها الروادفي

الحدود فيذهبون بها على ظهور الهجن الى بربر وقد اتهمت الحكومة كثيرين من هؤلاء الكبراء وحاكمتهم أمام المجالس العسكرية ولكنها لم تتمكن من قطع دابر جاسوسية التعايشى التي لم تعد باثمة عليه

وفي الايام الاخيرة صار للمهدوية جواسيس بعضهم يتجسسون ليونس الدكيم أمير دنقلة وبعضهم للتعايشى وآخرون للزأكى أمير بربر وكان من أشهر جواسيس التعايشى رجل يدعى ولد الحسين وأصله سوداني وآخر يدعى أبا شعبان وهو مصرى من سكان مديرية الحدود وللأول منها نادرة مع سلاطين باشا وهي أنه وشى به الى التعايشى بأنه على أهبة الفرار حتى خيف من التعايشى على سلاطين باشا الذى تمكن من استمالة القضاة الى جانبه حتى وشوا بولد الحسين الجاسوس عند التعايشى فحبسه وارتاب فى صدق مارقته اليه من الانباء

أما أبو شعبان فكان التعايشى ذائقة عظيمة به وكان يتردد على الحدود المصرية ومع شهرته التي لا يجملها جواسيس قلم المخابرات كان يعود دون أن يصيبه مكروه حتى ذهب بعض الناس الى انه مأجور لقلم المخابرات ومتواطىء معه على ان لا يبلغ التعايشى خبرا الا بموافقه والحاصل انه كان للتعايشى جواسيس ولكنهم قلما يرفعون اليه ما يستفيد منه العلم بشيء قبل وقوعه

على ان جواسيسه رفعوا اليه قبل حملة دنقلة بيضعة شهور ان الحكومة مصممة على الزحف الى دنقلة واستدلوا على ذلك بأنها جمعت الملاحين الذين لهم خبرة بالشلالات الواقعة جنوب وادى حلفا ولما اتصل به هذا النبأ أمر باخراج تجار المصريين من البلاد وضرب لهم موعداً يخرجون فيه ومن تخلف منهم

صودرت أمواله ونفى الى أعالي النيل

هذا ما فعله حينما اتصل به الخبر وهو يدل علي ما مر من عدم حصول

فائدة للتعايشي من هذا التجسس

ويقولون ان أغلب جواسيسه متفقون مع الحكومة عليه ومنها يتلقون

ما رفعونه اليه ولا ينافي ذلك ما قلناه من ابلاغهم اياه أمر الحملة قبل حركتها

ببضعة شهور اذ يحتمل انهم موعز اليهم بهذا الامر ليرى الموعزون ما يكون

من وراء ذلك

والخلاصة ان رواد التعايشي كان جاهم من أهالي مديرية الحدود وأخبارهم

ملفقة مبالغ فيها كقولهم للتعايشي ان حكومة مصر في رعب شديد وكلما طرق

آذان رجالها ذكرك ارتبكوا وكذلك أهلها فانهم يصرعون خوفاً وجبنا كلما

سمعوا بذكرك فيتميل طرباً ويظن أن ما قالوه حق

علي انه يوجد في البلاد رواد ولكنهم قاصرون في ارتيادهم علي ضبط

السكيرين وصناع البوظة والمدخنين والذين يناجرون بالدخان

وفي كثير من الاحوال يتناولون الرشاً منهم وينركونهم ويلفون

الدعاوى الكاذبة علي من كانوا مظنة المال ليتوصل الي مصادرة

أموالهم بمجرد اتهامهم بوجود دخان أو بوظة في منازلهم وقد خطب التعايشي

يوماً فقال ان القدر الذي يوجب مصادرة المال من الدخان هو ربع درهم

ومن البوظة ربع رطل وربما دفع المتهمون الالوف من المال بغية النجاة

من الضرب والتعذيب والاهانة ومصادرة المال



استوطن أبوه بربر (وعبدالرحمن منصور) من أهالي أم درمان وصرح النور
الجرىفاوى فصار هؤلاء التجار ينفذون أعوانهم الى مصر فيبتاعون المنوعات
ويحتالون على تهريبها بوضعها في أكياس الارز ومن العجيب ان الحكومة
لم توفق لاجباط أعمالهم حتى استمروا على ذلك عدة أعوام وجابوا
مقادير عظيمة من الرصاص وغيره من العقاقير وتمكن أعوان على محمود
الضوى من استحضار ذخيرة من خرطوش مدفع « المترليوز » الانكليزي
الذي غنمه المهدوية من حملة الجنرال هيكس وكان التعايشى يؤدي لهم الاثمان
مضاعفة وتتجاوز لهم عن مكوس سلعهم التي يصدرونها الى مصر أو يجلبونها
منها تنشيطا لهم فكانوا يجلبون هذه الاشياء دفعتين في العام وفي بعض
المرات بلغ ما جلبوه مقدارا عظيما من الرصاص وارتقت همة على محمود
الضوى الى انه ابتاع نحو ألف وعاء من الاوعية التي يسمونها « شنطه » وضع في
كل واحدة خمسين خرطوشة جابها من مصوع ويقال ان الحكومة لم
توفق الى معرفة حيلهم واجباط أعمالهم الا في الايام الاخيرة
والحاصل ان هؤلاء التجار كانوا من أقوى الاسباب في تقوية المهدوية
وامدادها بالذخيرة التي لولاها ما استطاعت محاربة الاحباش في القلابات
والشلك في فشوده وغيرهما من الحروب الاهلية التي شبت نيرانها في دارفور
واكثر أنحاء السودان وكان أبو شعبان الجاسوس الآنف الذكر ممن يجلبون
المنوعات أيضا

ذكر غارة الدر اويش على الواحات

لما افلح عثمان ازرق في الغارة على (آبار المرات) وقتل صالح بك خليفة

كما مر وكان يونس الدكيم أميرا على دنقلة وقتئذ من قبل التعايشي وعثمان
ازرق قائد اللدراويش المعسكرين في الجهات الشمالية بالقرب من ضواحي حلفا
وكان عثمان هذا لا ينفك عن الغارة على الجهات الواقعة شمال حلفا طمعا
في السلب والنهب وكان يونس الدكيم يرسل الكتب تباعا الى التعايشي
منعمة بالثناء على عثمان ازرق واقدمه وما حازه من النصر المتتابع في
وقائعه وسطواته التي أضر بنا صفحا عن جملها ولم نذكر الا القليل منها اذ هي
أشبه بما يجري من عصابات السطو واللصوصية

وفي أوائل سنة ١٣١١ هجرية كتب التعايشي الى يونس الدكيم كتابا
يأمره بانقاذ عثمان ازرق في الف راكب علي ظهور الابل للغارة على الواحات
وكان ذلك اجابة لالتماس يونس الذي كان يشحن كتبه الى التعايشي بذكر
الواحات وما فيها من المال الذي سيغنيه اذا أغار عليها فتحركت اطماع
التعايشي وأمره بالغارة عليها وأوصاه أن يهاجمها تحت ظلام الليل

فسار الالف راكب يتوهم عثمان ازرق وبعد ان مضى عليهم بضع ليال في
السير واقتربوا من الواحات أخذ عثمان العيون ليأتوه بالخبر فقضوا الليلة
وعادوا في الغد وأبلغوه ان اعراب الواحات كثيرون جدا وأن اطنابهم
مندانية من بعضها وعندهم الاسلحة النارية وليس بينهم حامية للحكومة بل
هناك ضابط للشرطة ومهندس لحفر الآبار فخاف عثمان ازرق مغبة محاربة
أهل الواحات فعول على خديعتهم حيث زحف في مقاتلته حتى بات قريبا
من احيائهم ثم تقدم اليهم في الغد بصنعة سلمية وأفهمهم ان يونس الدكيم
أمير دنقلة نازل على مسافة مرحلة من حيهم وانه قادم لفتح مصر عن طريق
الواحات وانه جاء من قبله ابذل الامان لهم فانخدع الاعراب وراجت

عليهم حيلته ثم قال خمسة عشر عميدا من رؤساء القبائل وللمهندس اذهبوا
معي لمقابلة الامير فامتطوا الحمر وذهبوا معه وهو يخدعهم بقوله هو نازل وراء
هذه الربوة أو الغابة حتى مضى النهار كله وحينذاك ايقنوا بانهم خدعوا وان
القصص من ذلك ايصالهم الى دنقله التي بلغوها بعد بضع ليال

ولما وصلوا دنقله استقبلهم يونس الحكيم وأطلق واحدا وعشرين
مدفعا علامة الانتصار وكانوا في حالة سيئة من شدة ما نالهم من وعناء السفر
العجائى ثم لم يلبثوا في دنقله الا ليلة وبعض يوم ثم أرسلوا الى أم درمان
تحت الحفظ

ولما مثلوا بين يدي التعاشى عاتبهم وألان لهم القول قائلا نحن واياكم
اعراب وكلنا نبغض الترك الكفار وننفر منهم فلماذا لم تنضوا الى لواء
المهدوية وتحاربوا الترك الكفار الذين نبذوا الشريعة وتمسكوا بالبدع
وأصروا على الكفر

فأجابوه بقولهم نحن نتوب الى الله مما سلف ونحمد الله الذى قدر لنا
الخلاص من ربة الكفار ومن علينا برؤية وجه خليفة المهدي عليه
السلام فأمرهم بمبايعته فبايعوه ثم استدعى أحد التجار وأمرهم بالاقامة في
داره وخصص لهم مرتبات من بيت المال فقام التاجر بكل لوازمهم بمجد
وسخاء أما بيت المال فانه كان اذا تقدم مرتب شهر ما طلبهم ثلاثة شهور
وهذا التاجر اسمه (البلال الاسيده) وهو رجل سخى مشهور بالرافة بالمصريين
الاسرى وخصوصا المؤلف وقد مكثوا على هذا الحال زهاء عامين كانت
حالتهم فيهما تنتقل من سيء الى أسوأ

وفي ذات يوم استدعاهم التعاشى الى منزله بحضرة القضاة وأهل

الشورى وقال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم أخبره بان
سرايرهم قد ملئت بالاخلاص للمهدوية وانه عليه الصلاة والسلام امره ان
يعيدهم الى اوطانهم دعاء للمهدوية وأمراء على عشائرهم ليصدعوا في الواحات
بدعوة المهدي ويناوؤون الحكومة المصرية فرقصت افئدتهم طربا لما لاح
لهم بارقة النجاة ولكنهم بكوا واتحبوا وأظهروا كراهة ان يكونوا يعيدون عن
خليفة المهدي الذي كان يكثر الاصلاح عليهم بوجوب الامتثال لما اشار به الرسول
صلى الله عليه وسلم وهم يتأسفون وينتحبون وما زال بهم حتى تابوا
الى الطاعة وكتبت لهم صكوك الامارة وتلقوا التعليمات ونقدتهم بيت المال
تفقات السفر وشدد عليهم في موافاقه بالضرائب التي يجلبونها من أعمالهم
فغادروا أم درمان وهم وجلون لا يصدقون بالنجاة حتى بلغوا الحدود المصرية
وهناك مزقوا المرقعات ودفعوا للحكومة صكوك الامارة ومنشورات
الدعوة واعلموها بما وقفوا عليه من ضعف المهدوية وانحراف الناس
عن طاغيتها وكانت نجاتهم في الزمن القريب من حملة دنقلة

دنقلة قبل الحماية عليها

انتهينا في الكلام عن دنقلة فيما مضى من الكتاب الى ذكر المجاعة التي فشت
فيها سنة ١٣٠٦ والى ذكر عزل عبد الرحمن النجومي عن امارتها وولاية
يونس بن الدكيم

وهنا نشرع في الكلام على مدة يونس التي ابتدئت من ذلك العهد
تبييننا للمظالم التي دمرتها فنقول

لما تقشت المجاعة في دنقلة وغادرها عبد الرحمن النجومي الى حيث لاقى حتفه في (طوشكى) ضعف أمر الاحزاب التي كانت متشعبة له وهجر أهالى دنقلة الشمالية أوطانهم فارين من وجه الظلم حيث لحقوا ببلاد مديرية الحدود وكان يونس قد عزل كل الجباة الذين أصلهم من أهالى السودان الاوسط أى الذين لم يكونوا من البقارة وعين نحو سبعين جايبا من عبيده بدلهم أما طريقة جباية الخراج فقد ذكرنا فيما مر من هذا الكتاب أن الضريبة في دنقلة منذ دخول السودان تحت طاعة مصر كانت عقارية ولما كانت بلاد دنقلة خصبة ومن حاصلاتها القمح والذرة واللوييا التي هي متعددة الاصناف عدا التمر وريها بالآلات كالسواقي والشواذيف فقد اخترع يونس لجباية ضريبة الحبوب طريقة سماها (التخريص) وهي ان الجايب يذهب الى المزرعة ويقدر ان محصولها يبلغ كذا فيلزم الزارع بتأدية نصف التخريص الذى لا يقل عن ثلثي المحصول ثم يلزم صاحب الزرع بتأدية ريال مجيدى عن كل أردب من المطلوب تأديته وهذه الضريبة ليست لبيت المال بل هي للجايب ويسمونها (ضيافة العامل) وزد على ذلك أنهم كانوا يطالبون من كل زراعة تبلغ مساحتها فدانين فأقل نحو عشرة ريالات قيمة ثمن التبن اذا كان المحصول قمحا وقيمة ثمن البوص اذا كان من الذرة أو الجذور اذا كان من اللويياء وهناك ضريبة أخرى تجبى لغذاء الامير يونس الدكيم وتجدد كل شهرين أو ثلاثة وهي ضريبة المسلى والاغنام وهي لا تقل عن عشرة ارطال وخروفين عن كل مزرعة فيرسل السبعون جايبا الامير ما يجتمع عندهم وأقل ما يتحصل من ذلك عشرون فنظارا من السمن ومائة راس من الاغنام أما الضرائب التي لا تدخل تحت قيد فكثيرة منها ما سببه اعسار يد - المال

الذي يضرب بسببه على كل شخص قدر من المال يؤدي له وتفقات البعوث
والسرايا وهي أجل من أن تدخل تحت حصر

وإذا سافر جيش أو سرية من الدراوش من مكان لا خرفانهم لا يحملون
ميرة ولا علفا لدوابهم بل ينهبون ويأكلون وينهبون قطعان الماشية في
الطرق ولا يستطيع أحد من الاهاين منعهم أو الحيلولة بينهم وبين ما يريدون
وعلى أثر ذلك استأثر يونس ومواليه بخيرات البلاد وانطلقت أيديهم
في أموال الناس وبنات الاهلون تحت ائثال هذا الظلم يئنون

وقد مدّ موالى يونس أيديهم الى الاعراض واستحلوا نكاح الحرائر
المسلمات بملك اليمين فكنت تجد عند الواحد منهم اكثر من أربع حرائر
وكانوا يبعثون بالنساء الحسان الى التعايشي وأخيه يعقوب وابنه شيخ الدين
وجميع كبراء البقارة

ومكث يونس علي هذه الحالة ثلاث سنوات ثم عزله التعايشي وولى
بدله محمد خالد زقل الذي كان أميرا علي دارفور وقد ذكرنا شيئا كثيرا
من سيرته فشرع في تخفيف الوطأة عن الدنقاليين لانه دنقلى منهم ولكن
مدته لم تطل حيث عزل بعد سنة وسجن ثم نفى الي خط الاستواء
وقد أعيد يونس الى الولاية وعادت كل المظالم التي ابتدعتها ومكث كذلك
الى ما قبل الحملة عليها ببضعة شهور

ويونس هذا أصله من قبيلة (التعايشة) التي منها التعايشي وكان
زوجا لام التعايشي وكان قصير القامة جدا وجسمه ضئيلا نحيفا
وكان أميا لا يعرف الكتابة والقراءة يأتيه الناس فيقولون له انك شجاع
وان الاسود في آجامها تفرع منك وان ملامح وجهك ترعب من ينظر اليها

وانه اذا ذكر اسمك في مصر ولوندره يموت الناس فرعا فينتفخ من هذا الثناء الكاذب ويانتفت لمن حوله من الرجال والمشيرين فيقول لهم أما سمعتم ما يقول هذا الرجل فيقولون سمعنا فيقول وهل صدق الرجل فيقولون على أقدامهم ويرفعون أصواتهم قائين ياسيدنا الامير اتطلب منا دليلاً على الشمس والى متى تنكر صفاتك التي لا يجهاها أحد وانت فوق الاسود شجاعة وعزيمة ويحلفون أنهم في حالة وجل وروع شديد من رؤية وجهه والذنومنه فيطير سروراً وبأسر في الحال بضرب الطبول ودعوة المقاتلين للاستعراض ثم ينم بالمال على الرجل الذي اتنى وعلي الذين ايدوا أقواله

هذا مع انه جبان لم يذكر بمنقبة في حرب وقد ظهر جنبه في سنة ١٣٠٣ لما أتته التعابشي لقتال عساكر بن كلام زعيم قبيلة (الجمع) شرقي كردفان لما خلع طاعة المهديوية وكان عساكر هذا فارساً مقداماً يشق صفوف الرجال ويحزح الابطال وكان كلما حمل ليارز يونس يختفي منه ويقول لمن حوله اياكم ان تتركوني ابارز هذا الشقي ثم يتظاهر بأنه سيهجم عليه فيتعلق الناس بدابته فيرجع قائلاً أما لو تركتموني لمبارزته لجندته لكم علي الارض بغير سلاح بل كنت اختطفه من قربوس سرجه واجلد به الارض وكان هذا حاله طول الايام التي نشبت فيها الحرب بين الجمع حيث انتهت بقتل عساكر وعودة قومه الى الطاعة

أما قسوته وغلظته فحدث عنهما ولا حرج فانه كان اذا أمر بحبس واحد أمر خمسين من عبيده بالاحاطة به وضربه بالعصي والسياط حتى يبلغ السجن وهم يسون هذه العادة (الفرقة) أي المسافة ما بين منزل الامير والسجن وهي لا تقل عن ميلين وقد لا يصل المسجون حيا بل يقضي عليه وهو في الطريق

ونقل لى أحد الثقات ان يونس أمر بسجن علي بن الامين أحد صغار القواد
وابن الشيخ محمد الامين رئيس علماء السودان الذي ذكرناه مرارا في هذا
الكتاب فاحدق به مائة وخمسون عبدا وأخذوا يضربونه (الفرقة) حتى بلغوا
به السجن مغشيا عليه ومكث يوما وليلة لا يعي شيأ فيئسوا من حياته وبعد
أيام أمر بالناقل أيضا الى السجن لذنب طفيف فاسرع الى الاقتراب منه ووقع
على الارض وانكزأ علي بطنه وقال له ياسيدي الامير اتوسل اليك ان
تأمر بضربي (الفرقة) أمامك ثم تحظر علي الحراس أن يضربوني في
الطريق فضحك وقال أنت خائف من الفرقة فقال كيف لا أخاف فقال
له أتتوب فقال تبت الى الله والرسول والمهدي وخليفة المهدي ومولاي
يونس فقال قد عفوت عنك فاهض ولا تخف .

هذا قليل من كثير من أخبار يونس التي لاتسبها المجلدات الضخمة
أوردناه للدلالة علي ما كان يقاسيه الدنقلون من حيفه وسوء معاملته
وقد هلك نحو ثلاثة أرباع السكان وأمست أراضهم قفرا بلقما. وكانت
وفودهم تشخص تباعا الي التعايشي متظلمة من جور عماله فلا تجديهم الشكوى
ولا ينفعهم انتظلم وكثيرا ما كان يسجن الشاكين ويتكل بالمتظلمين والخلاصة
انهم انقطعوا عن الشكوي وصبروا علي مر البلوى حتى أراد الله تعالى انقاذهم
فحملت الحكومة علي دنقلة وأجلت الدراويش عنها فخرجوا منها مذمومين
مدحورين كما سأتى ذكر ذلك في مكانه والله الهادي الى سواء السبيل

ذكر مسألة العقرب مع التعايشي

يوجد بام درمان الحشرات السامة بكثرة فوق التصور وخصوصا نوع

العقارب لانها كانت قبل اتخاذها عاصمة للمهدوية برية ليس فيها زرع ولا ضرع وأرضها مكسوة بالحجارة ويستحيل نجاة من سمته عقرب الا اذا كانت صغيرة وكثيرا مارأيت عقربا يبلغ طول ما بين رأسها وذيلها عشرين سنتمترا

وفي ذات يوم وقف التعايشي اصلاة المغرب فابصر بعد تكبيرة الاحرام وقراءة أم الكتاب عقربا تدب نحوه فارتاع وصار يكرر قراءة الفاتحة ويشير بيده الى من خلقه من المصلين فلم يفهموا قصده بل ظلوا وفوفافي الصلاة واكنهم ادركوا انه لم يكرر قراءة الفاتحة الا لسبب توى من الاسباب فقطع المدعو (الحاج الزبير) أحد حراسه الصلاة ولحقه في حالة الاضطراب والفرع الشديد من العقرب ووقف بازاءه فإشار بيده الى العقرب فقتلها ثم ان التعايشي خرج من الصلاة بتسليمة وهو في خجل شديد من اعتقاد الناس جنبه الى هذا الحد فجلس مضطربا وقد بلل العرق جبينه وبعد ان تاب اليه رشده قليلا عزم على التخلص من ذلك بوضع اكدوبة في غاية الغرابة حيث جلس وألقى على الناس خطبة هذا نصها.

اعلموا يا أصحاب المهدي عليه السلام ان هاته العقرب لم تجسر على الدخول في هذه المقصورة الا لان ساعة انقضاء حياتي كانت وشيكة غير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهدي والخضر عليهم السلام حضروا في هذه اللحظة واخبروني انهم سألوا الذي عز وجل أخبر منبني لان الامة في حاجة مدده الى هذا المأخيه وقد أمروني بتدل هذه العنرب . أما الدهشة التي ظهرت علاماتها على فانها نتيجة أضرار لا يمكن اخباركم بها كانوا يخبروني بها حتى ودعوتي وانترفوا فاشرت اليكم فلم تتمهوا اشارتي حتى ألهم الله الحاج الزبير فهمها فهو من الشهداء

الكبار ومن خيرة أصحاب المهدي جعلكم الله مثله ومكث نحو ساعتين يقرر هذه الخرافة ولم يصل المغرب الا في آخر الساعة الاولى من الليل

أما الحاج الزبير هذا فانه رجل كثير التملق والاحتيال وقد ذكرنا فيما مضى ان التمايشي كان يشاوره في بداية خلافته ويستمد منه الآراء ولكن مدته لم تطل حيث نكبه وصادر أمواله بعد خلافته بعامين لظهور خيائته مع عمه عبد الله الطريفي الذي كان عاملاً للمهدوية على القضايف وقد نكب عبد الله المذكور وسائر اهل بيته أيضاً وجسوا وعدبوا ليظهروا خبايا أموالهم

وقد ذكرت ان عبد الله الطريفي هذا وشى بي عند التمايشي لما كان ينوي اتفادي مع دراويشه الى خط الاستواء وقد كافأته علي هذا حيث نصحت التمايشي أن لا يولي غير أقاربه البقارة ومكث الحاج الزبير مسجوناً نحو عام ثم اطلق سراحه لكنه لم يعد الى منزلته الاولى

وكان اذا ناداه التمايشي يرفع صوته قائلاً (لييك يا خليفة المهدي، عليه السلام) ثم يظهر التغير في صوته والاضطراب في جسمه كأن هيبه خليفة المهدي ونور محياه هما اللذان نشأ عنهما ما اعتراه وقد مكث بعد اطلاقه من السجن مجروحاً من التمايشي الذي لم يعده الى منزلته الاولى الا بعد حادثة العقرب التي شرحناها في هذا الباب وأخيراً توفي حتف ابيه قبيل فتح أم درمان وكان أبوه عبد الرحيم الطريفي أميناً من قبل التمايشي على احدى الورش الحربية التي تصنع بها الذخيرة والمعدات الحربية

وبالجملة فان الحاج الزبير هذا هو الذي قوى عزم التعايشي علي البقاء
بام درمان وثناء عما كان عازما عليه في بداية خلافته من ان يأخذ نصيبا
من الاسلحة وينادر أم درمان ويؤسس دولته بغرب السودان

﴿ انتهى الجزء الثاني من كتاب السودان بين يدي كتشنر وغردون ﴾

« ويليه الجزء الثالث وأوله البدء بحملة دنقلة »

(كل نسخة من هذا الكتاب تكون محتومة

بمختم المؤلف الذي هو هذا)



﴿ فهرست الجزء الثاني من كتاب السودان بين يدي خردون وكثنر ﴾

صحيفة	صحيفة
٣٣ الكتاب الاول من المهدي	٢ قيام دولة المهدي في السودان
لمصطفى باشا	٦ ذكر مقابلة المؤلف مع أمين بيت المال
٣٤ الكتاب الثاني » » »	٩ ذكر ماغنه المهدي من الاموال
٣٧ واقعة كورتى وقتل الشيخ المهدي	والذخيرة من الخرطوم
٣٧ ذكر وصول كثنر باشا الى دنقله	١٠ ذكر قتل فرج باشا الزين
٣٨ وصول الحملة الانكليزية الى دنقلة	١١ ذكر مقابلة المؤلف للمهدي
٣٩ حملة الجنرال اول وقتله بواقعة	١٢ مقابلة المؤلف للتعايشي
كربكان	١٤ ذكر دخول المهدي مدينة
٤٠ واقعة أبو طليح	الخرطوم
٤٣ ذكر تعيين عبد الرحمن النجومي	١٥ القبض علي المؤلف وسجنه في
لقتال الانكليز في المتنة	الخرطوم
٤٥ ذكر عودة الحملة الانكليزية الى	١٦ ذكر أهالي الخرطوم بعد ذلك
دنقله	٢٣ ذكر مقابلة الشيخ محمد الامين
٥٤ ذكر فداء القسس والمسيحيين	للمهدي ووفاته
٥٥ ذكر توجيه الجيش لمحاربة سنار	٢٥ ذكر انتقال المهدي الي أم درمان
٥٥ ذكر انتداب الشيخ حسين	٢٦ حوادث دنقلة
زهراء الى كسلا	٢٧ ذكر الشيخ المهدي
٥٦ ذكر وفود عوص الكريم أبي	٢٨ ذكر واقعة الشيخ المهدي
سن زعيم الشكرية على المهديوة	٢٩ مخبرات المهدي مع مصطفى ياورد باشا

صحيفة	صحيفة
٩٢ شأن أهل الخرطوم بعد ذلك	٥٧ ذكر تعيين حسين باشا خليفة
٩٤ ذكر الاجتماع للعيد الاضحى	داعية للمهدى في قبيلة العباددة
٩٧ ذكر وفود الهنود على التعايشى	٥٨ ذكر ضربخانة نقود المهدي
٩٧ ذكر انتقاض الاشراف وتسليم الرايات	٥٨ ذكر ختان أولاد المهدي
٩٩ القبض على أمراء سنار وفرار الشيخ مضوى	٥٩ ذكر تعيين حمدان أبي عنجه على جبال كردفان
١٠١ ذكر عصيان الجهادية بالابيض وقتل أمير كردفان	٦١ ذكر مرض المهدي ووفاته
١٠٢ ذكر أعمال أبي عنجه في الجبال	٦٥ ذكر طرف من سيرة المهدي
١٠٣ ذكر اشخاص محمد خالد زقل من دارفور وسجنه	٧٣ ترجمة التعايشى
١٠٤ القبض على أحمد سليمان أمين بيت المال وعزله	٧٦ خلافة التعايشى
١٠٧ الاشاعة بعودة الانكليز الى دنقلا	٧٩ أول أكاذيب التعايشى
١٠٩ انقاذ عبدالرحمن النجومى الى دنقلا	٨٢ دعوة التعايشى أهالى السودان لاداء فريضة الحج بأم درمان
١٠٩ انتقاض درا فور على التعايشى واخضاعها	٨٣ ذكر مسألة الشعرة من لحية المهدي
١١٠ ذكر لحاق قبيلة الشكرية بالحبشة وقتل زعمائها	٨٤ ذكر وقائع سنار وسقوطها
	٨٧ حوادث كسله وسقوطها
	٩١ أول واقعة بين الدراويش والاحباش
	٩١ ذكر قتل المدير أحمد عفت ومن معه من القواد

صحيفة	صحيفة
١٤٨ ذكر ضربخانة التعايشي	١١١ ذكر قبيلة الضباية والقبض
١٤٩ ذكر انشاء دار للذخيرة والبارود	١١٢ ذكر انتقاض قبيلة جهينة
١٥١ ذكر موت لبتن بك مدير بحر الغزال	١١٣ ذكر حرب قبيلة الكبايش
١٥١ المقدم عمر الجملي واستخراج الرصاص	١١٥ ذكر القبض علي شارل نيوفيلد
١٥٣ ذكر احراق عظام قتلى الخرطوم ونبش القبور	١١٧ ذكر حروب الاحباش الى قتل النجاشي يوحنا
١٥٤ ذكر تخريب بلاد الجزيرة وحشد أهلها بام درمان	١٢٨ ذكر فتح قنذر بالحبشة
١٥٦ ذكر تخريب الخرطوم	١٢٩ وفاة أبي عنجه وولاية الزاكي طل
١٥٦ ذكر فرار المؤلف وارجاعه الي أم درمان	١٢٩ واقعة القلابات وقتل النجاشي
١٦٣ ذكر احتراف المؤلف	١٣٢ شأن خط الاستواء مع المهد وبين
١٦٦ ذكر عثمان الملقب بشيخ الدين ابن التعايشي	١٣٩ ذكر عزل محمد الخير من بربر وموته
١٧٠ الكلام على الخراج والجباة والعمال	١٤١ النور ابراهيم الجريفاوي وتجار المصريين في بربر
١٧٣ ذكر المختشين	١٤٢ السودان الشرق
١٧٥ حوادث دنقله وقتل ابن النجومي	١٤٤ ظهور المهدي أبو حمزة في درافوز
	١٤٥ شأن التعايشي وقبيلة التعايشة

صحيفة	صحيفة
٢٠٤ ذكر فرار الفزالي وقتله	١٨٠ زواج المؤلف بإحدى نساء
٢٠٦ ذكر صلب ابراهيم عدلان أمين	التعايشي
بيت المال	١٨٥ ذكر الميرالاي حسن البهناوي
٢٠٩ ذكر بقية أخبار ابراهيم عدلان	بك
ومسألة مصادرة العاج	١٨٨ ذكر ما لقيه المؤلف في مقابله
٢١٠ حادثة العبادة وإبادهم	بعض الامراء
٢١٣ ذكر غارة العبادة علي أبو حمد	١٨٩ ذكر نفي عبد القادر ابن أم مريم
وقتل سليمان نعمان قمر	١٩٢ ذكر قصة المرأتين
٢١٤ ذكر موت الحاج علي سعد	١٩٣ ذكر رسالة محمد ماهر باشا
٢١٥ ذكر موت عثمان آدم وتولية	للمؤلف
محمود أحمد بدله	١٩٥ ذكر مسألة الشيخ محمد عبد
٢١٧ ذكر صفة معيشة التعايشي	الماجد وصلبه
٢١٩ ذكر حادثة البطاحين	١٩٧ ذكر تشييد قبة المهدي
٢٢٢ شأن محمد خالد زقل بعد ذلك	١٩٨ ذكر المجاعة في في سنتي ١٣٠٦
٢٢٥ ذكر استخراج الرصاص	و١٣٠٧
والنحاس والكحل من معادن	١٩٨ المجاعة في ام درمان والجزيرة
حفرة النحاس	٢٠٠ المجاعة في اقليم بربر
٢٢٥ ذكر بنات الجعلين	٢٠١ المجاعة في دنقلة
٢٢٦ ذكر انسحاب الجيش من	٢٠١ المجاعة في كسسه
القلابات	٢٠١ المجاعة في القضارف

صحيفة	صحيفة
٢٢٧ ذكر غارة الزاكي طمل علي الشاك	٢٢٧ ذكر غارة الزاكي طمل علي الشاك
٢٣٧ ذكر بقية أخبار عثمان دقنه	٢٣٧ ذكر بقية أخبار عثمان دقنه
٢٤٢ ذكر هزيمة الدراويش من هندوب وأخبار أمارار	٢٤٢ ذكر هزيمة الدراويش من هندوب وأخبار أمارار
٢٤٣ ذكر هزيمة عثمان دقنه من طوكر	٢٤٣ ذكر هزيمة عثمان دقنه من طوكر
٢٤٨ شأن عما دقنه بعد ذلك	٢٤٨ شأن عما دقنه بعد ذلك
٢٤٩ حالة السودان بعد ذلك على الاجال	٢٤٩ حالة السودان بعد ذلك على الاجال
٢٥٨ ذكر تعيين المؤلف وجماعة من المصريين أمراء	٢٥٨ ذكر تعيين المؤلف وجماعة من المصريين أمراء
٢٦٢ ذكر ملازمتي الصلوات في المسجد	٢٦٢ ذكر ملازمتي الصلوات في المسجد
٢٦٥ ذكر انتفاض الخليفة شريف وأولاد المهدي	٢٦٥ ذكر انتفاض الخليفة شريف وأولاد المهدي
٢٧١ ذكر القبض على كبار حزب الخليفة شريف وقتلهم	٢٧١ ذكر القبض على كبار حزب الخليفة شريف وقتلهم
٢٧٥ ذكر القبض على الخليفة شريف وجبه	٢٧٥ ذكر القبض على الخليفة شريف وجبه
٢٧٧ ذكر القبض على عبد القادر	٢٧٧ ذكر القبض على عبد القادر
٣٠١ ذكر قتل صالح حسين خليفه ساقى ومحمد عبد الكريم وقتلها	٣٠١ ذكر قتل صالح حسين خليفه ساقى ومحمد عبد الكريم وقتلها
٣٠٢ ذكر واقعة (غوردت) بين	٣٠٢ ذكر واقعة (غوردت) بين

صحيفة	صحيفة
٣٣١ ذكر تولية الشيخ الحسين	الايطالين والمهدين
الزهراء القضاء وقتله صبيرا	٣٠٣ ذكر احتلال الايطالين كسله
٣٣٥ خفراء السجن	٣٠٥ ذكر معسكر أصوبرى وأخبار
٣٣٦ الايام الاولى في السجن	حامد علي وأحمد فضيل
٣٣٧ شارل نيوفيد والمؤلف	٣٠٨ اجمال حال السودان بعد ذلك
مقرونان في قيد	٣١١ ذكر قراءة الناس بالالواح
٣٣٨ أمير السجن في منزله ونسائه	٣١٣ ذكر بقية أخبار سلاطين باشا
٣٣٩ صلاة المسجونين	وفراره
٣٣٩ ضريبة ريال كل يوم على المؤلف	٣١٦ ذكر نفي أحمد الفحل والذين
٣٤٠ النادرة العباسية في السجن	ساعدوه على فرار سلاطين باشا
٣٤٢ ذكر ابطال القهوة	٣١٨ ذكر سجن ابراهيم حمزة وجماعة
٣٤٤ ذكر اختتان المسيحيين و'جبارهم	من اعيان بربر
على تعدد الزوجات	٣١٩ تمهيد في ذكر السجن ونظاماته
٣٤٦ ذكر سجن ابن مؤاب	واطلاق اسم السائر علي كل سجن
٣٤٨ التعايش قبل حملة دنقلة	٣٢١ ذكر سجن المؤلف
٣٥٠ جواسيس المهديوية	٣٢٣ أول ليله في السجن وأخبار اثنين
٣٥٣ ذكر جلب المنوعات من مصر	يدعيان النبوة
٣٥٧ دنقلة قبل الحملة عليها	٣٢٦ انذار المؤلف بالاعدام
٣٦١ ذكر مسألة العقرب مع لتعايشي	٣٢٧ ذكر قتل القاضي أحمد بن علي

(تمت)

5252
51A

